

تأليف
المهندس عمار محمود شاكر
النعيمي العاني

الطبعة الأولى

وقفات شرعية وتاريخية

على علم الأنساب





العاني، عمار محمود شاكر النعيمي ، وقفات شرعية وتاريخية على علم الأنساب، المهندس عمار محمود شاكر النعيمي العاني، مكتب شمس الأندلس للطباعة الرقمية والتصميم والنشر، ط ١، بغداد، ٢٠١٨.

ص ٢٢٤

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٦٥٦) لسنة ٢٠١٨

ISBN: 978-9922-611-01-3



الإعداد الإلكتروني وتصميم الغلاف والطباعة

في مكتب شمس الأندلس للطباعة الرقمية والتصميم والنشر

بغداد/الأعظمية هـ: ٠٧٧٠٤٥٧٧٠٧١



الطبعة الأولى ٢٠١٨



وقفات شرعية وتاريخية
على علم الأنساب

تأليف المهندس

عمار محمود شاكر النعيمي العاني

مكتب شمس الأندلس

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨ م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات: ١٣).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ﴾ (الفرقان: ٥٤).

الإهداء

إلى أمي الغالية

وزوجتي العزيزة

أُهدي لكما هذا الجهد المتواضع

عَمّـــــــار

شكر وعرفان

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا المختار وعلى آل بيته الأطهار وصحابته الأخيار، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]، وقول رسولنا الكريم ﷺ: «مَن لا يشكرُ النَّاسَ لا يشكرُ اللهَ»[2]، فإني في هذا المقام أتقدم بالشكر والعرفان إلى جميع الإخوة والأخوات، والأساتذة الأفاضل الذين مدوا إليَّ يد العون والمساعدة من أجل إكمال هذا الكتاب، وأخص بالذكر منهم الأستاذ الدكتور عبد المجيد كامل عبد اللطيف، أُستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، والشيخ الدكتور مجيد حميد المشهداني، أُستاذ الحديث والسيرة النبوية.

كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى جميع إخواني ورفقائي في العمل موظفو شركة أرض الدلال الطبية، لما وفروا لي من وقت، وبذلوا معي من جهدٍ، خاصة في مسألتي الطباعة والتدقيق، فأسأل الله تعالى أن يجزيهم عني خير الجزاء.

---

[1] سورة إبراهيم: من الآية: (٧).

[2] أخرجه الإمام أحمد في المسند، برقم (١٨٤٩٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (٣٠١٤).

كذلك لا أنسى شُكر الأخوة في رابطة التاريخ والأنساب، وعلى رأسهم الشيخ الدكتور حمود المحمداوي، لما قدموه لي من أجوبة شافية، ووافية، وخاصةً أيام دورة الأنساب التي أقامتها الرابطة المباركة.

كما أشكر الأخوة النسابة، الذين لطالما أرسلت لهم أسئلتي على جوالاتهم الخاصة، فكانوا لا يتأخرون بالرد عليها، فيتحفونني بالأجوبة والمصادر العلمية، وأخص بالذكر منهم الشيخين الكريمين النسابين خليل الدليمي وعلي العقيلي.

كما لا يفوتني أن أشكر أخواني في مقررية الأنساب باتحاد المؤرخين العرب، وعلى رأسها الأستاذ الدكتور محمد المشهداني؛ لما أقاموه من دورة في علم الأنساب.

وأخيراً لا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأخوين الفاضلين، الدكتور محمد عمر المشهداني، والدكتور محمد عثمان المشهداني، لما قدموه لي من مساعدة في طباعة الكتاب، والإعانة على ترتيبه وتنظيمه.

هذا وختاماً أسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى، وأن ينفعنا بما علمنا، ويزيدنا علماً، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤَلِفُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين، الطاهرين، وأصحابه المنتجبين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين . أما بعد:

المعروف عن التاريخ هو سجل الإنسانية، وهو العلم الذي يهتم بدراسة تطور الحياة الإجتماعية، والإقتصادية، والعلمية للإنسان، وما تنطوي علية الحياة من أحداث تتعلق بنمو الإنسان العقلي، والمعرفي، والنفسي، وتطور مجتمعه، كما يقوم دراسة الأحداث، وتسجيل الوقائع التي حصلت قديماً وحديثاً، ويعتمد هذا العلم على الوقت، والإنسان، وكان العرب قديماً يسجلون الوقائع، والأنساب. ويظهر ذلك جلياً في تناولهم لموضوع الأنساب، والتاريخ من خلال الشعر، والتغني به.

وللتاريخ أهمية كبيرة، وفوائد عديدة للإنسان، وقد بدا بالبحث والتقصي عن كل شاردةٍ وواردة، يمكن أن يستفاد منها في بحوثه، ودراساته خاصة، التي تتعلق بحقب قديمة جداً يصعب فيها الحصول على مصادر معتبرة. من هنا باتت الضرورة ملحة على الحيطة والحذر في الكتابة في هذا المجال؛ لأن الكثير من المصادر التي اعتمد عليها السابقون واللاحقون، قد شابها التزييف، أو تلك التي زورت بقصد أو بدونه، وانخرطت واختلطت مع المصادر المعتبرة، وضاعت على أغلب الباحثين، أيها أدق أو أصح، فعلى المؤلف المختص في الكتابة عن التاريخ بشتى أدواره إعادة قراءة ما توصل إليه، ومحاولة فهم أفكار كُتاب ومفكري ذلك العصر، والتعليق على تلك الأفكار سلباً أو إيجاباً، وهنا يكمن دور الباحث في التاريخ. لاسيما وأن بعض النصوص التاريخية تتوفر الآن من خلال الكتب، أو المواقع الألكترونية، فالمعلومة التاريخية يمكن الوصول إليها، ولكن الأهم هو

كيفية معرفتنا بصدقها أو تزييفها، ومن ثم استنباط الحكم التاريخية من تلك المعلومة.

كما على الباحث الاستفادة من كل شكل من أشكال المادة التاريخية، مثل مذكرات لشخصيات مهمة، سياسية كانت أم اجتماعية، أو قادة حروب، والدول، والأمراء، وغيرهم. ويمكن أيضاً الاستفادة من القصائد الشعرية، وخاصة الشعر الجاهلي، الذي يعتبر أحد أهم المصادر لدراسة تاريخ العهود القديمة، وخاصة تلك التي تسبق ظهور الإسلام بقرنين، أو ثلاثة من الزمان التي تعتبر الدليل. ولا ننسى الدراسات الميدانية للآثار الثابتة، والمنقولة، والنقوش المكتوبة، ذات أهمية كبيرة للباحثين. وبالإضافة إلى ذلك يوجد في المصادر التاريخية المتنوعة، مثل اليونانية، والرومانية، والبيزنطية، والإسلامية، كمّ من المعلومات التي تعطي الصورة التاريخية لبعض الكيانات القديمة، يمكن الاستفادة منها خير فائدة للوصول إلى بحث مكتمل الجوانب، مستنداً بقوة المصادر، التي اعتمد عليها المؤلف.

أسوق هذه المقدمة وأن أتصفح بين يدي كتاب بعنوان: (وقفات شرعية وتاريخية على علم الأنساب) للباحث المحقق (عمار النعيمي)، وقد وجدته يختلف تماماً عن ما قرأته في كتب التاريخ؛ لما يحتويه من عناوين غاية في الأهمية، خاصة ذلك الربط المهني بين العلم الحديث، والتاريخ القديم، بفضل ما يمتلكه الأستاذ النعيمي من معلومات قيمة في علم الوراثة وعلم البصمة الوراثية، فهو باحث، ومحقق، يمتلك تفكيراً منظماً لكل طرح يطرحه، من أجل التوصل إلى حل مقنع للربط بين التواريخ، فقد اتبع خطوات علمية معتبرة، وتمتعه في الكفاءة العلمية التي وظفها بشكل مهني في هذا الكتاب. والذي شد انتباهي في ما كتبه الأستاذ عمار، هو ذلك الكم الهائل من المعلومات، ابتداءً من علم التاريخ والأنساب،

والربط بينهما، ثم إلى الاختلاف الحاصل بين جمهور المسلمين في بعض الأمور الصميمية، وقد أخذ من الطرفين المختلفين في آراءهما مع ذكر أوجه الاختلاف، وجعل لكل رأي مصادره وأسانيده، والإكثار من الشرح الوافي؛ لتكوين صورة نقية المعالم، حيث اختار الاختلاف المبني على الدليل، وليس الناشئ عن الهوى والتشهي، وابتعد عن التعصب المقيت لرأيٍ معين، الذي قد يؤدي إلى الشقاق والنزاع، ولكل من المختلفين وضع أدواته من معرف الكتب السماوية والعلمية، والمصادر الواضحة أمام رأيه، وهنا يأتي دور القارئ ليأخذ من هذه المصادر؛ لزيادة الوعي لديه في مفهوم الاختلاف المحمود وضوابطه، ويقدر الآراء المبنية على الأدلة الفقهية المعتمدة، عندئذٍ سوف يكون هذا الاختلاف سبباً في تقريبه والوصول إلى الحقيقة الغائبة عند البعض، وبكل شجاعة استطاع أن يُكَّوِنَ رأياً خاصاً به، وحسب ما استنتجه واستنبطه من خلال قراءته واطلاعه على الكثير من المصادر، ولأنه - أي الأخ الكاتب عمار النعيمي- هو أحد المختصين بعلم السلالات، وقد وفق في الربط بين العلم، والدين، فالإسلام أمر بطلب العلم وحث على ذلك. ويشهد تاريخنا الإسلامي الزاهر بالمكانة التي وصل إليها العلم بفضل ما وفره الدين الإسلامي من محفزات للعلم والعلماء، رغم أن هنالك بعض الصدع المتنامي عند بعض الفقهاء في توسيع الفجوة بين العلم والدين، وكلنا أمل بزوال هذا التناقض. أضافة إلى ذلك، ذهاب المؤلف إلى اللغة العربية، ومتى وجدت، ومواضيع أخرى كالعرب البائدة، والعاربة، والمتعربة، النسب، وطرق العمل به، والنسب الهاشمي، والقوميات، والأديان الأخرى التي عاشت في الجزيرة العربية، وغيرها من العناوين البحثية المهمة.

نبخس حق هذا الكتاب، إذا قلنا أنه كتاب يهتم بجانب واحد بل هو موسوعة شاملة في العلوم والمعرفة، والمصادر القيمة الزاخرة بالمعلومات،

والحقائق أتت في أكثر من خمسين عنوان، يغطي كُلاً منها مدخلاً كافٍ ووافٍ لحقلٍ معينٍ من الحقول المعرفية. وانتهى به إلى مجموعة من المصادر المعتبرة التي تعزز موثوقية المادة التي احتوته، وهنا تكمن قوة وقيمة هذا الكتاب.

إن هذا المجهود الضخم، هو في نظري مجهود أكثر من رائع؛ لأنه حوى على العلوم، والمعارف، والفقه، والتشريع، والتاريخ، والأديان، مما يحتاجه القارئ الشامل، والاطلاع على مضامينه، والاستمتاع، والاستفادة لدى مطالعته.

ومن واجبي أن أثمن جهود المؤلف الأستاذ (عمار النعيمي) بشخصه وبكل ما يحمله من فكر ومعرفة، وبعمله الرائد، الذي أثلج صدورنا، وبأسلوبه الشيق الموزون والمعتمد، فهنيئاً له، وزاد الله في توفيقه خدمةً للعلم والعلماء، مع أمنياتنا له بدوام التقدم في زيادة المعرفة والنجاح المستمر دون انقطاع، إن شاء الله تعالى.

المؤرخ الشيخ الدكتور حمود هاشم المحمداوي

رئيس الرابطة العراقية للتاريخ وتوثيق علم الأنساب

بسم الله الرحمن الرحيم

اطلعني الباحث المهندس عمار العاني سكناً، النعيمي نسباً، على مسودة كتابه القيم (وقفات شرعية وتاريخية على علم الأنساب)، والذي تحدث فيه:

١. عن هل أن آدم (عليه السلام) هو أبو البشر جميعاً، أم قبله كان أناسي آخرين؟

٢. وللإجابة قدم: عمّن نقل تاريخنا وعلومنا، وكيف حقيقة العلم وعدم تعارضه مع الدين الصحيح، والإيمان، وارتباط علم التاريخ، بعلم النسب ومصطلح التحقيق، والتدقيق، والتعليق، والتوضيح والتعريف.

٣. ثم عاد إلى الحديث عن الروايات التي تتحدث عن أناسي قبل آدم (عليه السلام).

٤. الاهتمام بأعراق الناس وأصنافهم .

٥. زمان نوح (عليه السلام)، وهل هو الأب الثاني للبشر الحاليين؟، وحقيقة سام وحام ويافث، ومن هم الشعوب السامية ؟

٦. عمر البشرية بين الروايات الدينية، والحقيقة العلمية.

٧. مدلولات القرن، وكم بين آدم (عليه السلام) والقرون الحالية، وعمر البشرية، وفق نظريات العلم الحديث .

٨. الطوفان وحقيقته، ونوح (عليه السلام) وأبنائه، وهل حقاً هم الذرية الباقية أم لا؟

٩. هل الأنساب علمٌ ظني، لأنه يؤخذ مشافهة بتوارث الرواية، ولم يدون إلا في القرن الأول الهجري ؟ وذكر الأسباب التي دعت إلى جعلهُ علم ظني.

١٠. أنواع الانتساب، والنسب الشرعي، والنسب البايولوجي.

١١. الفرق بين علم الأجناس، وعلم الجينات لتصنيف السلالات.

١٢. مفهوم العرب، وأهم الآراء المطروحة في نشأة اللغة العربية، وصحة ما ورد من حديث أن لغة أهل الجنة هي العربية، وإن أول من تكلم العربية هو آدم (عليه السلام)، وأثبت أنها غير صحيحة.

١٣. ثم تحدث عن الممالك العربية المعينية، والحضرمية، والقتبانية، والسبئية، والحميرية، والكندية، ومملكة الحضر، والأنباط، وتدمر، والمناذرة، والغساسنة.

١٤. نظرة إلى من يرى فضل العرب على العجم، وأول مبدأ الشعوبية، وحكم التفاخر في الأنساب، وتقسيم العرب إلى: (بائدة، وعاربة، ومتعربة، ومستعربة، وعرباء، وعاربة)، ومتى بدأ هذا التقسيم؟، وإلقاء نظرات على هذا التقسيم.

١٥. نسب سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، وعلاقته ببني إسرائيل، ونبذة عن تاريخ بني إسرائيل، وتقسيم اليهود، وانتشارهم في البلاد العربية، وخاصة في العراق واليمن والشام والمدينة، وفروعهم.

وأقول: أن كتاباً هذه مباحثه، وفصوله، جدير أن يقرأ، وجدير أن يكون لنا دور في مناقشته، وإثرائه بالبحث، والتحقيق، والتعضيد، لأن الباحث ما طرحه إلا للمناقشة الهادئة التي تفضي إلى أن لا نتعصب بعد اليوم في أمر كل ما ثبت عنه أنه ظني الدلالة، وليس قطعي الدلالة، وإن مفهوم (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) ينبغي أن يفهم بشكله الصحيح، وليس للمفاخرة والتعالي.

فشكراً لله على توفيقه للباحث على طرح هذه المباحث، وشكراً للباحث الذي أجاد في طرحه، ومناقشته الهادئة، ومزيداً من العطاء أبي عبد الرحمن، وفقك الله لكل خيرٍ، وسدد خطاك لما يحبه ويرضاه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الشيخ النّسابة المحقق

خليل إبراهيم الدليمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله والصلاة والسلام على رسوله محمد نبيه ومصطفاه، وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين. أما بعد:

فلقد أرسل لي الأخ المكرم (عمار محمود النعيمي)، الأستاذ والباحث في مجال الأنساب والمسائل الوراثية، كتابه الموسوم بـ (وقفات شرعية وتاريخية على علم الأنساب)، من أجل قراءته وإبداء الرأي فيه.

وبعد الاطلاع عليه، يمكنني القول:

بأن المسائل والدراسات التي تضمنها الكتاب من حيث البحث والمناقشة، هي مسائل شرعية تاريخية مرتبطة بأبحاث ونتائج علمية، حرية بأن تدرس ويقف عندها الباحثون، وهذا ما وجدناه في مضمون الكتاب، إذ أنه تناول المسائل التي تتعلق بالأنساب والمسائل الوراثية بأسلوب حديث، جمع ما بين الماضي والحاضر مستنداً بدراسته على الأمور الشعرية وما توصلت إليه من نتائج وأبحاث علمية.

إن المؤلف حاول الخروج من النمط الذي سار عليه كثير من المؤلفين والباحثين، من حيث التقليد في التأليف، والالتزام بأفكار السابقين وطرق المتقدمين من الباحثين والدارسين، فقدم لنا دراسة بنمط وأسلوب مغاير لما علية الدراسات السابقة، فجمع ما بين الماضي والحاضر، وما بين النصوص الشرعية والتاريخية، وما توصلت إليه الأبحاث الدراسية، والمختبرات العلمية.

وهذا مما يُحسب له ويحمد عليه، فعلى حد علمي – والله أعلم – إن الدراسات في هكذا مسائل من حيث الفكرة والطرح لم يسبقه إلى ذلك أحد.

وبما إننا في زمن التطور والحداثة فإن مكتباتنا العربية بشكل عام، والإسلامية على وجه الخصوص، بحاجة إلى هكذا دراسات ومؤلفات، في مجال الأنساب والمسائل الوراثية الحديثة التي تعطي ولو فكرة عامة عن أمور يجهلها كثيراً من مجتمعاتنا.

لذلك أتمنى أن تأخذ هذه الدراسة نصيبها وحظها الوافر في مجال ما بحثت وتوصلت إليه، وحتى لا تبقى هذه الدراسة حبيسة عند باحثيها، أرى طباعة الكتاب طباعة أولية؛ ليكون في متناول يد الباحثين والمختصين؛ لإبداء آراءهم وملاحظاتهم عليه، مع العزم على طباعته مره أخرى، بعد مراجعة الكتاب، والتدقيق في الأدلة والنتائج، والأخذ بالملاحظات التي أبديتها له.

هذا وأسأل الله تعالى أن يوفق الكاتب لما يحبه ويرضاه، وأن يتقبل عمله هذا بقبول حسن، وأن يجعل ما قدمه خالصاً لوجههِ الكريم.

كما وأتمنى له مزيداً من العطاء والتقديم فيما يخدم أمتنا الإسلامية وديننا الإسلامي الحنيف.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدكتور مجيد حميد ناصر أحمد المشهداني

أستاذ السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي

الجامعة العراقية – بغداد

المقدمــــة

إن المؤرخين القدامى كتبوا تاريخ الأمم وفق ما نقل إليهم عبر الأجيال سماعاً، وجمع ذلك عبر السنين بمؤلفات ضخمة، وكانت قصص وروايات وأخبار جمعت الغث والسمين، والصالح والطالح، والصحيح والكذب، وكانت مما وصل إلينا قصص اعتمد عليها من أقوال أهل الكتاب أخذت كمسلمات عند بعض المؤرخين المسلمين.

وكان من هذه النقولات هي أنساب الأمم، كالعرب واليهود والبربر والهند وغيرهم، وأُرجِعت أصولهم إلى أب ثاني للبشرية وهو نوح (عليه السلام).

وفي ظل الطفرة العلمية التي حصلت بالقرن العشرين، وهي اكتشاف البصمة الوراثية، المسماة (DNA)، التي أعطت للتاريخ أُفُقاً لقراءته من جديد، وغربلة الأخطاء المتراكمة، واستخلاص النتائج الصحيحة.

وكنتُ قد أسميتُ كتابي هذا بدايةً بـ (دراسة شرعية وتاريخية لعلم الأنساب وفق البصمة الوراثية الحديثة)، ولكنّي عدلتُ عن ذلك؛ لجعل الكتاب كتابين، فأناقش بالكتاب الأول أقوال المؤرخين، والأدلة التي اعتمدوا عليها في تقرير الأنساب، وبعض الأدلة الشرعية التي أوردها الفقهاء واحتجوا بها في علم النسب؛ ليكون بوابة إلى كتابي الثاني، وهو البصمة الوراثية والسلالات التي خرجت عليها القبائل والشعوب، وخاصة في العراق والدول المحيطة به.

وقد جعلتُ هذا الكتيب على شكل وقفات ناقشتُ بها أنَّ الإيمان لا يتعارض مع العلم، وناقشتُ الإسرائيليات التي ذكرت بكتبنا الإسلامية، والأحاديث الضعيفة والموضوعة التي بُنِيَ عليها أنساب الأمم، وناقشتُ عمر البشرية والطوفان، وأثبتُّ أن علم الأنساب علمٌ ظني، وناقشتُ مفهوم كلمة العرب قديماً ومدلولاتها.

وقد راعيتُ في هذه الوقفات أن تكون سهلة يفهمها القارئ بأي مستوى كان، حيث بسطتُ القول فيها؛ لكي تكون سهلة للشخص العلمي، الذي ليس لديه معرفة بأدلة الأصوليين الشرعيين، وخرّجتُ الأحاديث، وذكرتُ أقوال العلماء بها من صحة أو ضعف، بدون ترجيح لنا، وقد اعتمدتُ بكثرة على موقع الدرر السنية، للشيخ السقاف بالتخريج، وعلى المكتبة الشاملة لنقل النصوص، كما اعتمدتُ على الويكيبيديا، لترجمة أهم الشخصيات المذكورة ومعرفة سنة الوفاة لها، وكذلك استخدمتها لتوضيح المصطلحات العلمية -التي لا يعرفها إلا المختص- وبينتُ معناها بشكل بسيط؛ كي يسهل فهمها للشخص الأدبي كالمؤرخ، أو الأديب، أو النسّاب، الذي ليس له اهتمام بالمصطلحات العلمية.

وقد تحاشيتُ قدر الإمكان أن أخوض في المسائل الخلافية، وخاصة الشرعية؛ لأنّي أعلم أن هناك خلافات فقهية قديمة بين الفقهاء، والدخول بها يحتاج إلى مجلدات كبيرة.

وقد استرسلتُ بمواضيع، وإن كانت ليس لها بموضوع النسب ارتباط بصورة مباشرة، إلّا أن لها ارتباط غير مباشر بالموضوع، إن لم يكن محله هذا الجزء، فسيكون جواباً لسؤال يطرح عند كلامنا على البصمة الوراثية، في الكتاب الثاني – إن شاء الله- الذي سننشر به سلالات وتحورات القبائل والأمم، والذي يعتبر هذا الكتاب مقدمة له.

المؤلف

تمهيـــــد

قبل الدخول لمناقشة ما كتبة المؤرخون، والنسابة، وما وصل إلينا عبر التاريخ قبل قرون، لا بد من توضيح بعض المبادئ التي سنسير عليها، فنحن كمسلمين نؤمن بأن كلام الله حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكلام رسول الله ﷺ (الموحى إليه) من رب العالمين حقٌ أيضاً، أما غير ذلك من أقوال فهو اجتهاد، قد يصيب وقد يخطأ وهو ليس حجة علينا.

قال ابن عباس رضي الله عنه: ((ليس أحدٌ إلا يؤخذ من قوله ويدع غير النبي ﷺ))[١]. وقال الإمام مالك رحمه الله: ((كُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيَرُدُّ إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ))[٢].

ومع ذلك فإننا لا نجزم بأن كل حديث نقل إلينا، هو صحيح النسبة لرسول الله ﷺ بل هناك أحاديث صحيحة السند موقوفة[٣] أو مقطوعة[٤]، ورفعت[٥] للرسول ﷺ. وهناك أحاديث مرفوعة لرسول الله ﷺ، لا يصح سندها، قالها الكذابين تسمى أحاديث موضوعة، أو أحاديث سقط من سندها راوٍ تسمى (منقطعة)، أو رواها راوٍ سيء الحفظ، أو رواها راوٍ غير عدل، وتسمى أحاديث (ضعيفة).

---

[١] قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد، (1/ ٤٣٠)، رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات.

[٢] صححه عنه ابن عبد الهادي في إرشاد السالك، (١/ ٢٢٧).

[٣] الحديث الموقوف: هو الحديث المروي عن الصحابة قولاً أو فعلاً، صح أم لم يصح.

[٤] الحديث المقطوع: هو الحديث المروي عن التابعي قولاً أو فعلاً، صح أم لم يصح.

[٥] الحديث المرفوع: هو الحديث المروي عن الرسول ﷺ قولاً أو فعلاً، صح أم لم يصح.

ذكر ابن حجر العسقلاني أن جملة الأحاديث المسندة عن النبي ﷺ، (يعني الصحيحة بلا تكرار): أربعة آلاف و أربعمائة حديث[١].

ولا يخالف هذا قول بعض العلماء أن الأحاديث الصحيحة عشرون ألف حديث، حيث أن هؤلاء العلماء عدّوا الأحاديث الحسنة، والصحيحة لغيرها من ضمن الصحيحة، وكذلك عدّوا كل إسناد حديث هو حديث بذاته، علماً أن الأحاديث الضعيفة والموضوعة تزيد عن المائة ألف حديث، أكثرها محشوة في كتب التاريخ والأنساب والنوادر الأدبية.

وسنحاول في هذا البحث إيراد مصدر كل حديث، ومعرفة من مِنَ العلماء الذين صححوا الحديث، ومن مِنَ العلماء ضعفه.

وقد قلنا في بداية تمهيدنا هذا (كلام الرسول ﷺ، الموحى إليه من رب العالمين)، هو تقييد بالوحي؛ لأن الرسول ﷺ، بين أن الأمور الدنيوية ليست من التشريع فقال ﷺ، في حادثة تأبير النخل المشهورة: ((أنتم أعلم بأمور دنياكم))[٢]، وبوب عليه الإمام النووي في صحيح مسلم فقال: ((باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي))، ومن ذلك أمثلة كثيرة، كاستشارته ﷺ لبعض الصحابة؛ لاختيار موقع معركة بدر، وكإشارة سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه لحفر الخندق.

---

[١] النكت على ابن الصلاح، (ص٩٩٢).

[٢] رواه مسلم، (٢٣٦٣).

قال الشيخ المنجد: {وأما الخطأ في الأمور الدنيوية، فيجوز عليهم -يقصد الأنبياء- الخطأ فيها مع تمام عقلهم، وسداد رأيهم ، وقوة بصيرتهم ، وقد وقع ذلك من بعض الأنبياء، ومنهم نبينا محمد ﷺ، ويكون ذلك في مناحي الحياة المختلفة من طب، وزراعة، وغير ذلك.

فقد روى مسلم في صحيحه (٦١٢٧)، عن رافع بن خديج قَالَ: قَدِمَ نَبِيّ اللهّ ﷺ الْمَدِينَةَ ، وَهُمْ يَأْبُرُونَ النّخْلَ. يَقُولُونَ يُلَقّحُونَ النّخْلَ. فَقَالَ: مَا تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: كُنّا نَصْنَعُهُ. قَالَ: ((لَعَلّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْراً)) فَتَرَكُوهُ. فَنَفَضَتْ أَوْ قال: فَنَقَصَتْ. قَالَ: فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: ((إِنّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيي، فَإِنّمَا أَنَا بَشَرٌ ((ومعنى التأبير: التلقيح))}[1].

وهذا من باب ثبوت الحديث صحة، وثبوت أنه وحي من الرسول ﷺ، وليس اجتهاد هذا أولاً.

أما ثانياً: فثبوت النص يجب أن يتبعه دلالة قطعية وليس اجتهاد المفسر، أو الشارح؛ لأننا حين قلنا أن النص الثابت هو حجة، لكن يجب أن نعرف أن تفسير المفسر ليس حجة، وإنما هو اجتهاد قد يصيب، وقد يخطأ.

يقسم الأصوليون الأدلة من حيث الثبوت إلى قسمين:

القسم الأول: قطعي الثبوت، وهو ما ثبت الخبر بوصوله لنا كالقرآن الكريم والأحاديث المتواترة المتفق على صحتها.

---

[1] موقع الإسلام سؤال وجواب، رقم (٤٢٢١٦).

والقسم الثاني: ظني الثبوت، كالأحاديث المختلف في صحة نسبتها للرسول ﷺ. ويقسموه من حيث الدلالة إلى قسمين أيضاً: قطعي الدلالة، وظني الدلالة.

قال الشيخ خلّاف: ((فالنص القطعي الدلالة: هو ما دلَّ على معنى متعيَّن فهمه منه ولا يحتمل تأويلاً ولا مجال لفهم معنى غيره منه ، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ﴾[1]، فهذا قطعي الدلالة على أن فرض الزوج في هذه الحالة النصف لا غير، ومثل قوله تعالى في شأن الزاني والزانية: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾[2]، فهذا قطعي الدلالة على أن حد الزنا مائة جلدة لا أكثر ولا أقل، وكذا كل نصٍّ دلَّ على فرضٍ في الإرث مقدَّرٍ أو حدٍّ في العقوبة معيَّن أو نصاب محدَّد.

وأما النص الظني الدلالة: فهو ما دلّ على معنى ولكن يحتمل أن يؤول ويُصرف عن هذا المعنى ويراد منه معنى غيره، مثل قوله تعالى ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[3]، فلفظ القرء في اللغة العربية مشترك بين معنيين يطلق لغة على الطُهر ويطلق لغة على الحيض، والنص دل على أن المطلقات يتربصن ثلاثة قروء، فيحتمل أن يراد ثلاثة أطهار، ويحتمل أن يراد ثلاث حيضات، فهو ليس قطعي الدلالة على معنى واحد من المعنيين، ولهذا اختلف المجتهدون في أن عدة المطلقة ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار))[4].

---

[1] سورة النساء: من الآية: (١٢).

[2] سورة النور: من الآية: (٢).

[3] سورة البقرة: من الآية: (٢٢٨).

[4] كتاب علم أصول الفقه، (ص٣٥).

بقي أن نعرف بأن كثير من تاريخ الأمم السابقة أخذت من أقوال أهل الكتاب فقد أخذ المؤرخون المسلمون تفاصيل السرد من كتاب التوراة المحرف، للاستئناس وليس كقول قطعي، قال ابن كثير رحمه الله: ((هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد))[١].

ومعروف أن بعض المؤرخين كحاطب ليل يكتب كل ما سمعه؛ لأن أقوال التاريخ لا يبنى عليها حكم شرعي، مستندين بذلك إلى قول الرسول ﷺ: ((لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا))[٢]، وقوله ﷺ : ((حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج))[٣].

قال مالك: ((المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا))[٤].

قال الشيخ المفسر محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى: ((من المعلوم أن ما يروى عن بني إسرائيل من الأخبار المعروفة بالإسرائيليات له ثلاث حالات: في واحدة منها يجب تصديقه، وهي ما إذا دل الكتاب، أو السنة الثابتة على صدقه، وفي واحدة يجب تكذيبه، وهي ما إذا دل القرآن أو السنة أيضاً على كذبه، وفي الثالثة لا

---

[١] تفسير ابن كثير، (١/ ٩).

[٢] رواه البخاري، (٧٣٦٢).

[٣] رواه أبو داود، (٣٦٦٢)، وصححه الألباني، وابن حبان في صحيحه، (٦٢٥٤)، والمعلمي في الأنوار الكاشفة، (١٢٣)، والوادعي بالصحيح المسند، (١٣٧٨)، وضعفه الذهبي في الأحاديث المختارة، وقال: منكر، (٨١).

[٤] عون المعبود في شرح الحديث أعلاه.

يجوز التكذيب ولا التصديق وهي ما إذا لم يثبت في كتاب ولا سنة صدقه ولا كذبه))[1].

فملئت كتب التاريخ بما تسمى الإسرائيليات بل وصل الأمر لكتب الحديث، وكتب التفسير، وخير شاهد على ذلك حديث سام وحام ويافث الذي هو خبر من أخبار أهل الكتاب بني عليه علم النسب بأكمله، والأمثلة المشتهرة كثيرة منها، تسمية ملك الموت (بعزرائيل)، وهو مما لم يثبت لا في القرآن ولا في السنة، بل هو قول أهل الكتاب، وكقابيل وهابيل، قال الشيخ أحمد شاكر: {وأما تسميتهما (بقابيل وهابيل) فإنما هو من نقل العلماء عن أهل الكتاب، لم يرد به القرآن، ولا جاء في سُنَّة ثابتة فيما نعلم، فلا علينا ألا نجزم به ولا نرجِّحه، وإنما هو قول قِيل}[2].

وكذلك شعيب (عليه السلام) هو أبو البنات اللاتي تزوجهم موسى (عليه السلام)، والمشهورة عند العامة، علماً أن موسى (عليه السلام) لم يدرك زمن شعيب، قال الشيخ السعدي رحمه الله: {وهذا الرجل أبو المرأتين صاحب مدين ليس بشعيب النبي المعروف كما اشتُهِر عند كثير من الناس، فإن هذا قولُ لم يدل عليه دليل، وغاية ما يكون أن شعيباً عليه السلام قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين}[3].

---

[1] أضواء البيان، (٤/ ٢٣٨).

[2] عمدة التفسير، (١/ ٦٦٢).

[3] تفسير السعدي، سورة القصص، الآيات: (٢٢-٢٨).

وهنالك مسائل لم يأتي به حديث صريح صحيح ليقطع كقصة من الذبيح ؟ هل هو إسحاق، أو إسماعيل (عليهما السلام)؟ وهي مسألة خلافية بين أهل العلم، وأما قول أن إسماعيل هو الذبيح فهو اجتهاد لبعض المتأخرين من العلماء.

بعد أن بينّا الأدلة الشرعية في التعامل مع ما كتبه المؤرخون، لا بد لنا أن نميز المصطلح العلمي العملي لنكون على بصيرة من أمرنا في التعامل مع النصوص، فهناك معطيات لا بد من فهمها ومعرفتها والتفريق بينها، وهي الفرق بين الحقيقة العلمية والنظرية:

الحقيقة (Fact):

الحقيقة:هي أي شيء يمكن ملاحظته أو قياسه، وثبت علمياً بما لا يجعل الشك مثل: إن النار تحرق، ودوران الأرض حول الشمس، وأن الارض كروية.

لذلك من اجتهد من العلماء وقال بأن الإنسان لن يصل إلى القمر، أو أن الأرض لا تدور حول الشمس، اعتماداً على تفسير من القرآن، فهو اجتهاد شخصي مردود، ولا يؤخذ به.

النظرية (Theory):

النظرية: هي مفهوم معين لتفسير ظاهرة طبيعية، أو اقتصادية، أو اجتماعية، والنظرية مفهوم علمي أنشأ بناء على جملة من الأدلة، والحقائق، والقياسات، والملاحظات، والنظرية قد تكون قوية، أو ضعيفة، والنظرية القوية هي التي يمكن اختبارها، والتي تساهم في اكتشاف وتوقع ظواهر أخرى، إذا جاءت أدلة علمية ملموسة تثبتها تصبح حقيقة.

والنظرية العلمية يعمل بها ما لم تعارض نقلاً صحيحاً صريحاً من القرآن الكريم أو السنة النبوية.

فنظرية التطور بمفهومها العام مردودة عندنا نحن المسلمين؛ لأنها تعارض أصلاً شرعياً، وهو أن البشر كلهم من آدم (عليه السلام)، وآدم أُنزِل من الجنة ولم يتطور من قرد أو أي كائن آخر.

العلم لا يتعارض مع الإيمان:

لقد ظهرت صورتان للعالم، الأولى: ما أُطلِق عليه النظرة العلمية، أو الطبيعية للعالم، والثانية: ما أُطلِق عليه النظرة الدينية، هذا ما حصل في العصور الوسطى أواسط القرن السادس عشر الميلادي، بين الكنيسة والعلماء، وكيف كانت الكنيسة شديدة على العلماء، ومن هنا بدأت مشاكل العلم والدين بأوروبا.

فقد كفرت الكنيسة كوبرنيكُس المُتَوَفَّى سنة (١٥٤٣م) وطالبت بقتله، بل وأحرقت كتبه، ومنعت تدريسها لقوله بنظرية مركزية الشمس، وأن الأرض تدور حولها[1]، وقد قامت الكنيسة بحرق برنو سنة (١٦٠٠م) في روما؛ بسبب آراءه في الكون، ولا سيما ما سميت بنظرية كوبرنيكُس، وهي أن الأرض ليست مركز الكون، كما رموا بالسجن عالم الرياضيات والطبيعة، الإيطالي المشهور غاليليو، المُتَوَفَّى سنة (١٦٤٢م) الذي قال بدوران الأرض حول الشمس،

---

[1] وكوبرنيكُس سرق نظريات ابن الشاطر، **(ت: ٧٧٧هـ)**، ونسبها لنفسه، وقد علق نويل سويردلو، (أن نموذج كوبرنيكُس الخاص بكوكب عطارد خاطئ). وبما أنه هو نفسه نموذج ابن الشاطر، فهذا يشكل أفضل دليل على أن كوبرنيكُس كان ينسخ أعماله من مصادر أخرى، من دون فهم كامل، وهذا يثبت على الأقل أن ابن الشاطر كان لهُ الأثر الكبير على أعمال كوبرنيكُس. وقد وجد في عام (١٣٩٣هـ) مخطوطات باللغة العربية في بولندا مسقط رأس كوبرنيكُس اتضح منها أنه كان ينقل من تلك المخطوطات العربية وينسبها لنفسه.

وحكموا على كامبانلا، المُتَوَفَّى سنة (١٦٣٩م) بالسجن المؤبد، قضى فيه (٢٧ سنة)، لأنه كان يرى أن الأجرام السماوية غير محدودة.

لذلك من الخطأ أن نسمي ما حدث في الغرب صراع بين الدين والعلم، بل الأصح أن يسمى صراعاً بين الكنيسة والعلم.

أما في الإسلام فلم يقف الدين أبداً عائقاً في طريق المسلمين للعلم، سواءً في الجانب النظري، أو في الجانب العملي التطبيقي، بل التشريع الإسلامي بالقرآن والحديث حثَّ على تعلم العلوم الدنيوية، والعمل بها ولم يعارضها.

بل أمر ببعضها كالطب، فحثَّ على استخدام الدواء، قال ﷺ: ((إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيْثُ خَلَقَ الدَّاءَ خَلَقَ الدَّوَاءَ فَتَدَاوَوْا))[1].

إن الإسلام جاء بعقيدة وشريعة؛ لأجل عبادة الله، وليس كتاب تاريخ، لذلك نرى أن القرآن الكريم لم يذكر السنين أو التواريخ، إلا بشكل يسير، إذا ما استثنينا بعض الآيات التي خصت نبي الله نوح (عليه السلام)، ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾[2]، بل كان يذكر الأحداث التاريخية للعبرة وليست للإطناب، فقال تعالى ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾[3]، لم يذكر كم كانت هذه القرون، بل ذكر قروناً الله أعلم بعددها، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[4].

[1] رواه الإمام أحمد، (١٢١٨٦)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، (1633).

[2] سورة العنكبوت: من الآية: (١٤).

[3] سورة الفرقان: من الآية: (٣٨).

[4] **سورة غافر: من الآية: (٧٨).**

لم يذكر القرآن الكريم إلا خمسٌ وعشرون نبياً، وقيل أن الأنبياء كان عددهم مائة وأربع وعشرون ألف نبي، فعن أبي ذرٍّ ﷺ قال: ((قلتُ يا رسولَ الله، كم الأنبياء؟ قال : مائةُ ألفٍ وأربعٌ وعشرونَ ألفاً . قلتُ : يا رسولَ الله كم الرسلُ منهم؟ قال : ثلاثمائةٍ وثلاثةَ عشرَ. قلتُ : يا رسول الله، من كان أولهم؟ قال: آدم، قلتُ: يا رسول الله، نبيٌّ مرسلٌ؟ قال: نعم))[1].

بل ذكر الله عزّ وجل أن هناك سيكون خلاف ظني في هذه الأعداد، كما ورد في سورة الكهف، إذ قال تعالى ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾[2].

ومسائل التاريخ ذكرها الله تعالى كعبرة وليس كسرد تاريخي، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

ولم يعرف على مدى حكم المسلمين خلافاً في ذلك، ولم تقع تقاطعات بين علماء الدين من جهة وعلماء الطبيعيات من جهة أخرى من طب، وهندسة، وعلوم كونية، (إذا ما استثنينا علماء الفلسفة وهي ليست من العلوم الطبيعية)،

---

[1] رواه ابن حبان، (٣٦١)، وقال عنه ابن حجر في تحفة النبلاء (١٤٤)، في صحته مقال.

[2] سورة الكهف: الآية: (٢٢).

[3] سورة يوسف: الآية: (١١١).

ومِنَ العلماء من ألّف كُتباً في عدم تعارض الشريعة مع العقل الصحيح السوي، مثل كتاب درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية.

ومن الكتب التي أُلِّفَت في مجال العلم والدين، هو كتاب للطبيب الفرنسي موريس بوكاي، بعنوان (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)[1].

وكتاب (Man Does Not Stand Alone)، الإنسان لا ينهض وحده، للعالم الأمريكي المشهور كريسي موريس، وهو رد على الملحد جوليان هكسلي بكتابه، (Man Stand Alone)، الإنسان ينهض وحده، وقد ترجم كتاب الأستاذ موريس، وهو بعنوان (العلم يدعو للإيمان)، وهو كتاب علمي قبل كل شيء، إذ يعالج مسائل تختص بالفلك، والجيولوجيا، والطبيعة، والكيمياء، والطب، وعلم الأحياء، ونحوها، ولكنه بسط هذه المسائل العلمية لدرجة تقربها إلى ذهن كل قارئ، ومن عجب أن يستوعبها كلها في هذا الحيز الصغير، وأن يعرضها بشكل جذاب.

[1] ومن أجمل ما قاله بوكاي في أحد لقاءاته المنشورة على الأنترنت: ((أما بالنسبة للقرآن فلم أعثر فيه على آية واحدة مناقضة للعلم)).

الاعتراضات على العلوم كانت وما زالت تدور بمحورين:

المحور الأول: وهي نظرية المؤامرة، وهي نظرية مترسخة في عقول العرب وبعض السذج، وتستند هذه النظرية إلى أن أي شيء يحصل بالعلم أو السياسة هي خطة مرسومة من الصهيونية العالمية واليهود والماركسية ... إلخ.

وهي من أسخف النظريات التي يُضحك بها على عقول الناس السذج، ومن الأمثلة في ذلك، في الستينات من القرن العشرين، إشاعة أن الأسمدة التي بدأت الدولة توزعها آنذاك للفلاحين ما هي إلا سموم لتدمير الزراعة بالبلد.

المحور الثاني: وهو المحور الديني، وهي الفتاوى التي تصدر بدون دراسة للموضوع من كل جوانبه في تحريم هذا الشيء، ومن أمثلة ذلك، تحريم الراديو بخمسينات القرن العشرين، بحجة أنه شيطان يتكلم، ومنع العلماء دخول المطابع، وتحريم طبع الكتب الإسلامية بها، والسماح بدخولها للأقليات كاليهود، والنصارى[1]، والمحورين سببها الجهل وعدم الإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه.

لذلك يجب التفريق بين التصديق بالأصول القطعية الثبوت، والقطعية الدلالة، التي لا يجوز تكذيبها، وأن تكذيبها يؤدي للكفر، وبين النصوص الغير القطعية الثبوت والدلالة.

فمثلاً نقول إن البشرية كلها من نسل آدم (عليه السلام)؛ لأن هذا ثابت بأدلة قطعية الثبوت، والدلالة والمنكر لهذا يكون في دائرة تكذيب القرآن الكريم.

---

[1] وهذا يفسر سبب امتلاك المطابع عند النصارى فقط، فقد حرم العلماء في تركيا ومصر امتلاك المطابع للمسلمين، بل حرمت حتى طباعة القرآن بها، أما تأسيس أول مطبعة عربية بإسطنبول فتم بعد قرنين ونصف القرن عن صدور فرمان تحريمها.

ولكن أين نزل آدم (عليه السلام)؟ وكم سنة بينه وبين النبي محمد ﷺ ؟ وكم ابن عنده؟ هذه لم تثبت بأدلة صريحة، وجُلها مأخوذ من الإسرائيليات.

وكذلك طوفان نوح (عليه السلام)، فقد ثبت بالقرآن، ومنكره مكذب لكتاب الله تعالى، ولكن متى حصل الطوفان؟ هل الطوفان غمر كل الأرض أم لا؟ من نجا من الطوفان؟ هذه المسائل لم يتحدث عنها القرآن الكريم، فتبقى في مجال الاجتهاد.

علم التاريخ (Historiography):

قبل البدء بالدخول في تفاصيل علم النسب يجب أن نأخذ فكرة عن علم التاريخ، لما له من ارتباطات وثيقة لا تنفصل عن علم النسب.

قال الجوهري: ((التأْريخُ: تعريف الوقت، والتَوْريخُ مثله، وأَرَّخْتُ الكتابَ بيوم كذا، ووَرَّخْتُهُ، بمعنىً))[١].

وهو فرع من العلوم الإنسانية، وقد عرّفه السخاوي بأنه: ((فن يبحث عن وقائع الزمان من حيث توقيتها، وموضوعه الإنسان والزمان))[٢].

أما عن أصل كلمة التاريخ، فقد اُختلف فيها، فقيل: أصلها من السامية من لفظة (أرخو) التي تعني بالأكدية (القمر)، وبتغير منازل القمر، تتغير الأيام، وبالتالي يعني التاريخ، وفي العبرية (يرخ) أو (يارخ) وتعني أيضاً (القمر)، ولعل

[١] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الفارابي، (ت: ٣٩٣هـ)، مادة (أرخ).

[٢] الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، الإمام شمس الدين السخاوي، (ت: ٩٠٢هـ)، (ص١٩).

الاختلاف بين اللغتين في اللفظ فقط. وهناك من يرجعها إلى اللغة الفارسية وهي (ماه روز) بمعنى حساب الشهور[1].

ويرى البعض أنها مشتقة من (ورخ) لغة اليمن الجنوبية.

اهتم عرب الجنوب بالتاريخ أكثر من عرب الشمال، بسبب الحضارات التي قامت باليمن، وبقاء ملكهم بالمناذرة والغساسنة، ولم يكونوا يستخدموا كلمة التاريخ، بل استخدم العرب كلمة خبر بمعنى التاريخ. وكان عرب المناذرة عندهم كتب تحكي أخبارهم وأنسابهم، وقد حفظت بأديرة الحيرة، كدير هند الكبرى والصغرى، وكانت عندهم نقوش، وكذلك عرب الشام عندهم نقوش معروفة لحد اليوم.

أما عرب الشمال فكانت رواياتهم شفوية تروى كقصص وشعر، تناقلتها الأجيال ولم تدون إلا بالعصر الأموي.

كان لاعتناق اليهود والنصارى الإسلام عوناً كبيراً في إثراء التاريخ العربي بالمعلومات، وذلك لما يعرفونه من كتبهم حول الأنبياء، وبدأ الخليقة، وبدا هذا واضحاً في كتب المؤرخين العرب، ومن أعلام من أخذ عنهم كعب الأحبار الحميري، المُتَوَفَّى (سنة ٣٢ هـ)، ووهب بن منبه المُتَوَفَّى (سنة ١١٤هـ) ، فضلاً عن ما نقله المعمرين من تاريخ الجاهلية، كعبيد بن شرية الجرهمي، أقدم مؤرخي العرب، المُتَوَفَّى (سنة ٦٧ هـ)، الذي قيل أنه عمر (٢٢٠ سنة)، وله كتاب الملوك وأخبار الماضين تكلم فيه عن اليمن.

---

[1] المصدر نفسه، (ص١٦).

علماً أن أول من ألّف بالتاريخ هو: عوانة بن الحكم الكوفي، المُتَوَفَّى (سنة ١٤٧ هـ)، كتاب اسمه (كتاب التاريخ) ولم يصلنا هذا الكتاب.

ثم ازداد التأليف بالقرن الثالث للهجرة، وبرز مؤرخون من علماء الحديث، إذ دونوا كل ما سمعوه، بالأسانيد ولم يراعوا صحيح القول من باطله، اعتماداً على مقولة (من أسند فقد أحال ومن أحال فقد برئ)، أي من أسند فقد برئت ذمته.

قال الطبري: ((وليعلم الناظر في كتابنا هذا، أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه، مما شرطت أني راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم، إلا بإخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين، مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا))[1].

قال الألباني: ((إن القاعدة عند علماء الحديث أن المحدث إذا ساق الحديث بسنده ، فقد برئت عهدته منه، ولا مسؤولية عليه في روايته، ما دام قد قرن معه

[1] تاريخ الأمم والملوك، الطبري، (ت:٣١٠هـ)، (١/ ٧).

الوسيلة التي تُمكِّن العالم من معرفة ما إذا كان الحديث صحيحاً، أو غير صحيح، ألَا وهي الإسناد))[١].

والمعروف أن المؤرخ (أو الناقل) إنساناً ليس بمعصوم، يتأثر بمعتقده، فيدافع عنه، أو بقبيلته، فلا ينسب لها عيباً، وبحبه، أو كرهه للخليفة الحاكم آنذاك، أو تأثره بمذهبه فنجد هذا واضح بين مؤرخ وآخر، يذكر الرواة أن الراوي التاريخي سيف بن عمر التميمي المُتَوَفَّى (سنة ٢٠٠ هـ) أدخل للتاريخ مئات الشخصيات الوهمية، ونسبها إلى تميم ليزيد شهرة قبيلة تميم.

وقد صدق الشاعر الرصافي المُتَوَفَّى (سنة ١٩٤٥م) حينما قال[٢]:

فَمَا كُتُبُ التَّارِيخِ فِي كُلِّ مَا رَوَتْ   لِقُرَّائِهَا إِلاَّ حَدِيثٌ مُلَفَّقُ

نَظَرْنا لأَمْرِ الحَاضِرِينَ فَرَابَنَا   فَكَيْفَ بِأَمْرِ الغَابِرِينَ نُصَدِّق

من هنا برز ما يسمى التحقيق وهو جمع ما كتبة المؤرخون في موضوع ما، ودراسته وتمحيصه واستخلاص الحقيقة منه.

التحقيق بين أهل العلم وأهل الأهواء:

قال ابن منظور: ((وحَقَّ الأَمرُ يَحِقُّ ويَحُقُّ حَقّاً وحُقوقاً: صَارَ حَقّاً وثَبت... وحَقَّه يَحُقُّه حَقًّا وأَحَقَّه، كِلَاهُمَا: أَثْبَتَهُ وَصَارَ عنده حقّاً لا يشكُّ فِيهِ))[٣].

---

[١] مقدمة تحقيقه لكتاب، (اقتضاء العلم العمل)، الخطيب البغدادي، **(ت: ٤٦٣هـ)**.

[٢] من قصيدة ضلال التاريخ.

[٣] لسان العرب، ابن منظور، **(ت: ٧١١هـ)**، مادة (حقق).

التحقيق في الكتب يدل على معنيين:

الأول: هو تحقيق المخطوطات ،قال الأستاذ المحقق الدكتور بشار عواد : ((التحقيق هو ضبط النص وتقيده وإخراجه أقرب ما يمكن إلى الصيغة التي أرادها مؤلفه يوم دونه، والتعليق وهو ما يفيد القارئ قدر المستطاع ويقربه من النص ويجلي نصوصه بالشروح والتوضيحات والتعريفات وبيان الأوهام))[1].

الثاني: هو دراسة مسألة ما؛ لمعرفة صحة المعلومة، أو خطأها، وذلك من خلال وجود علة قادحة ينتبه لها المحقق الحاذق، وهو يختلف عن تحقيق مسائل الفقه. قال الخطيب الشربيني الشافعي نقلاً عن أبي المواهب: ((إِثْبَاتُ الْمَسْأَلَةِ بِدَلِيلِهَا تَحْقِيقٌ، وَإِثْبَاتُهَا بِدَلِيلٍ آخَرَ تَدْقِيقٌ))[2].

والعلة عبارة عن سبب غامض خفي يقدح في صحة الحديث، أو الحدث، (كعلل بسبب التاريخ)، وقد تكون العلة بسبب واضح جلي، كأن يكون الراوي كذّاب، ولكل علم من العلوم علل يعرفها أصحابها، وتعد علة التاريخ (في أغلب العلوم كعلم الحديث والتاريخ والنسب)، من أقوى العلل للتميز بين صحيح القول وسقيمه.

قال سفيان الثوري الْمُتَوَفَّى (سنة ١٦١هـ): ((لمّا استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ))[3]، وهناك كثير من الأمثلة نذكر منها على سبيل المثال:

---

[1] كتاب (ضبط النص والتعليق عليه)، (ص٢٩)، (بتصرف).

[2] مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الخطيب الشربيني، (ت: ٩٧٧هـ)، (١/ ١٠٢).

[3] تاريخ دمشق، ابن عساكر، (ت: ٥٧١هـ)، رقم (٨١).

روي عن إسماعيل بن عياش محدث الشام **المُتَوَفَّى (سنة ١٠٨هـ)**، قال : ((كنت بالعراق، فأتاني أهل الحديث ، فقالوا: هاهنا رجل يحدث عن خالد بن معدان، فأتيته، فقلت: أي سنة كتبت عن خالد بن معدان؟ فقال: سنة ثلاث عشرة -يعني ومائة-، فقلت: أنت تزعم أنك سمعت من خالد بن معدان بعد موته بسبع سنين؟ قال إسماعيل: مات خالد سنة ست ومائة))[1].

ولَمَّا ادَّعَى (الخَيَابِرَةُ)، أنَّ معهم كِتاباً نبوياً فيه إسقاطُ الجِزية، أوقف ابن مسلمةَ الخطيب (أي الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ) على هذا الكتاب فقال: (هذا كذب) فقال له: وما الدَّلِيلُ على كَذِبِهِ؟ فقال: لأنَّ فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر، وقد ...كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة، وإنَّما أسلم معاوية يوم الفتح، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وقد مات قبل خيبر عام الخندق سنة خمس. فَأُعْجِبَ النَّاسُ بذلك[2].

ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه، قال: ((حدَّثني عبد الله بن عبد الرحمن الدَّارمي قال: سمعتُ أبا نعيم و ذكر المعلَّى بنُ عُرفان فقال: حدَّثنا أبو وائل قال: خرج علينا ابن مسعود بصفِّين فقال أبو نعيم: (أتُراهُ بُعِثَ بعد الموت؟!)، قال الإمام النَّووي معلِّقاً على هذا الكلام: ((معنى هذا الكلام أنَّ المُعلَّى كذب على أبي وائل في قوله هذا؛ لأنَّ ابن مسعود تُوُفِّيَ سنة اثنتين وثلاثين، وقيل سنة ثلاث وثلاثين، والأول قول الأكثرين، وهذا قبل انقضاء خلافة عثمان

---

[1] مقدمة ابن الصلاح، (١/ ٣٨٠).

[2] البداية والنهاية، ابن كثير، (**ت:** ٧٠١ هـ)، (١٢/ ١٢٤).

بثلاث سنين، وصِفِّين كانت في خلافة علي بعد ذلك بسنتين فلا يكون ابن مسعود خرج عليهم بصِفِّين إلا أن يكون بُعث بعد الموت...))[١].

أورد الطبري في تفسيره لآية ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٢]، فقال كعب: أن هارون المذكور ليس بهارون أخي النبي موسى فقالت له عائشة رضي الله عنها: كذبت، قال: يا أمّ المؤمنين، إن كان النبيّ ﷺ قاله فهو أعلم وأخبر، وإلّا فإني أجد بينهما ستّمائة سنة، قال :فسكتت[٣].

لأن هارون، أخو موسى (عليهما السلام) كان في زمن موسى (عليه السلام)، أما مريم والدة عيسى (عليهما السلام) فكانت بعدهم بستمائة سنة.

وللأسف تصدى للتحقيق بالعصر الحديث بعض الأشخاص، الذين لم تكن عندهم المؤهلات العلمية الكافية، أو ممن تأثروا بمدارس المستشرقين، وبدأوا يكتبون التاريخ حسب زعمهم، وفق أفكار ديكارت، ونظرية الشك، أو بحجة دراسة التاريخ الرانكوتية[٤]، فأساءوا إلى التاريخ الإسلامي، وأساءوا إلى الأدب العربي.

كأن مؤرخينا القدامى سذجة يكتبوا التاريخ وفق الأساطير، ولم يعلم هؤلاء المساكين أن مؤرخينا كانوا علماء بأنواع العلوم، فأغلبهم كان مفسر،

---

[١] شرح النووي على مسلم، (١/ ١١٧).

[٢] سورة مريم: الآية: (٢٨).

[٣] تفسير الطبري.

[٤] وفق آراء الفيلسوف الألماني رانكه.

ومحدث، وعالم باللغة، والأصول، وبتاريخ الديانات، والفلسفة، ومختلف العلوم الأخرى، وأدناه بعض من الإنكارات التي أثبتها فطاحلة العلماء والمؤرخين، ولم ينكرها إلا بعض المعاصرين:

أولاً: إنكار وجود إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام).

قال طه حسين المتوفى سنة (١٩٧٣م): ((للتوراة أن يحدّثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدّثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الإسمين في التوراة والقرآن، لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدّثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة))[١].

ثانياً: إنكار وجود المهدي:

اتفق قدامى علماء السنه والشيعة على وجود شخصية المهدي (مع الاختلاف بولادته الآن) وإنما قال بإنكاره بعض المعاصرين ممن تأثروا بالمعتزلة. يقول محمد رشيد رضا: ((وأما التعارض في أحاديث المهدي فهو أقوى وأظهر، والجمع بين الروايات فيه أعسر، والمنكرون لها أظهر، ولذلك لم يعتد الشيخان البخاري ومسلم بروايتها في صحيحهما، وقد ضعف كثير من أئمة المسلمين أحاديث المهدي))[٢]. وهؤلاء يرون أن فكرة المهدي مأخوذة من اليهود وليس للإسلام حظ منها.

ثالثاً: إنكار حرب صفين والجمل، وهذه قالها بعض المعتزلة سابقاً، ذكر

---

[١] كتاب الشعر الجاهلي، (ص٢٦)، نقلاً عن فتوى الأزهر.

[٢] تفسير المنار، (ص٤١٦).

القاضي عياض رحمه الله في الشفا، ونقل ذلك ابن حجر وغيره: ((كإنكار هشام، وعباد، وقعة الجمل، ومحاربة علي لمن خالفه))[1].

وهشام هو هشام الفوطي المعتزلي وعباد هو عباد الصيمري وهو تلميذ هشام الفوطي المُتَوَفَّى (سنة ٢٥٠هـ)، وهما عالمان من علماء المعتزلة.

رابعاً: إنكار أن زينب، ورقية، وأم كلثوم، من بنات الرسول ﷺ، وهي مسألة مجمع عليها بين السنة والشيعة قديماً.

قال حسن مكي العاملي في رد على سؤال حول هذا الموضوع: ((بل كونهن بنات الرسول من صلبه ومن خديجة (عليها السلام)، هو من معتقداتنا منذ الزمن الأول، وعليه عظماء الطائفة أمثال الصدوق، والمفيد، والمرتضى، والطوسي، وغيرهم، بل جميعهم. وأما الشواذ من الأقوال التي هي غالباً مستندة إلى مفردات عامية، أو تخرصات في التحليل، فلا يأبه لها)).

خامساً: إنكار وجود ابن سبأ وهي شخصية أُثبتت بكتب السنة والشيعة.

ذكر الشيخ علي آل محسن في كتابه عن عبد الله بن سبأ ثلاث روايات، عدها صحيحة عن عبد الله بن سبأ، وعلق عليها قائلاً: ((وهذه الروايات الثلاث صحيحة السند، وهي دالة على وجوده)).

سادساً: إنكار الشاعر المعروف قيس بن الملوح العامري، قال الذهبي في السير: وقد أنكرت طائفة وجود ليلى والمجنون.

---

[1] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، (٢/ ٢٩٠).

سابعاً: إنكار نسب الخلفاء العباسيين إلى ابن عباس ﷺ ابن عم الرسول ﷺ.

ثامناً: إنكار وجود القعقاع بحجة أن الذي روى عنه هو سيف بن عمر المتهم بالكذب.

تاسعاً: إنكار الشخصية الصوفية أحمد البدوي، (وقد نفاها الشيخ أحمد شاكر).

عاشراً: إنكار وجود المعلقات السبع، أو العشر، قبل الإسلام، بحجه أن راوي المعلقات حماد الراوية الكذاب.

الإنسان[١] (Homo sapiens):

يعرفه البيولوجيين أنه الكائن الحي الوحيد المتبقي من الإنسان العاقل (جنس الهومو[٢]) فرع قبيلة أشباه البشر التي تنتمي إلى فصيلة القردة العليا وهو العاقل الوحيد، الذي يمتلك -خلافاً لبقية الحيوانات على الأرض- دماغ عالي التطور، قادر على التفكير المجرد، واستخدام اللغة، والنطق، والتفكير الداخلي الذاتي، وإعطاء حلول للمشاكل التي يواجها الإنسان.

وهو يمتلك جسماً منتصباً، ذا أطراف مفصلية علوية، وسفلية، يسهل تحريكها وتعمل بالتناسق التام مع الدماغ، وهي خاصية تجعل من الإنسان الكائن الحي الوحيد على البسيطة الذي يستطيع توظيف قدراته العقلية والجسمية لصناعة الأدوات الدقيقة وغير الدقيقة التي يحتاجها في حياته اليومية.

يرى التطويريون أن الإنسان مر بسلسة من المراحل التطويرية، انتهى به المطاف لشكله هذا، ويرى المؤمنون بالكتب السماوية أن آدم[٣] (علية الصلاة

---

[١] قال سعيد بن جبير: ((وإنما سُمي إنساناً لأنه نسي)). تفسير الطبري، (١/ ٤١٧).

[٢] يصنف جنس الأناسي، (الهومو) إلى ثلاثة أنواع: وهي ١- الإنسان البدائي ويشمل الإنسان العامل، والإنسان الماهر. ٢- الإنسان المنتصب: ويشمل إنسان هايدلبيرغ، ونياندرتال، وإنسان روديسيا. ٣- والإنسان العاقل: ويشمل الإنسان العاقل الأول (وهو منقرض)، والإنسان العاقل الحديث.

[٣] قال ابن الجوزي: ((في تسمية آدم قولان، أحدهما: لأنه خُلِق من أديم الأرض. قاله ابن عباس وابن جبير والزجاج، والثاني: أنه من الأُدمة في اللون، قاله الضحاك والنضر بن شميل وقطرب))، زاد المسير، (١/ ٦٢).

واختلفوا ما هي الأدمة، قال القرطبي: ((واختلفوا في الأُدمة، فزعم الضحاك أنها السُّمْر. وزعم النضر أنها البياض، وأن آدم عليه السلام كان أبيض)). تفسير القرطبي، (١/ ٤١٧).

والسلام)، أُنزِل من الجنة[1] إلى الارض، لخطيئة ارتكبها، وتكاثرت ذريته في الأرض.

أين أُنزِل؟ أيضاً هناك خلاف، فنجد الطبري واعتماداً على أخبار أهل الكتاب يرجح بالهند، وينقل الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ((أُهبِط آدم بالهند، وحواء[2] بجدة فجاء في طلبها حتى اجتمعا، فازدلفت إليه حواء، فلذلك سميت المزدلفة، وتعارفا بعرفات، فلذلك سميت عرفات واجتمعا بجمع، فلذلك سميت جمعاً قال وأُهبِط آدم على جبل بالهند يقال له بوذ))[3].

---

[1] قال ابن القيم: ((قال أبو الحسن الماوردي في تفسيره واختلف الناس في الجنة التي أسكناها على قولين أحدهما: أنها جنة الخلد، الثاني: أنها جنة أعدها الله تعالى لهما، وجعلها ابتلاء وليست هي جنة الخلد التي جعلها دار جزاء، ومن قال بهذا اختلفوا فيه قولين: أحدهما أنها في السماء، لأنه أهبطهما منها، وهذا قول الحسن، الثاني: أنها في الأرض، لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار، وهذا قول ابن بحر، وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم (عليه الصلاة و السلام) والله أعلم بصواب ذلك هذا كلامه)). حادي الأرواح، (ص١٩).

وورد في التوراة ما يفيد أنها في منطقة قريبة من العراق، ففي سفر التكوين: ((وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً، ووضع هناك آدم الذي جبله)) (تك ٢/ ٨)، قال القس أنطونيوس فكري في تفسيره للكتاب المقدس عند هذه الآية ((والجنة كانت عند نهر الفرات))، لكن بعضهم يعد أن بلاد أرمينيا هي مكان جنة عدن، لأن نهري دجلة والفرات ينبعان منها. انتهى. وورد في الكتب المقدسة للصابئة المندائيين أن جنة عدن وأن جنة الله في الأرض في مدينة عانة غرب الأنبار.

[2] قال النووي: ((روينا عن ابن عباس قال: سميت حواء لأنها أم كل حي، قيل إنها ولدت لآدم أربعين ولداً في عشرين بطناً، في كل بطن ذكر، وأنثى، واختلفوا: متى خلقت من ضلع آدم؟ فقيل: قبل دخوله الجنة فدخلاها، وقيل: في الجنة)). شرح صحيح مسلم، (١٤٧٠).

[3] تاريخ الطبري، (١/ ٧٩).

في حين نجد علماء (DNA) يرون أن أقدم سلف مشترك للإنسان عاش في أفريقيا، ومن هناك تكاثر الإنسان وصارت الهجرات إلى أنحاء الأرض.

قال الرازي المُتَوَفَّى (سنة ٦٠٦هـ): {ونقل في (كتب الشيعة) عن محمد بن علي الباقر (عليه السلام) أنه قال: قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف ألف آدم، أو أكثر، وأقول: هذا لا يقدح في حدوث العالم بل الأمر كيف كان، فلا بد من الانتهاء إلى إنسان أول هو أول الناس، وأما أن ذلك الإنسان هو أبونا آدم، فلا طريق إلى إثباته إلا من جهة السمع}[١].

ومسألة وجود خلق قبل آدم (عليه السلام)، هي مسألة كتب بها المفسرون قديماً، والباحثون حديثاً، استناداً لتفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، كيف عرفت الملائكة أن آدم وذريته سيفسدون في الأرض، مالم يروا أن هذا الخلق السابق قد أفسد؟

قال الشيخ المنجد: {لم يأت في الكتاب والسنة شيء، يدل على أن قوماً كانوا يسكنون الأرض قبل آدم عليه السلام، وإنما الذي جاء في ذلك، هو من أقوال بعض المفسرين من الصحابة والتابعين ... روى الطبري في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (أول من سكن الأرض الجن، فأفسدوا فيها، وسفكوا فيها الدماء، وقتل بعضهم بعضاً)[٣]...

---

[١] التفسير الكبير، الفخر الرازي، (١٩/ ١١٧).

[٢] سورة البقرة: الآية: (٣٠).

[٣] تفسير الطبري، (١/ ٢٣٢).

يقول ابن كثير[١]: (قال كثير من علماء التفسير: خلقت الجن قبل آدم (عليه السلام)، وكان قبلهم في الأرض (الجِنُّ والبِنُّ)، فسلط الله الجن عليهم فقتلوهم وأجلوهم عنها، وأبادوهم منها، وسكنوها بعدهم}[٢].

وهذه الكلام إن صح فهو يشير إلى ما توصل له العلم من وجود خلق شبيه بالإنسان (غير عاقل وهي مجاميع متتالية قديمة)، ولم يظهر الإنسان العادي إلا متأخراً[٣].

يؤمن معتنقي الديانات -خاصة السماوية- بأن الله قد خلق الإنسان على هيئته الحالية، وأُنزِل من الجنة إلى الأرض، وأنه آخر المخلوقات، قال تعالى ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـًٔا مَّذۡكُورًا ﴾[٤] ، قال الطبري: هو آدم (عليه السلام)، كذلك روي عن قتادة أنه قال: {كان آدم (عليه السلام)، آخر ما خلق من الخلق}[٥].

---

[١] البداية والنهاية، ابن كثير، (١/ ٥٥).

[٢] موقع الإسلام سؤال وجواب، رقم (٧٢٤٧٠).

[٣] أظهرت الدراسات الأحفورية، وتحليل الدنا، إلى أن الإنسان الحديث ظهر بأفريقيا قبل مائتين ألف سنة.

[٤]سورة الإنسان: الآية: (١).

[٥] تفسير الطبري.

بينما تفترض نظرية التطور[١]، أنه مر بمراحل عدة انتهى بتطوره من قرد الشمبانزي[٢].

وحقيقة أن الإنسان مرَّ بمراحل عدة، بها نوع من الصحة، ولكن ليس كما قال التطويريون، إذ أن خلق آدم (عليه السلام)، بدا بالتراب ثم اختلط التراب بالماء فأصبح طيناً لازباً ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾[٣]، أي ملتصقاً ثم أصبح طيناً حمأً ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[٤]، أي أسود مسنون، ذو رائحة منتنة، كرائحة المستنقعات بسبب روائح المثان، والأمونيا، وكبريتيدات الهيدروجين، ثم ييبس هذا الطين فصار صلصالاً مثل صوت الصلصلة ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[٥]، وتذكر الكتب العلمية أن الطين يحوي على أيونات الزنك، والحديد، كعوامل مساعدة لتحويل غازات الميثان، والهيدروجين، وثاني أوكسيد الكاربون، لأحماض أمينية النووية[٦].

وقد ورد حديث عن الرسول ﷺ، يبين أن الله قبض من جميع الأرض وهذا ما يعلل اختلاف ألوان الناس وطبائعهم، فقال ﷺ: ((إن اللهَ تعالى خلقَ

---

[١] ذكر د. محمد علي البار، في كتابه خلق الإنسان، (ص٢١)، أن نظرية التطور قال بها الهنود والمايانيين في القرن السادس قبل الميلاد.

[٢] قال محمد بن شاكر الكتبي، المُتَوَفَّى (سنة ٧٩٤هـ): ((أن القرد عند المتكلمين في الطبائع، مركب من إنسان وبهيمة)). وذكر الدميري، المُتَوَفَّى (سنة ٧٠٨هـ): ((أن القرد أشبه بالإنسان، وإنه يقبل التلقين، ويمشي على رجليه، ويأخذ نفسه بالزواج، ويغار على أنثاه، وهما من مفاخرة الإنسان)). كتاب خلق الإنسان، الدكتور البار، (ص٢٦-٢٧).

[٣] سورة الصافات: من الآية: (١١).

[٤] سورة الحجر: الآية: (٢٦).

[٥] سورة الرحمن: الآية: (١٤).

[٦] كتاب خلق الإنسان، الدكتور محمد علي البار، (ص١٥). (بتصرف).

آدمَ من قبضةٍ قبضها من جميعِ الأرضِ، فجاءَ بنو آدمَ على قدرِ الأرضِ، فجاءَ منهم الأحمرُ، والأبيضُ، والأسودُ، وبين ذلكَ، والسهلُ، والحَزْنُ والخبيثُ، والطيّبُ))[١].

قال محمد باشميل: فإنه ليس مما ينافي الإسلام القول أن الله بدا خلق الإنسان بجرثومة صغيرة أنبتها حول المستنقعات ثم طورها بقدرته، وقال: ((إنه ليس في نصوص القرآن أو السنة النبوية الثابتة ما ينفي قواعد هذه النظرية، (أي نظرية التطور)، أو يثبتها، وهذا في نظرنا كافٍ لعدم وجوب الزج بالإسلام، عند الأخذ والرد حيال هذه النظرية، بحيث لا نصدر نحن المسلمين حكماً في حقها باسم الإسلام لا بنفي ولا بإثبات))[٢].

علم الإنسان (Anthropology):

علم الإنسان: علم يهتم بكل أصناف وأعراق البشر، في جميع الأوقات، وبكل الأبعاد الإنسانية. فالميزة الأساسية التي تميز علم الإنسان بين كافة المجالات الإنسانية الأخرى، هو تأكيده على المقارنات الثقافية، بين كافة الثقافات، ويشمل: علم الإنسان الحيوي، وعلم الإنسان الطبيعي، وعلم الإنسان الثقافي، وعلم الإنسان اللغوي، وأهم فروع علم الإنسان لمعرفة الأنساب هي:

أولاً: علم الأعراق أو الأجناس (Ethnology): هو أحد فروع علم الإنسان، ويهتم بعلم الثقافات المقارن، وهو علم يعنى بخصائص إنجازات الشعوب،

---

[١] رواه أبو داود، (٤٩٦٣)، وصححه الألباني، ورواه الترمذي، (٢٩٥٥)، وصححه إبن العربي في عارضة الأحوذي، (٦/ ٧٤)، ورواه ابن حبان، (٦١٦٠)، وصححه الوادعي في صحيح المسند، (٨١٩).

[٢] الإسلام ونظرية دارون، باشميل، (ص١٥٢). نقلاً عن خلق الإنسان للدكتور البار.

وأحوالهم الحضارية والثقافية ، ومعتقداتهم، ومن أهدافه إعادة صياغة تاريخ الإنسان.

ثانياً: علم الآثار (Archaeology): هو أحد فروع علم الإنسان (عند العلماء الأمريكان)، وهو علم يختص بدراسة البقايا المادية[1]، التي خلفها الإنسان، ويبدأ تاريخ دراسة علم الآثار، ببداية صنع الإنسان لأدواته، وهو دراسة علمية لمخلّفات الحضارة الإنسانية الماضية.

---

[1] يعتمد تقدير الأعمار للآثار، على ما يسمى الانحلال الإشعاعي (Radioactive Decay)، هو عملية تطلق فيها نويات الذرات غير المستقرة، الأشعة ذات الطاقة العالية من نواتها، بعملية تلقائية، يتحول فيها العنصر إلى عنصر آخر. وعن طريق معرفة عمر النصف (Half-Life)، والذي يعني (الزمن الذي يحتاجه العنصر المشع لكي ينحل نصف عدد ذراته، حيث تنخفض فيه الكمية المشعة إلى النصف) وبمعادلات رياضية خاصة، نستطيع معرفة عمر الآثار.

وتختلف عمر النصف من عنصر آخر، فنجد أنواعاً من النظائر المشعة لها عمر النصف يبلغ إلى ثوان أو ميلي ثانية أو أقل، وأخرى لها عمر النصف يبلغ آلاف السنين، كالكاربون-١٤، والذي يبلغ (٥٧٣٠ سنة)، مما يجعل فعاليته لا تصل إلّا إلى (٧٥٠٠٠ سنة)، وأخرى لها عمر النصف يبلغ حتى ملايين أو مليارات السنين كالبوتاسيوم ٤٠-أرغون، والذي يبلغ (١.٣ مليار سنة)، مما يسمح بتأريخ العينات الأكثر قدماً.

الكاربون-١٤ المشع: يعد واحداً من تقنيات تحديد العمر الحقيقي المعروفة والمستخدمة على نطاق واسع لمعرفة عمر الحفريات، والذي يستخدم لمعرفة تأريخ البقايا العضوية، يعود الفضل في ذلك للعالم الكيميائي والفيزيائي الأمريكي (ويلارد ليبي فرانك) الذي اكتشفه.

عصر ما قبل التاريخ (Prehistory):

فَبْتَارِيخِي: مصطلح يطلق على الحقبة التي تسبق اختراع الكتابة في (سومر)، في العراق تقريباً (سنة ٣٢٠٠) قبل الميلاد، وهي سلسلة من الأزمان والحقبات التاريخية التي مرت على تاريخ البشرية في ذلك الوقت.

يقسم الأمد الجيولوجي إلى أربعة أحقاب[1] زمنية رئيسية كبيرة هي:

أولاً: حقبة ما قبل الكامبري، خلال فترة (٣٢٠٠- ٥٤٠) مليون سنة، ويعتبر عصر الحياة المبكرة الأولي البدائية، حيث ظهرت به الطحالب والفطريات البدائية والرخويات بالبحر.

ثانياً: حقبة الباليوزي، امتدت بين (٥٤٣ – ٢٨٠) مليون سنة، وفيه ظهرت اللافقاريات البحرية، كالمفصليات البدائية والرخويات المبكرة والإسفنج.

ثالثاً: حقبة الميسوزي، (منذ ٢٤٨- ٦٥) مليون سنة، وفيه ظهرت الديناصورات، وانقرضت خلال العصر الطباشيري الذي يميز هذا العصر.

رابعاً: حقبة السينوزوي، منذ (٦٥ مليون سنة إلى يومنا هذا)، وفيه عصرين:

١. وهو العصر الثلاثي، وفيه خمس فترات، وأهم فترة به هي فترة البليوسيني، وهي آخر فترة بالعصر الثلاثي، وفترته (٥-١.٨) مليون سنة، وفيه بدأ ظهور أشباه الإنسان، متمثلين في الإنسان الأول البدائي.

---

[1] الحقبة: أحد الأقسام الكبيرة للأزمنة الجيولوجية (geologic time)، طبقاً للتعريف الجيولوجي تشمل الحقبة (عدة عصور جيولوجية)، حيث تمتد العصور الجيولوجية بين (١٠ مليون سنة إلى نحو ٨٠ مليون سنة). أي أن الحقبة تمتد لمدد قد تبلغ مئات الملايين من السنين.

٢. العصر الرباعي، وفيه فترتان:

أ. فترة البليستوسين، ويمتد من (١.٨ مليون سنة إلى ١١ ألف سنة)، وفيه حصل العصر الجليدي الأخير، وبهذا العصر ظهر الإنسان العاقل الصانع لأدواته، (الإنسان الماهر المنقرض)، وعاشت فيه فيلة الماموث.

ب. فترة الهولوسين، منذ (١١ ألف سنة وحتى الآن)، آخر العصور الجيولوجية، وقد بلغ فيه الإنسان أعلى مراتبه، و معظم الكائنات الحية التي آلت لهذا العصر منذ مطلعه ظلت كما هي عليه اليوم، إلا أن في هذا العصر ظهرت الحضارة الإنسانية والكتابة.

سميت تلك الفترة بالثقافة (culture)، كالثقافة النطوفية قبل ستة آلاف سنة من الميلاد في فلسطين، أما بعد اختراع الكتابة، فأصبحت مرحلة التاريخ، وسميت تلك الفترة بالحضارة (civilization)، كالحضارة السومرية.

لقد قام أمين المتحف الدنماركي في كوبنهاكن، كريستيان تومسون، عام (١٨١٦ م) بتقسيم العصور الزمنية قبل الميلاد إلى ثلاثة عصور:

الأول: وهو العصر الحجري وفيه استخدم الإنسان الحجارة؛ لصنع الأدوات، وقد بدأ مع ظهور الإنسان، واستخدمها للصيد، وإشعال النار، واستمر العصر الحجري القديم إلى عام (١٠.٠٠٠) قبل الميلاد. أما العصر الحجري الحديث، فكان خلال فترة (١٠.٠٠٠-٤٠٠٠) قبل الميلاد، استقر الإنسان فيه ودجن الحيوانات واشتغل بالزراعة.

الثاني: فهو العصر البرونزي، وهو عصر ظهور سبائك النحاس، بدأ حوالي (٣٠٠٠ سنة) قبل الميلاد، حيث عرف الإنسان كيف يصهر النحاس مع الفحم النباتي.

الثالث: فهو العصر الحديدي، وفيه استخدم الإنسان الحديد في صناعة الأدوات، والأسلحة، وقد بدأ بحدود (١٥٠٠سنة) قبل الميلاد.

وهنا لا بد للباحث بتاريخ البشرية عامة وبعلم الأنساب خاصة، أن يسلط الضوء على فترتين من تاريخ البشر؛ لأن هاتين الفترتين ذكرت بالكتب السماوية، ونسبت لتلك الفترتين قبائل وأمم ما زالت تذكر لحد يومنا هذا.

الفترة الأولى: هي فترة نوح (عليه السلام) وأولاده.

والفترة الثانية: هي فترة إبراهيم (عليه السلام) وأولاده، وسنركز بها على دارسة العرب واليهود.

فترة نوح (عليه السلام):

عدَّ المؤرخون، والنسابون، أن نوحاً (عليه السلام) هو الأب الثاني للبشر، وأن أولاده (سام وحام ويافث) ترجع إليهم البشرية.

روي عن رسول الله ﷺ، أنه قال: ((سام أبو العرب و يافث أبو الروم وحام أبو الحبش))[١]، وقيل: هذا قول سعيد بن المسيب وليس بحديث[٢].

قال ابن عبد البر: {روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ((ولد نوح ساماً وفي ولده بياض وأدمة، وحاماً وفي ولده سواد وبياض، ويافثاً وفي ولده الشقرة والحمرة)) ... ثم ساق ابن عبد البر بالإسناد إلى ابن المسيب أنه قال: ((ولد نوح،

---

[١] رواه الترمذي وحسنه، (٣٩٣١)، وحسنه العراقي في محجة القرب، (٨٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي، (٣٢٣١)، والعسقلاني في الفتح، (١٣/ ١١٤)، والسخاوي في المقاصد الحسنة، (١٥٩)، وأخرجه ابن حبان في المجروحين، (٢/ ٣٦٧)، وضعفه الأرناؤوط.

[٢] وقد ورد بسند صحيح مقطوع، عن سعيد بن المسيب. تاريخ دمشق، ابن عساكر، (٦٧٨٩٧).

ساماً، ويافثاً، وحاماً، وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة، ثلاثة، فولد سام العرب وفارس والروم، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج، وولد حام القبط والسودان والبربر))}[1].

هذا الحديث هو أحد أعمدة كتاب الأنساب الذين ألفوا كتب الأنساب منذ القرن الأول، وبما أن العرب صنفوا أنهم ساميون، فسنذكر تعريف لمصطلح الساميين.

السامية (Semitic): مصطلح يصف أي مجموعة أثنية، أو ثقافية، أو عرقية، تتحدث باللغات السامية، وقد استخدم المصطلح لأول مرة في عام (١٧٧٠م) من أعضاء مدرسة (غوتنغن للتاريخ)، والذين اشتقوه من كلمة (سام) أحد أبناء نوح الثلاثة المذكور في سفر التكوين.

وادّعت دائرة المعارف البريطانية أن أول من استعمل كلمة (اللغات السامية) لهذه المجموعة من لغات الشرق الأوسط هو (شلوتسر) عام (١٧٨١م) في كتاب (تاريخ اللغات السامية)، لكن المصادر السريانية تدحض هذا الزعم وتؤيد أن هذه التسمية قديمة جداً يرتقي تاريخها إلى ما قبل القرن السابع الميلادي، وأول عالم سرياني أطلق هذه التسمية على مجموعة اللغات الشرقية هذه هو يعقوب (الرهاوي)[2] المُتَوَفَّى (سنة ٧٠٨ م)، وجرى العلماء السريان على أثر الرهاوي، فاستعملوا هذا الاصطلاح قبل (شلوتزر) بقرون كثيرة، منهم المؤرخ

---

[1] القصد والأمم، ابن عبد البر، (ص ١٨).

[2] هو أسقف الرها، أحد أشهر الكتاب السريان، اشتهر بتطبيقه الحرفي لتقاليد الكنسية، وتعصبه لها.

السرياني المجهول في القرن الثاني عشر، وابن العبري في القرن الثالث عشر، فيكون الزعم بأن (شلوتزر) أول من استعمل هذا الاصطلاح بعيداً عن الصحة لأن العلماء السريان سبقوه إلى ذلك بعدة قرون[1].

وللعلماء في هذا الموضوع ثلاثة مذاهب. الأول: يدعي أن الموطن الأصلي، للساميين هو أرض بابل. ويدعي الثاني: أنه هضبة أرمينيا. ويذهب الثالث: إلى أنها الجزيرة العربية، وقد أوردنا هذه الآراء الثلاثة في بحثنا ((تحقيقات تاريخية ولغوية في حقل اللغات السامية))[2]، إذ يقول شلوتزر: ((بين البحر المتوسط وبحر العرب، تسكن أمة واحدة، وهي على لسان واحد، وهي السامية)).

أشهر الشعوب السامية:

١. العرب بأجذامها الثلاث، (وسنتحدث عنها بالتفصيل).

٢. بنو إسرائيل، (وسنتحدث عنها لاحقاً).

٣. الكلدان[3]: ومنهم نبوخذ نصر الثاني، أقوى ملوك بابل، صاحب السبي البابلي لمرتين، الأولى سنة (٥٩٧) قبل الميلاد، والثانية سنة (٥٨٧) قبل الميلاد، إذ قام

---

[1] مقال للمطران بولس بهنام، منشور على الأنترنت.

[2] المصدر نفسه.

[3] لا علاقة لكلدان اليوم، بالمنجمين الكلديين الذين سكنوا بلاد الرافدين، سوى التشابه بالأسماء. ففي عام (١٥٥٢م)، وبعد أن جاء مبشرو الفاتيكان الكاثوليك من الغرب إلى الشرق لنشر المذهب الكاثوليكي، وتوجهوا إلى الشمال في بلاد النهرين، نجحوا في نشر الطائفة الكاثوليكية في ما يدعى اليوم بسهل نينوى، وأدت صعوبة المواصلات في الجبال آنذاك إلى توجه المبشرين الاجانب إلى المسيحيين الساكنين في سهل نينوى، دون التوجه للجبال، فنشروا الطائفة الكاثوليكية في السهول لكن ليس في =

بسبي سكان أورشليم، وأنهى حكم سلالة داوّد (عليه السلام).

٤. الآشوريون[1]: وهم من نسل آشور بن سام.

٥. السومريون: يرى المؤرخ بروسوس أنهم جاءوا عبر الخليج العربي بقيادة زعيم يدعى أوانس. ويضيف جواد علي -الذي تبنى الرأي نفسه- جاءوا إلى العراق من البحرين في حوالي السنة (٢١٠٠) قبل الميلاد، ويرى عبد المنعم المحجوب في كتابه ما قبل اللغة إلى أنهم من الأقوام التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى الرافدين وبذلك يقول بساميتها خلافاً لكثير من المؤرخين الذين لا يرون ساميتها.

=

الجبال، وبذلك استمر سكنة الجبال من المسيحيين في انتمائهم للكنيسة التي تُدعى الكنيسة الشرقية الآشورية، وكان إنتماء مسيحيي سهل نينوى قبل مجيء الفاتيكان، هو انتماء كنيسة المشرق الآشورية نفسه، إلا أن الفاتيكان نجح في تقسيم كنيستهم بعد أن رشى من كان مستعداً للارتشاء، وتغيير طائفته الدينية من الكنيسة الشرقية إلى كاثوليكي، وبهذا القول قال الأستاذ الدكتور بهنام أبو الصوف: يقول عالم الآثار الآشوري من العراق الدكتور دون جورج: {بأن هنالك خطأ تاريخي أدى فجأة إلى ظهور قومية كلدانية، ومن المعروف للجميع بأن من اسموا الكلديين، (وليس الكلدانيين)، هم العلماء، وخاصة الفلكيين منهم، في العصر البابلي الحديث، (٦١٢-٥٣٩ ق.م)، وقد تمّ تحريف المصطلح عبر التاريخ من كلدي إلى كلداني من أجل شق وقطع أواصر الأمة الآشورية}.

[1] قال العالم الآثاري العراقي الدكتور بهنام أبو الصوف في مقالة: ((هل الآثوريون أحفاد الآشوريين القدماء؟))، أما عن جذور الإسم (آثور من آشور)، (فإنه في أواخر القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين، ظهر مطران مسيحي (كلداني - كاثوليكي)، اسمه (المطران أدي شير) ومؤلفه القيم الموسوم (كلدو - آثور)، من عندها ابتدأت هذه الأقوام تداول المصطلح (آثور) كنوع من تأسيس لهوية تحفظ لهم كينونتهم .... إذاً المحصلة النهائية التي نخرج بها أن الأخوة (الآثوريين)، بحسب مصطلح المطران (أدي شير)، هم آراميون - سريان - من أتباع الكنيسة النسطورية الشرقية ولا يوجد أي سند مؤيد من جهة علمية تاريخية، أو أنثروبولوجيا، أو عسكرية بريطانية، أو هيئة كنسية فاتيكانية، تؤيد بالإثبات التأصيل التاريخي إنهم أحفاد الآشوريون (سكان العراق القديم).

٦. الآراميون[1]: هم أحد الشعوب السامية، موطنهم وسط وشمالي سوريا والجزء الشمالي الغربي من بلاد ما بين النهرين، يرجع أصلهم إنهم كانوا من الشعوب المتنقلة.

٧. العموريون أو الأموريين: مجموعة سامية تشير أقدم المصادر المسمارية إلى أنهم بدأوا منذ نهاية الألف الثالث ق.م بالانتشار في حواضر بلاد ما بين النهرين، وبلاد الشام، على شكل موجات، من مناطق البادية العربية.

٨. الأكديون: وهم من الأقوام السامية التي هاجرت من الجزيرة العربية بحدود عام (٣٥٠٠) قبل الميلاد، واستقروا في البداية شمال وادي الرافدين. ويعد

---

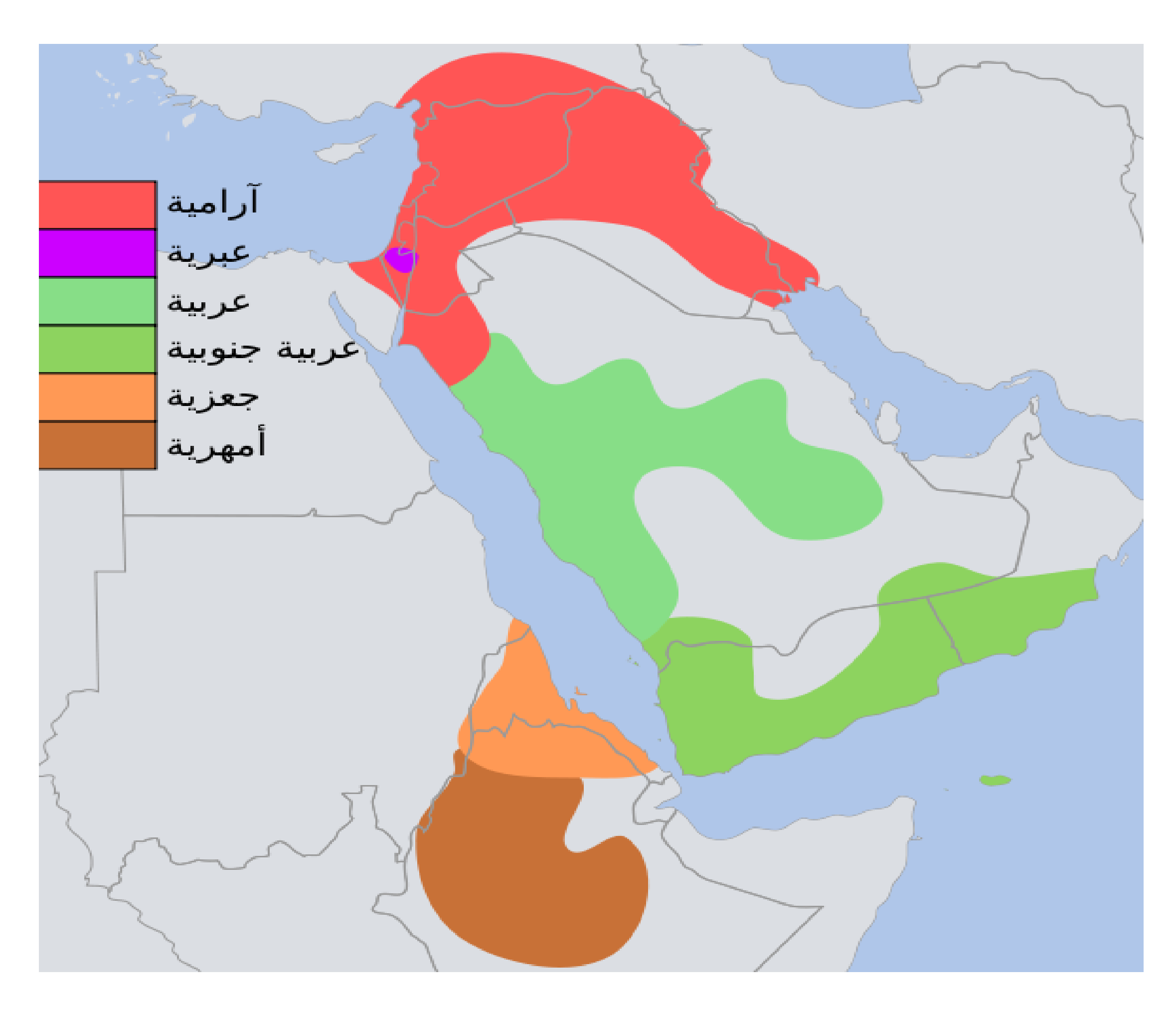
[1] يقول الدكتور بهنام أبو الصوف في مقال: (هل الآثوريون أحفاد الآشوريين القدماء؟) (جل من سكان الجبال، والقرى الشمالية للعراق، وشمالي غرب إيران، وشرق الأناضول، هم بقايا الأقوام، والقبائل الآرامية القديمة، وقد اعتنقوا مذهب يدعى (النسطورية)، نسبة إلى الأسقف نسطوريوس أسقف القسطنطينية، والذي أسس المذهب في عام (٤٣١م) بعد حرمانه، وطرده من الكنيسة الكاثوليكية الجامعة، ويطلق على كنيسة النساطرة -الكنيسة الشرقية-. في القرن الخامس عشر قامت الكنيسة الكاثوليكية، بجهد كبير لغرض تحويل أتباع الطائفة النسطورية الشرقية إلى المذهب الكاثوليكي وقد نجحت جزئياً بذلك، و حينما أرادوا إطلاق تسمية على معتنقي الكاثوليكية في العراق أسموهم بـ (الكلدان)، وذلك باعتبار أنهم من أرض بابل (الكلدية)، وليس لأنهم من سلالة الكلديين المنقرضين، إذاً هي لا تعدو كونها مجرد تسمية للتعريف جغرافياً، بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى، وحصول واقعة مذابح الأرمن بعد عام (١٩١٥م)، بسبب موقفهم المناوئ للدولة العثمانية حينها، ومساندتهم لروسيا القيصرية، مما عدَّ حينها صراع عسكري - ديني. انسحب الأمر على جميع المكونات المعتنقة للديانة المسيحية في العراق حينها، وأخذ كل مذهب يحاول تأسيس هوية معينة للتعريف والتميز، والحفاظ على كينونته من الضياع، والانقراض، ووجد النساطرة ضالتهم بالتسمية التي أطلقها المطران (أدي شير) عليهم، (الآثوريون).

سرجون الأكدي أول من أسس أول امبراطورية بالتاريخ عام (٢٣٤٠) قبل الميلاد، وقضى على الدولة السومرية.

٩. الهكسوس: وهم من الشعوب السامية العربية القادمة من بلاد الشام، التي تغلبت على الفراعنة، وحكمت مصر لما يقارب الثلاثمائة عام، وخلال فترة حكمهم كانت رحلة سيدنا يوسف (عليه السلام) إلى مصر، بعد بيعه على رأي بعض المؤرخين، والتي تحدث القرآن الكريم عنهم كلمة (ملك)، قال تعالى بأكثر من موضع ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ﴾[1]، ولم يقل (فرعون)، أما في زمن سيدنا موسى (عليه السلام)، فيذكر القرآن الكريم عن حاكم مصر (فرعون).

---

[1] سورة يوسف: من الآيات: (٤٣، ٥٠، ٥٤).



شكل (ش١) انتشار اللغات السامية حوالي القرن الأول الميلادي

عمر البشرية بين الدين والعلم:

سنورد الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، التي اعتمد عليها المؤرخون المسلمون لعمر البشرية مع مناقشتها:

١. من آدم إلى نوح (عليهما السلام) عشرة قرون، عن أبي أمامة أن رجلاً قال: ((يا رسول الله أنبيٌّ كان آدم؟ قال: نعم ، مكلَّم، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون قال: كم بينَ نوحٍ وإبراهيمَ؟ قال: عشرةُ قرونٍ))[1].

٢. مدة لبث نوح (عليه السلام)، ألف سنة ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾[2].

٣. المدة بين نوح وإبراهيم (عليهما السلام)، عشرة قرون ودليلها زيادة في حديث أبي أمامة ﷺ، قال: كم بينَ نوحٍ وإبراهيمَ؟ قال: عشرةُ قرونٍ.

٤. المدة بين إبراهيم وموسى (عليهما السلام)، لم يرد قول بتحديدها.

٥. المدة بين موسى وعيسى (عليهما السلام) فمختلف فيها.

قال القرطبي: ((واختلف في قدر مدة تلك الفترة فذكر محمد بن سعد في كتاب الطبقات عن ابن عباس قال كان بين موسى بن عمران وعيسى بن مريم عليهما

---

[1] رواه ابن حبان في صحيحه، (١٤/ ٦٩)، والحاكم، (٢/ ٢٦٢)، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في البداية والنهاية: (١/ ٩٤)، هذا على شرط مسلم ولم يخرجه، وورد كلام في تضعيف بعض رواة الحديث، وصححه الألباني بشواهده. (منقول من موقع الإسلام سؤال وجواب).

[2] سورة العنكبوت: الآية: (١٤).

السلام ألف سنة وسبعمائة سنة، ولم يكن بينهما فترة، وأنه أرسل بينهما ألف نبي من بني إسرائيل، سوى من أرسل من غيرهم))[١].

٦. المدة بين عيسى ومحمد عليهما السلام، ستمائة سنة لما روى البخاري عن سلمان الفارسي قال: ((فترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ستمائة سنة))[٢].

٧. المدة من زمن البعثة النبوية إلى الآن ألف وأربعمائة سنة.

وبذلك تكون الفترة الزمنية من خلق آدم (عليه السلام) إلى الآن تقريباً سبع آلاف وتسعمائة سنة.

نقل ابن خلدون عن الطبري قوله: ((فجميع سنيّ العالم من آدم إلى الهجرة على ما يزعمه اليهود (٤٦٤٢) أربعة آلاف سنة وستمائة واثنان وأربعون سنة، وعلى ما يَدعيه النصارى في توراة اليونانيين (٥٩٩٢) ستة آلاف سنة غير ثمان سنين، وعلى ما يقوله الفرس إلى مَقتَل يَـزْدجرد (٤١٨٠) أربعة آلاف ومائة وثمانون سنة))[٣].

وحسب التقويم العبري فإن الخليقة بدأت (٣٧٦٠) قبل الميلاد[٤].

---

[١] تفسير القرطبي، (٦/ ١٢١).

[٢] رواه البخاري، (٣٧٣٢).

[٣] تاريخ ابن خلدون، (٢/ ٢١٦).

[٤] بحسب تقويم أوشر، فإن الخليقة بدأت (سنة ٤٠٠٤) قبل الميلاد، وأن عيسى (عليه السلام)، ولد سنة (٤) قبل الميلاد، فتكون الخليقة بدأت (٤٠٠٠) سنة قبل ولادة عيسى (عليه السلام)، إذا ما أضفنا لها (٢٠١٨)، وهو تاريخ اليوم بعد ولادة عيسى (عليه السلام)، سيكون عمر الخليقة، خلق آدم (عليه السلام)، (٦٠١٨) سنة.

مناقشة عمر البشرية:

أولاً: الآية القرآنية: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ نص قرآني قطعي، وحديث البخاري، فترة بين عيسى ومحمد (عليهما الصلاة والسلام) ستمائة سنة، وهو قول سلمان الفارسي ﵁، وليس قول الرسول ﷺ، هي محل اتفاق بين العلماء بالصحة، وما عداه من الأحاديث فهي بين تصحيح، وتضعيف، كما بيّن ذلك الشيخ المنجد بجوابه على موقعه الإسلام سؤال وجواب.

ثانياً: الفترة بين إبراهيم وموسى (عليهما السلام) مجهولة، والفترة بين موسى وعيسى هي قول التوراة المحرفة، ونحن مأمورين بعدم التصديق، والتكذيب، لأهل الكتاب، فلا يمكن اعتمادها.

ثالثاً: القرن الوارد بالأحاديث ليس المقصود منه المائة سنة، بل المقصود منه الجيل، ويدل عليه قول الرسول ﷺ: ((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))[1]. أي خير الناس هذا الجيل ثم الذي يليه ثم الذي يليه.

قال المغيرة: قرنه أصحابه، والذين يلونهم أبناؤهم، والثالث أبناء أبنائهم.

قال النووي -رحمه الله تعالى-: ((الصَّحِيحُ أَنَّ قَرْنَهُ ﷺ الصَّحَابَةُ، وَالثَّانِي: التَّابِعُونَ، وَالثَّالِثُ: تَابِعُوهُمْ))[2].

---

[1] رواه البخاري، (٣٦٥١).

[2] شرح النووي على مسلم، (١٦/ ٨٥).

قال محمد بن أبي بكر الرازي: والقَرْنُ ثمانون سنة، وقيل ثلاثون سنة، والقَرْنُ مثلك في السن، تقول هو على قرني، أي على سني، والقَرْنُ في الناس أهل زمان واحد، قال الشاعر: ((إذا ذهب القرن الذي أنت فيهم))[1].

والقرن المعاصر (مائة سنة) يعد عند النسابة ثلاث أجيال، قال البقاعي في معجمه: ((ومن القاعدة التي سمعتها من حافظ العصر، ابن حجر، ونقلها عن قاضي القضاة ابن خلدون، في امتحان الأنساب، إنه يجعل لكل مائة سنة، ثلاثة رجال، وإنه أمتحن بها أنساباً كثيرة من ذوي الأنساب الثابتة فلم تخرم وأما غيرهم فلا تكاد تصح فيهم))[2].

رابعاً: فإذا كان القرن هو الجيل، فهذا يعني أن الجيل يختلف من زمن لآخر، فجيل أمة محمد ﷺ عمرهُ سبعون سنة، كما ورد في الحديث ((أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين، وأقلهم من يجوز ذلك))[3] هو بالتأكيد يختلف عن الجيل في زمن نوح (عليه السلام)، الذين كانت أعمارهم ألف سنة كما ثبت ذلك.

قال أبو إسحاق الزجّاج، المُتَوَفَّى (سنة ٣١١ هـ): ((القرن: هو مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان، فهو في قوم نوح على مقدار أعمارهم، وكذلك في كل وقت، مأخوذ من الاقتران، فكأنه المقدار الذي هو أكثر ما يقترن به أهل ذلك الزمان في معايشهم ومقامهم))[4].

---

[1] مختار الصحاح، الرازي، (ت: ٦٦٠هـ)، مادة (قرن).

[2] نظم العقيان في أعيان الاعيان، جلال الدين السيوطي، (١٧٠).

[3] رواه الترمذي، (٣٥٥٠)، وصححه الألباني، وابن ماجه في صحيحه، (٣٤٣٣)، وحسنه ابن حجر بالفتح، (١١/ ٢٤٤)، وصححه الذهبي في تاريخ الإسلام، (٢٤/ ١٢٧).

[4] الحقيقة الشرعية، الشيخ محمد بازمول، (١٣١).

خامساً: قال ﷺ: ((خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً))[1]، من الناحية العلمية فإن الزمن المستغرق ليكون الإنسان على طوله الطبيعي الحالي؛ وذلك للتكيف مع البيئة مستحيل أن يكون سبعة آلاف سنة، ورجح الدكتور زغلول النجار، أن آدم (عليه السلام) عاش قبل ما يقارب مائة ألف سنة، لكي يكون أحفاده بالطول الحديث.

سادساً: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((قام فينا رسول الله ﷺ يوماً بعد العصر، فما ترك شيئاً إلى يوم القيامة إلا ذكره في مقامه ذلك حتى إذا كانت الشمس على رؤوس النخل وأطراف الحيطان، قال: ((أما إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا))[2]، ذكر الشيخ سفرالحوالي أن الحافظ البقاعي (رحمه الله)، المتوفى (سنة ٨٨٥ هـ) في تفسيره (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) حسب نسبة ما بعد العصر إلى نسبة اليوم الكامل، واستند إلى سنين ذكرها أهل الكتاب، فكان زمن خلق آدم (عليه السلام) إلى يومهِ رحمه الله، مائة ألف سنة[3].

وقد استشهد ابن حزم بقوله ﷺ: ((بعثتُ أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى))[4]، فدل على طول أمد الخلق قبل بعثته ﷺ.

عمر البشرية وفق العلم الحديث:

أما بالنسبة للعلم الحديث فكانت التقديرات القديمة تقول أن عمر آدم (عليه السلام) هو ثلاثمائة ألف سنة، والدراسات الحديثة تقول أقل من ذلك، قال

---

[1] رواه البخاري، (٣٣٢٦).

[2] رواه الترمذي وصححه، (٢١٩١)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي، (٢١٩١).

[3] برنامج تاريخ العقيدة للشيخ سفر الحوالي.

[4] رواه مسلم، (٢٩٥١).

علماء وراثة أمريكيون أجروا دراسات حول أصل البشرية، وعن طريق تحديد مقدرة الحمض النووي (Mitochondrial DNA) لـحواء وصبغيات آدم، إنهما عاشا منذ (١٠٠ إلى ١٥٠ ألف سنة مضت).

أما بالنسبة لشركة فاملي تري المهتمة بالدي إن أي للأنساب فتقدر عمر الكروموسوم الذكري واي (٦٠-١٢٠ ألف سنة)، وقدرت شركة واي فل عمر البشرية (٢٣٥ ألف سنة).

ويمكننا القول أن البشرية قد تجتمع مرة أخرى بجد قبل اجتماعها بآدم (عليه السلام)، قد يكون نوح (عليه السلام) الأب الثاني، أو قد يكون غيره، قبل أن تجتمع بأم قبل حواء.

الطوفان:

عدَّ سيدنا نوح (عليه السلام) ثالث الأنبياء بعد آدم وإدريس (عليهما السلام)[1]، وأول الرسل، بدليل حديث الشفاعة ((فيقولونَ: يا نوحُ، أنت أولُ الرسلِ إلى أهلِ الأرضِ))[2]. ونسبهُ كما يذكره النسابة: (نوح بن لامك بن متشولح بن إدريس بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم، ولد بعد بدأ الخليقة. (مولد آدم عليه السلام) بـــ (١٠٥٦ سنة) أي عام (٢٩٤٨) قبل

---

[1] قال ابن حجر: ((ويذكر عن بن مسعود، وابن عباس، أن إلياس هو إدريس، أما قول بن مسعود فوصله عبد بن حميد، وبن أبي حاتم، بإسناد حسن عنه)). فتح الباري، (٦/ ٣٧٣).

[2] رواه البخاري، (٤٧١٢)، ومسلم، (١٩٤).

الميلاد، وتوفّي عام (١٩٩٨) قبل الميلاد، حسب ما ورد بتقويم (أوشر)[١] المعتمد على كتب التوراة، وقد بُعث سيدنا نوح (عليه السلام) إلى قوم لا يعرف عنهم شيئاً، سوى أنّهم قوم نوح (عليه السلام)، يفسر بعض المسلمون أن نوح لم يكن من أبناء (إدريس)[٢].

يرجّح معظم الباحثين أنّ سيّدنا نوح (عليه السلام) ولد في مدينة نهاوند الموجودة حالياً في محافظة همدان في المنطقة الشمالية الغربية لدولة إيران، إلّا أنّ البعض الآخر منهم يرجّح ولادته في بلاد ما بين الرافدين في العراق، نظراً لذكر ظهور شخصية مشابهة له الكتب الأثرية القديمة التي وجدت هناك، والتي تعود في أغلب الأمر إلى زمن الأسباط.

---

[١] جيمس أوشر، (1656-1581)، رئيس مجمع أساقفة إيرلندا العالم المشهور، الذي وضع نظام التاريخ الخاصّ باسمه، وهو أيضاً كاتب للتسلسل الزمني لتاريخ العالم في القرن السابع عشر، والذي حدد بداية خلق آدم (عليه السلام)، ليلة السبت (٢٣ أكتوبر سنة ٤٠٠٤ قبل ميلاد المسيح للتقويم اليولياني، وليس الغريغوري)، الفرق بين التقويمين أن التقويم اليولياني يعد السنة (٣٦٥,٢٥ يوماً)، أما التقويم الغريغوري فهو أدق، إذ يعد السنة (٣٦٥,٢٤٢٥ يوماً)، وهذا الفرق يشكل مقدار ٠.٠٠٢٪. أي منذ (عام ١٩٠٠ وحتى عام ٢٠٩٩) ينشأ بين التقويمين فارقاً قدره (١٣ يوماً)، يتأخر بها التقويم اليولياني عن التقويم الغريغوري.

[٢] قال أبو بكر بن العربي: ((أن إدريس لم يكن جداً لنوح، وإنما هو من بني إسرائيل؛ لأن إلياس قد ورد أنه من بني إسرائيل، واستدل على ذلك بقوله عليه السلام للنبي ﷺ، مرحباً بالنبي الصالح، والأخ الصالح، ولو كان من أجداده لقال له كما قال له آدم وإبراهيم، (الإبن الصالح) وهو استدلال جيد، إلا أنه قد يجاب عنه بأنه قال ذلك على سبيل التواضع والتلطف، فليس ذلك نصاً فيما زعم. فتح الباري، (٦/ ٣٧٣).

أما زمن الطوفان فكان سنة (٢٣٤٨) قبل الميلاد حسب تقدير المطران الأنجليكاني (أوشر).

أما مكان بدأ الطوفان، فيذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾[1] أنه العين التي بالجزيرة (عين الوردة)، (رواه عكرمة). وقال مقاتل: كان ذلك تنور آدم، وإنما كان بالشام بموضع يقال له (عين وردة)، وقال ابن عباس أيضاً: فار تنور آدم بالهند[2]. وذكر القس أنطونيوس فكري: ((وكانت الحياة الإنسانية وقت الطوفان محصورة حول أراضي العراق، إذ نشأت حياة الإنسان حول أنهار الجنة، وهي الفرات، ودجلة، وفيشون، وجيحون. ولم يمتد الإنسان إلى كل أنحاء الدنيا إلا بعد بلبلة الألسنة عند بناء برج بابل))[3].

روى الكليني عن جعفر الصادق ﵁ في تفسير ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾[4] هو فرات الكوفة[5]، وقال المجلسي أن في الرواية تصحيفاً، وأن الأصل (قرب الكوفة)، ثم صحفت إلى (فرات الكوفة) وهو الأصح[6].

---

[1] سورة هود: الآية: (٤٠).

[2] تفسير القرطبي، والطبري.

[3] شرح الكتاب المقدس، تفسير سفر التكوين ٧، آية ٣، أنطونيوس فكري.

[4] سورة هود: الآية: (٤٤).

[5] الكافي، (٨/ ٢٨١).

[6] مرآة العقول في شرح أحاديث الرسول، (٢٦/ ٢٩٩).

وكان عمر نوح (عليه السلام) ستمائة سنة عند الطوفان كما تذكر التوراة، ((ولما كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفان الماء على الأرض))[١].

أولاً: حقيقة الطوفان:

لم ينكر الطوفان إلا بعض الملاحدة بِناءً على أنها أسطورة أخذتها التوراة عن السومريون[٢]. يقول أحد منكري الطوفان على أحد منتديات الأنترنت: ((فبالرغم أن العلم توصل إلى رصد كوارث أكبر من الطوفان، وفي فترات زمنية سحيقة، تمتد إلى ملايين السنين، إلا أنه لم يجد أي دلالة مادية لحدوث الطوفان المزعوم، بالرغم أنه حسب السرد الديني فهو كان بالألف الرابعة قبل الميلاد، ... والطريف أن في هذا التوقيت كانت هناك حضارات ومدنيات فاعلة في مصر، وبابل، والصين، والهند)).

بالإضافة إلى استحالة وجود مياه إضافية لتغطي الأرض حسب تفسيرهم العلمي.

ولكن نقول أجمعت الأديان السماوية الثلاثة: (الإسلام، واليهودية، والمسيحية)، أن الطوفان حصل على الأرض، وحسب التوراة، فإن الخالق قرر أن يمسح بني البشر من الوجود، باستثناء الصالحين؛ بسبب كثرة المعاصي والذنوب التي كانت ترتكب، فنزلت الأمطار لمدة (٤٠) يوماً وليلة[٣]، وغطت

---

[١] سفر التكوين ٧، آية ٦.

[٢] قال الخوري بولس الفغالي: ((عرف الكاتب الملهم قصة الطوفان كما روتها بلاد الرافدين، وتناقلها البابليون، الآشوريون، والحثيون، والحوريون)). كتاب البدايات ومسيرة الإنسان، (١١٠).

[٣] سفر التكوين ٧، آية ١٧.

المياه الأرض لمدة (١٥٠) يوماً[1]، واستقرت السفينة على الجودي. قال إبن كثير: ((أجمع أهل الأديان الناقلون عن رسل الرحمن، مع ما تواتر عند الناس، في سائر الأزمان، على وقوع الطوفان))[2].

وقد ثبت في القرآن الكريم قصة الطوفان، وقصة عمل السفينة، ورسو السفينة على جبل الجودي، تشير دراسة المتحجرات إلى حدوث سلسلة من الفيضانات بين عامي (٢٠٠٠ إلى ٤٠٠٠) قبل الميلاد، فيما كانت تسمى سابقاً (بلاد ما بين النهرين)، والتي كانت تشمل الأرض الواقعة بين نهري دجلة والفرات، بما فيها أراضي تقع الآن في سوريا وتركيا والعراق، وأنه من المحتمل جداً أن تكون قصة الطوفان قد نشأت من إحدى هذه الفيضانات، وتركت آثار واضحة في كتابات وأساطير ومعتقدات هذه المنطقة في الشرق الأوسط.

وتعد ملحمة جلجامش السومرية التي تم اكتشاف ألواحها الطينية عام (١٨٥٣م) من قبل البعض، أول نص من الناحية التاريخية يذكر فيها قصة الطوفان، وكذلك وجود رقم يعود إلى عام (٣٠٠٠) قبل الميلاد، في مكتبة آشور بانيبال يذكر الطوفان. كما وجدت أصداف وأسماك متحجرة على قمم الجبال تثبت أنها كانت مغطاة بالماء.

أثبتت الحفريات بأور، وأوروك، وكيش، حدوث فيضان غمر بلاد الرافدين خلال عصر السلالات الأولى.

---

[1] سفر التكوين ٧، آية ٢٤.

[2] البداية والنهاية، (١/ ١٣٣).

وخلال السنوات العشر الماضية، قام كل من الدكتورين (رايان وبتمان) بمسح وأخذ عينات ترسبات من شواطئ البحر الأسود، ومن مضيق البسفور الذي يمتد من البحر الأبيض المتوسط وحتى بحر إيجه، إلى البحر الأسود في اسطنبول، ووجدا أدلة قاطعة على أن مستوى البحر الأسود قد ارتفع مئات من الأقدام، وغطى أكثر من ستين ألف ميل مربع من الأراضي المحيطة، أي زيادة حجمه بثلاثين في المائة. وكانت بعض الصدفيات التي أُكتشفت في الأراضي المغمورة لكائنات من البحر الأبيض المتوسط، وقد ماتت قبل (٧٦٠٠ سنة)، أي في عام (٥٦٠٠) قبل الميلاد.

ثانياً: هل غمر الطوفان كل الأرض؟

لا يوجد في القرآن الكريم، أو السنة النبوية، نص صحيح وصريح، يُثبت أو ينفي ذلك. وكل المفسرين اعتمدوا على روايات التوراة بحجة قوله ﷺ: ((حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج))[1]، وحديث: ((لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ))[2].

---

[1] رواه أبو داود، (٣٦٦٢)، وصححه الألباني، وابن حبان في صحيحه، (٦٢٥٤)، والمعلمي في الأنوار الكاشفة، (١٢٣)، والوادعي في الصحيح المسند، (١٣٧٨)، وضعفه الذهبي في الأحاديث المختارة، وقال عنه: منكر، (٨١).

[2] رواه البخاري، (٤٤٨٥).

قال الدكتور عمر عبد الكافي عن إغرق الأرض وعن نوح (عليه السلام) أبو البشرية الثاني: ((كل هذه آراء ليس بها أثر، ولا تؤخذ كحقيقة علمية مسلمة))[١]، وللعلماء في هذه المسألة رأيين:

الرأي الأول: أن الطوفان غمر الأرض كلها وهو قول التوراة، وقول أغلب المفسرين المسلمين. تقول التوراة أنه عمّ الأرض وعلا الجبال بخمسة عشر ذراعاً[٢]، لقد غطى أعلى جبل، وعلا فوقه خمسة عشر ذراعاً.

قال إبن كثير: ((أجمع أهل الأديان، الناقلون عن رسل الرحمن، مع ما تواتر عند الناس في سائر الأزمان، على وقوع الطوفان وأنه عمّ جميع البلاد، ولم يبقِ الله أحداً من كفرة العباد استجابةً لدعوة نبيه المؤيد المعصوم، وتنفيذاً لما سبق في القدر المحتوم)).[٣]

قال الشيخ المنجد: ((يدل صريح القرآن الكريم على أن جميع من على الأرض أغرقوا بالطوفان، ولم ينجِ من البشر ولا من الحيوان إلا مَن حملهُ نوح (عليه السلام) معه في السفينة))[٤]. قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[٥].

الرأي الثاني: أن الطوفان كان محلي ولم يغمر كل الأرض، واستدلوا بأن نوح (عليه السلام) أُرسِل إلى قومه خاصة، وأن الله عاقب الكافرين في قوم نوح، وإذا نظرنا

---

[١] محاضرة مصورة ومسجلة ومنشورة على مواقع الأنترنت.

[٢] سفر التكوين ٧، آية ٢٠.

[٣] البداية والنهاية، (١/ ١٣٣).

[٤] موقع الإسلام سؤال وجواب، برقم (١٣٠٢٩٣).

[٥] سورة الشعراء: الآيتان: (١١٩-١٢٠).

في القرآن وجدنا أن القرآن ينفي مسألة عالمية رسالة نوح تماماً، فالله قالها في خمس مواضع أنه أَرسَل نوح إلى قومه، ولم يقل إلى الناس.

وقيل إن قوم نوح (عليه السلام) كانوا هم أهل الأرض فقط، ولا دليل يثبت أو ينفي هذا القول.

قال إبن خلدون: ((واعلم أن الفرس والهند لا يعرفون الطوفان، وبعض الفرس يقولون كان ببابل فقط))[1]، وهذا دليل أن الطوفان لم يصل إليهم، وإلا لكانت ذكرت في كتبهم.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[2]، تشير إلى هلاك كل الكافرين، ويمكن الإجابة عن هذه الآية بأن أهل الأرض كانوا على الإيمان عدا قوم نوح.

قال الآلوسي: ((والذي يميل القلب إليه، أن الطوفان لم يكن عاماً كما قال به البعض، وأنه عليه السلام لم يؤمر بحمل ما جرت العادة بتكونه من عفونة الأرض، كالفأر والحشرات، بل أمر بحمل ما يحتاج إليه إذا نجَا ومن معه من الغرق، لئلا يغتنموا لفقده ويتكلفوا مشقة جلبه من الأصقاع التي لم يصلها الغرق، فكأنه قيل: قلنا احمل فيها من كل ما تحتاجونه إذا نجوتم زوجين

---

[1] تاريخ ابن خلدون، (٢/ ٧).

[2] سورة نوح: الآية: (٢٦).

اثنين))[١]. قال محمد الغزالي: ((والحق الذي نجزم به أن الطوفان وقع لقوم نوح وحدهم، وأن أوروبا، وأفريقيا وأكثر آسيا الكبرى، لم يغمرها الطوفان))[٢].

وقد برهن الدكتور (موريس بوكاي) على أنه بالفعل لم يشمل الطوفان الأرض كلها في كتابه (القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل، والعلم)[٣]. وهي النظرية التي تبناها جوزيف سميث (Joseph Smith) عام (١٨٣٩م)، وهي تدور حول فكرة فيضان محلي غمر منطقة ما بين النهرين فقط ((العراق حاليًا))[٤].

وعليه يمكن القول بأنه لا يمكن الأخذ بقول أهل التوراة، بأن الطوفان حصل قبل (أربعة آلاف سنة)؛ لأن هذه الفترة كانت أكبر حضارة لوادي الرافدين، وهي الحضارة السومرية آنذاك، وكذلك لا يمكن الجزم بأن الطوفان شمل الأرض كلها، بل جزء منها، ولم يصل للفرس، والهند، بدليل جهلهم بها.

قال إبن كثير: ((وقد أنكرت طائفة من جهلة الفرس، وأهل الهند، وقوع الطوفان واعترف به آخرون منهم، وقالوا إنما كان بأرض بابل ولم يصل إلينا، قالوا ولم نزل نتوارث المُلك كابراً عن كابر، من لدن (كيومرث) يعنون آدم إلى زماننا هذا))[٥].

---

[١] تفسير روح المعاني، هود، (٤٠).

[٢] الطريق من هنا، الغزالي، (٥٥).

[٣] القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي، (٥٥).

[٤] موقع الأنبا تكلا هيمانوت القبطي، الطوفان ونوح النبي، (٥).

[٥] البداية والنهاية، (١/ ١٣٣).

ثالثاً: هل نوح (عليه السلام) أبو البشرية الثاني؟

لا يوجد في القرآن الكريم، أو السنة النبوية، نص صحيح صريح، يُثبت أو ينفي ذلك، إن الكتب السماوية اتفقت أن آدم (عليه السلام) هو أبو البشرية، أما بالنسبة لنوح فإن أهل الكتاب يجعلوه الأب الثاني للبشرية، أما المؤرخون المسلمون فاختلفوا على رأيين:

الرأي الأول: أن نوح هو أبو البشر الثاني وهو قول أغلب المفسرين.

قال إبن كثير: قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[1]، قال ابن عباس: ((لم تبق إلا ذرية نوح، وقال قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح))[2].

روى الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن سمرة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾، قال: ((هم سام، وحام، ويافث))[3] ولا يصح.

قال يا قوت الحموي، المتوفى (سنة ٦٢٦ هـ) في كلمة (ثمانين): بلفظ العقد بعد السبعين من العدد: بليدة عند جبل الجودي قرب جزيرة ابن عمر التغلبي فوق الموصل، كان أول من نزله نوح (عليه السلام)، لما خرج من السفينة، ومعه ثمانون

---

[1] سورة الصافات: الآية: (٧٧).

[2] تفسير ابن كثير.

[3] وهو ضعيف، وقد سبق تخريجه.

إنساناً، فبنوا لهم مساكن بهذا الموضع وأقاموا به، فسمي الموضع بهم، ثم أصابهم وباء فمات الثمانون غير نوح (عليه السلام)، وولده، فهو أبو البشر كلهم[1].

الرأي الثاني: أن نوح ليس أبو البشر الثاني، وقد قال به بعض المفسرون المسلمون.

قال القرطبي في تفسيره: ((وقال قوم: كان لغير ولد نوح أيضاً نسل، بدليل قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾[2]. وقوله: ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]، فعلى هذا معنى الآية ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾، دون ذرية من كفر أنا أغرقنا أولئك[4].

قال الرازي في تفسر قوله تعالى: ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. ﴿ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾، واختلفوا في المراد منه على ثلاثة أقوال: منهم من حمله على أولئك الأقوام الذين نجوا معه وجعلهم أُمماً وجماعات؛ لأنه ما كان في ذلك الوقت في جميع الأرض أحد من البشر إلا هم، فلهذا السبب جعلهم أُمماً، ومنهم من قال: بل المراد ممن معك نسلاً وتولداً، قالوا: ودليل ذلك أنه ما كان معه إلا الذين آمنوا، وقد حكم الله تعالى عليهم بالقلة في قوله تعالى:

---

[1] معجم البلدان، ياقوت الحموي، لفظ (ثمانين).

[2] سورة الإسراء: من الآية: (٣).

[3] سورة هود: الآية: (٤٨).

[4] تفسير الجامع لأحكام القران، القرطبي. الصافات، الآية (٧٧).

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[١]. ومنهم من قال: المراد من ذلك مجموع الحاضرين مع الذين سيولدون بعد ذلك، والمختار هو القول الثاني: (ومن) في قوله ﴿مِّمَّن مَّعَكَ﴾؛ لابتداء الغاية، والمعنى: وعلى أُمم ناشئة من الذين معك[٢].

يقال أن نوح (عليه السلام) نزل ببابل بعد الطوفان، قال الحموي: ((إن أول من سكنها نوح، (عليه السلام)، وهو أول من عمرها، وكان قد نزلها بعقب الطوفان، فسار هو ومن خرج معه من السفينة إليها؛ لطلب الدّفء، فأقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح، وملّكوا عليهم ملوكاً، وابتنوا بها المدائن))[٣].

وروي عن ابن عباس أنه قال:((كان في سفينة نوح ثمانون رجلاً، أحدهم جرهم، وقيل كانوا سبعة، زوجته، وأبناؤه الثلاثة، وكنائنه الثلاث، وروي هذا عن قتادة، والحكم بن عقبة، وابن جريج، ومحمد بن كعب، وقيل ثمانية))[٤].

ولا يمكن الجزم بالمعطيات أعلاه، أن نوح (عليه السلام) هو أبو البشر الثاني، وأن أحاديث (سام، وحام، ويافث) لا تصح عند أغلب المحدثين.

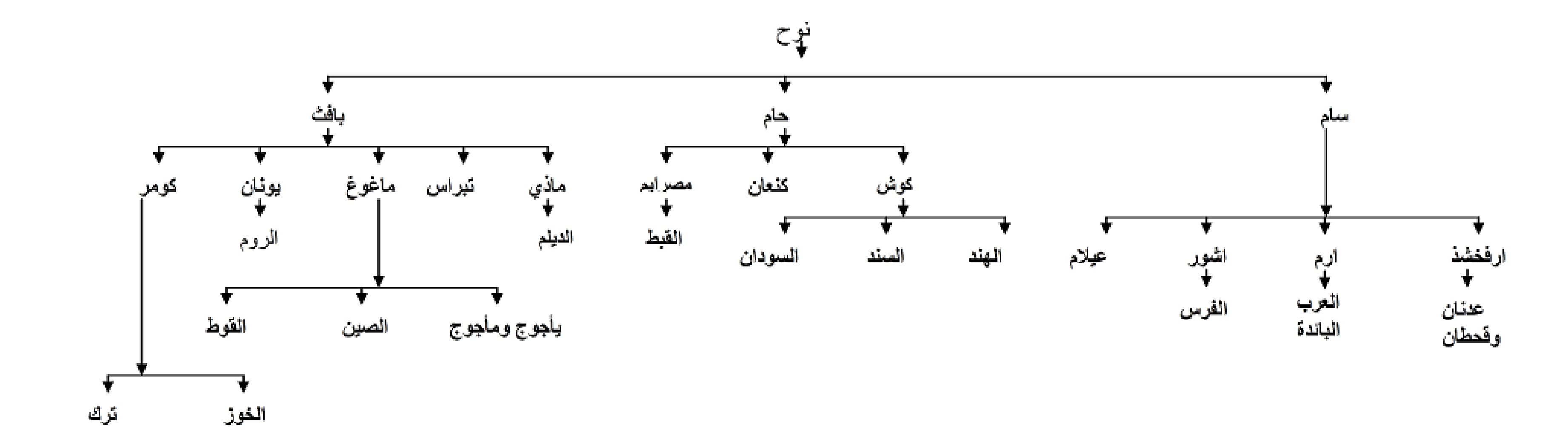
---

[١] سورة هود: الآية: (٤٠).

[٢] التفسير الكبير، الرازي، هود، الآية (٤٨).

[٣] معجم البلدان، ياقوت الحموي، (١/ ٣٠٩).

[٤] تفسير الطبري.



مخطط يوضح اولاد نوح عليه السلام وفق كتاب نهاية الارب للقلقشندي

شكل (٢) مخطط يوضح أولاد نوح (عليه السلام) وفق كتاب نهاية الأرب للقلقشندي



شكل (٣) توزيع ذرية نوح (عليه السلام) كما تصورها التوراة

علم الأنساب: (Genealogy):

علم الأنساب[١]: هو علم يهتم بأنساب القبائل، والعشائر، والأسر المحلية، ويسمى عالم الأنساب (نسابة).

يعدُّ بعض المؤرخين أن علم النسب فرع من فروع التاريخ، ويعده بعض المحدثين أنه فرع من علوم الحديث، ويرى النسابة أنه علم قائم بذاته، وقد اهتم به العرب أكثر من غيرهم[٢].

قال صالح بن أحمد الحافظ: سمعتُ أبا بكر محمد بن أحمد يقول: ((بَلَغَنِي أَنَّ اللهَّ، خَصَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ، لَمْ يُعْطِهَا مَنْ قَبْلَهَا الْإِسْنَاد، وَالْأَنْسَابِ،

---

[١] والفرق بين النسب، والحسب، قال ابن منظور في مادة حسب: {وقال شمر في كتابه المؤلف في غريب الحديث: الحسب الفعال الحسن له ولآبائه، مأخوذ من الحساب إذا حسبوا مناقبهم، وقال المتلمس: ((ومن كان ذا نسب كريم ولم يكن له حسبٌ كان اللئيم المذمما)).

ففرق بين الحسب والنسب، فجعل النسب عدد الآباء والأمهات، إلى حيث انتهى. والحسب: الفعال، مثل الشجاعة، والجود، وحسن الخلق، والوفاء، قال الأزهري: وهذا الذي قاله شمر صحيح؛ وإنما سميت مساعي الرجل ومآثر آبائه حسباً؛ لأنهم كانوا إذا تفاخروا عد المفاخر منهم مناقبه ومآثر آبائه وحسبه، فالحسب: العد والإحصاء، والحسب ما عدّ} ا.هـ. ويؤيد ذلك قوله ﷺ: ((الْحَسَبُ الْمَالُ، وَالْكَرَمُ التَّقْوَى)). رواه الترمذي، (٣٢٧١)، وصححه وحسنه الألباني، ورواه ابن حبان في صحيحه، (٤٨٣). قال ﷺ: ((كرَمُ المرءِ دينُه، ومروءتُه عقلُه، وحسَبُه خُلقُه)). ضعفه الألباني في ضعيف الجامع، (٤١٨٦)، وقد صحح البيهقي في السنن الكبرى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((حَسَبُ المرءِ دينُهُ، ومُروءَتُهُ خلقُهُ، وأصلُهُ عقلُهُ)).

[٢] وكذلك اهتم به اليهود، وخاصة بني إسرائيل، فدونوا أنساب أنبيائهم، وأنسابهم، كما في العهد القديم، وظلوا يتوارثوها إلى الآن وخاصة الكوهينم.

وَالْإِعْرَابِ))[١]. وذكر في أمثال العرب قولهم: فلان أنسب من دغفل.

قال السمعاني: ((ومعرفة الأنساب من أعظم النعم التي أكرم الله تعالى بها عباده؛ لأن تشعب الأنساب على افتراق القبائل، والطوائف، أحد الأسباب الممهدة لحصول الائتلاف، وكذلك اختلاف الألسنة، والصور، وتباين الألوان، والفطر))[٢].

قال ابن فندق المتوفى (سنة ٥٦٥هـ): ((ولأهل اليونان الحكمة والمنطق، وللهند التنجيم والحساب، وللفرس الآداب، أعني: آداب النفس والأخلاق، ولأهل الصين الصنائع ، وللعرب الأمثال وعلم النسب، فعلوم العرب الأمثال والنسب))[٣].

ظهرت في فترة صدر الإسلام كثير من النسابين، كدغفل الشيباني الْمُتَوَفَّى (سنة ٦٠هـ)، وعبيد الجرهمي الْمُتَوَفَّى (سنة ٧٠هـ)، وعروة بن الزبير الْمُتَوَفَّى (سنة ٩٤ هـ)، وابن شهاب الزهري الْمُتَوَفَّى (سنة ١٢٤هـ)، (الذي قيل عنه أنه أول من ألف في الأنساب عند العرب)، وقد ألّف كتاباً في نسب قومه، ولم يصلنا، وأقدم كتاب معروف وصل إلينا وطُبع، هو كتاب (حذف من قريش) لمؤرج السدوسي الْمُتَوَفَّى (سنة ١٩٥هـ).

---

[١] شرف أصحاب الحديث، (٤٠).

[٢] الأنساب، السمعاني، (ت: ٥٦٢هـ)، (١/ ٨).

[٣] لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، ابن فندق، (٨).

وقد رغب به الإسلام من أجل صلة الأرحام، والميراث، لا من أجل المفاخرة، قال رسول اللهَّ ﷺ: ((تَعلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ))[1].

روي عن الإمام علي ﷺ، أنه أوصى إبنهُ الحسن ﷺ: ((وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتي بِهَا تَصُولُ))[2].

والنسب: هوعلم ظني[3]، كان يؤخذ مشافهة بتوارث الرواية، جيلاً عن جيل، وكلّما بَعُد الجيل، كلّما كان الخطأ أكثر، وكان الكذب أسهل، وكانت الخرافة فيه أوضح، وضل يؤخذ مشافهة، ولم يدون إلى القرن الأول الهجري.

أما ما ورد بأنه علم لا ينفع ولا يضر، فلم يصح بذلك حديث، والحديث المروي بذلك مرسل لا يصح: قِيلِ عِنْدَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ مَا أَعْلَمَ فُلانًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: بِمَ؟ قِيلَ: بَأَنْسَابِ النَّاسِ، قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: ((عِلْمٌ لا يَنْفَعُ، وَجَهَالَةٌ لا تَضُرُّ))[4].

---

[1] رواه الترمذي، (١٩٧٩)، وقال: حديث غريب، وصححهُ الألباني، وقال البغوي في شرح السنة: حديث غريب، (٦/ ٤٣٥).

[2] نهج البلاغة، الشريف الرضي، (٦٥٥).

[3] قال علامة الجزيرة العربية حمد الجاسر في مقالة صحفية (١) تنص على التالي: ((إذا كان بعض الباحثين يقول عن التاريخ إنه خرافة، فالأنساب خرافة الخرافات، وهذا ما وصلت إليه))، ثم فسر كاتب المقال، كلام الجاسر ((أن علم الأنساب لا يقوم على أساس علمي)).

[4] قال العراقي في تخريج الإحياء: أخرجه ابن عبد البر، من حديث أبي هريرة، وضعفه، (١/ ١١٥)، وكذلك ضعفه ابن حزم بالجمهرة، (١/ ٤).

قال ابن عبد البر: لعمري ما أنصف القائل أن علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا يضر[١].

مصادر علم الأنساب وظنية دلالته:

اعتمد مؤلفو علم الأنساب الأوائل، كدغفل الشيباني، وعبيد الجرهمي، ثم بعدهم ابن الكلبي، وغيره، على تدوين الأنساب على عدة مصادر أهمها:

١. الشعر الجاهلي: والحقيقة أن الشعر هو ديوان العرب، لذا كان يعد مورداً مهما من موارد النسابة في معرفة القبائل وأنسابهم، ومثال ذلك أن الإختلاف في أصل قبيلة قضاعة، قد تم نسبتها إلى معد استناداً إلى بيت شعر قاله أحد شعراء قضاعة من بني عذرة.

٢. الأحاديث النبوية: وإن كانت ضعيفة، كونها أقوال قد قيلت خلال القرون الأولى، ولو لم تكن صحيحه النسبة لرسول الله ﷺ، ومنها الحديث الضعيف: (سام، وحام، ويافث).

٣. أقوال أهل الكتاب، وهي تدوين لإنساب الأنبياء، التي ذكرت بكتب التوراة، وذكر لأسماء فسرها المؤرخون أنها تدل على أشياء نسبية، ككلمة (سابا) التي فسرت أنها (سبأ)، و(يقطن) التي فسرت أنها (قحطان)، وفسر (ددان) على أنه (عدنان).

٤. المناظرات الأدبية التي حصلت بين القبائل وتحديداً في العصر الأموي، اشتهرت المناظرات بين مضر، وأهل اليمن، ومعروف أن التاريخ، والأدب، توأمان لا ينفصلان.

---

[١] الإنباه على قبائل الرواة، ابن عبد البر، (٤٧).

٥. ما توارثه العرب، ونقلوه مشافهة في العصر الجاهلي، ولا يوجد عند أهل الكتاب كعاد، وثمود.

٦. القرآن الكريم، اعتمده المؤرخون الذين اشتهروا بالعلم، كالطبري وابن حزم؛ لأثبات، أو نفي، ما نقله النسابون، ومثل ذلك ما قيل عن الفترة الزمنية للأنبياء.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾[1]، وقد صح عن ابن مسعود أنه كان عندما يقرأ هذه الآية يقول: (كذب النسابون)[2].

٧. لهذه الأسباب يعد علم الأنساب من العلوم الظنية التي تلقاها العرب بالقبول، وكلما ابتعد النسب بالأجداد، كلما كان الخطأ أكثر، ولهذا روي عن الرسول ﷺ، كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبته معد بن عدنان، وهو لا يصح سنداً لكن ورد عن الصحابة، ما يؤكد صحة هذا القول، من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

والمقصود بالأنساب الظنية هي الانتساب إلى أجداد الجاهلية القديمة، وليست الانتساب إلى الأجداد الحديثة، وأكثر ما يدل على أنه علم ظني هي:

١. المصادر التي اعتمد عليها لم تكن مدونه بل نقلت مشافهة من جيل لآخر.

٢. دخول المؤتلف والمختلف بالقبائل منذ القدم[3].

---

[1] سورة إبراهيم: من الآية: (٩).

[2] قال الألباني: حديث موضوع. ضعيف الجامع، (٤١٦٦).

[3] فهناك أسد من قريش، وأسد بن خزيمة، وأسد بن ربيعة، وهناك بطن من الأزد من اليمن.

٣. التصحيف الذي يحصل عند نقل الروايات منذ القدم[١].

٤. دخول الموالي بقبائل العرب لحديث الرسول ﷺ: ((مولى القوم من أنفسهم))[٢].

٥. وجود الأحلاف بالقبائل؛ لاحتياج القبائل لها بسب الحروب وغيرها.

٦. وجود زيجات غير شرعية بالمجتمع الجاهلي.

٧. نفي الأب نسب إبنه لبعض الحالات الإجتماعية كما حصل لعنترة العبسي.

٨. اختلاط الأنساب بسبب تزوج المرأة المطلقة، أو المتوفى عنها زوجها أثناء العدة، وخاصة بمناطق البادية؛ بسبب الجهل بدين الله تعالى.

٩. وجود حالات التبني وبكثرة قبل نهي الإسلام عنه، **لقوله تعالى:** ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾[٣].

قال القرطبي: ((وفي قول ابن عمر: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، دليل على أن التبني كان معمولاً به في الجاهلية والإسلام، يتوارث به

---

[١] ومثال ذلك الخلط بين (عك) العدنانية و (عك) الأزدية، الناتجة من التصحيف، فالعدنانيون أبناء (عك بن عدنان جد نبينا)، والأزديّون أبناء عك بن (عدثان)، بالثاء المثلثة مخطوط. (اللباب في معرفة الأنساب) لعالم الأنساب محمد بن أحمد الأشعري.

[٢] رواه البخاري، (٦٧٦١).

[٣] سورة الأحزاب: من الآية: (٥).

ويتناصر، إلى أن نسخ الله ذلك بقوله: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾. أي أعدل))[1].

ومما يؤكد ظنية هذا العلم، اختلاف النسابة حول كثير من القبائل، كثقيف، وخثعم، وأكلب، بل واختلافهم بأصول الفرس والبربر.

وسبب أن علم الإنساب خاصة، وعلم التاريخ عامة، هو علم ظني؛ لأن الأخباريين لم يتحروا السند بالرواية، (كعلم الحديث)، بل نقلوا كل ما كان يذكر من أفواه العرب، ولم يفرقوا بين صادق وكاذب، ولم يدون إلا بالعصر الأموي.

ثبوت النسب:

من المعلوم أن ثبوت النسب يكون على قسمين:

القسم الأول: إثبات النسب لنسب قريب، كإثبات نسبة الإبن لأبيه، وهذا يتكلم فيه الفقهاء، وذكروا له أربع جهات[2]:

١. الفراش: باتفاق الفقهاء؛ لقوله ﷺ: ((الولد للفراش وللعاهر الحجر))[3].

٢. الإقرار: وقد اتفق الفقهاء على أن الإقرار بالنسب حجة.

٣. البينة: وهي الشهود العدول.

---

[1] تفسير القرطبي.

[2] وهي موقع إجماع بين الفقهاء عدا القيافة.

[3] رواه البخاري، (٦٤٩٤).

٤. القيافة: وهي موضع خلاف بين العلماء، وهي إن لم تصح دليلاً، فهي قرينة[١] لحديث عائشة (رضي الله عنها)، إذ قالت: أن رسول الله ﷺ، دخل عليّ مسروراً تبرق أسارير وجهه، فقال: ((ألم تري أن مجزراً نظر آنفًا إلى زيد بن حارثة، و أسامة بن زيد، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض))[٢].

وذلك أن بعض العرب، كانوا يقدحون في الجاهلية في نسب أسامة، لأنه كان أسود شديد السواد، مثل القار، وكان زيد أبيض مثل القطن.

القسم الثاني: انتساب الرجل للعشيرة، ويثبت عند النسابة بالحالات التالية[٣]:

أولاً: الوثائق، والمشجرات، صحيحة الدلالة الخالية من العلل.

ثانياً: الشهرة، شرط أن تكون هذه الشهرة بالاستفاضة وأن لا تكون مستحدثة. قال أبو حنيفة النعمان (رحمه الله): (تثبت بالشهرة النسب، والموت، والنكاح).

ثالثاً: الإقرار المتبادل بين المنتسب، والقبيلة.

والأنساب البعيدة غالباً ما تكون ظنية وليست قطعية يقينية.

---

[١] والفرق بين الدليل، والقرينة، أن الدليل هو: (شيء معلوم لا يمكن إنكاره، بالشبهة)، والقرينة: (هي استنتاج واقعة لا دليل عليها من واقعة قام بها الدليل، ولها دور بالترجيح عليها)، وقد جاء ما يؤيدها بالقرآن الكريم، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.{سورة يوسف: الآيات: ٢٦-٢٨}. وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((وإن الرجم في كتاب الله حق على مَن زنى إذا أُحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف)). رواه مسلم، (١٦٩١). فجعل عمر رضي الله عنه الحبل بلا زوج زنا يقام به الحد.

[٢] رواه البخاري، (٦٧٧٠).

[٣] مقدمات في علم النسب، خليل الدليمي، (٧١). (بتصرف).

قال إبن خلدون: ((والنسب البعيد يحيل الظنون ولا يرجع فيه إلى يقين))[١]. والنسابة كالقاضي والمفتي يجب أن يكون أميناً في إفتاءه.

قال ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة: ((توقف كثير من قضاة العدل عن الدخول في الأنساب ثبوتاً، أو انتفاءً، لا سيما نسب أهل البيت الطاهر المطهر، وعجيب من قوم يبادرون إلى إثباته بأدنى قرينة[٢]، وحجة موهمة، يسألون عنها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم))[٣].

قال إبن قدامة: ((فإن النسب يحتاط لإثباته، ويثبت بأدنى دليل، ويلزم من ذلك التشديد في نفيه، وأنه لا ينتفي إلا بأقوى الأدلة))[٤].

ونشير هنا إلى قول ابن قيم الجوزية، فقد قال ما نصه: ((والشارع متشوف إلى اتصال الأنساب وعدم انقطاعها، ولهذا اكتفى في ثبوتها بأدنى الأسباب))[٥].

---

[١] تاريخ ابن خلدون، (٢/ ٢٩٠).

[٢] يستعمل علماء النسب، جملة (في صح)، للنسب الذي لا يجزموا بصحته أو خطأه.

[٣] الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي، (ت: ٩٧٤هـ)، (٢/ ٦٨٩).

[٤] المغني، ابن قدامة، (ت:٦٢٠هـ)، (٥/ ٧٦٩).

[٥] الطرق الحكمية، ابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ)، (١/ ٣٢٣).

أنواع الانتساب:

يعتمد انتساب الشخص للتعريف على أكثر من نسبة، ولكن الذي اشتهر هو النسبة لثلاث، قال ابن منظور: ((النسب يكون بالآباء، ويكون إلى البلاد، ويكون في الصناعة))[1].

أولاً: النسب إلى القبيلة، أو بطن من بطونها، كالطائي، والزبيدي، والربيعي، وهي منتشرة بالجزيرة العربية، وأرياف العراق، وقد ينسب إلى جد القبيلة الكبير، أو جد أصغر، كالأفخاذ.

ثانياً: النسب إلى المهنة، أو الحرفة، كالدباغ، والعطار، والقاضي، والمفتي، وهي منتشرة بالشام، وبعض مدن الحاضرة بالعراق.

ثالثاً: النسب إلى البلد[2]، أو القرية، كالمكي، والبغدادي، والسيوطي، وهي منتشرة في مصر.

وهناك انتسابات أخرى، لكنها غير مشهورة عند أهل النسب، كالانتساب للمذهب، كالحنفي، وإلى الطريقة، كالرفاعي، أو لشيخه، أو لكتاب ألّفه واشتهر به، وغيرها.

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، كلمة (نسب).

[2] روي عن عمر بن الخطاب ﷺ، في النهي عن الانتساب للمدينة، فقال: ((لا تكونوا كنبط السواد إذا سئل أحدهم ممن أنت قال من قرية كذا))، ولم أجد هذا القول معزواً لأي من مصادر الحديث المعتبرة، ومما يؤكد ضعف هذا القول، انتساب كثيراً من العلماء للمدن، كابن كثير الدمشقي، والخطيب البغدادي، والقاسم الرسي، ((المولود بجبال الرس قرب المدينة المنورة ١٦٩هـ))، وهو جد الأشراف الرسيين، والذين حكموا اليمن ألف سنة إلى قيام الجمهورية اليمنية.

أما عن نسب الجاهلية، فهو يعتمد على القبيلة، وهو على ثلاث طبقات[١]:

أولاً: نسب أصالة، وهو الذي يعود لنسب رجل واحد، وتتواجد هذه الآن بالعشائر الصغيرة، والبيوتات، ولا تتواجد الآن بالقبائل، والعشائر الكبيرة، التي تنسب لجد قديم، وكان العرب الأوائل يطلقون عليها (الهامة) أي الرأس، وتسمى الآن (اللبة)، أو (الصبة)، أو (الباكورة).

ثانياً: نسب ولاء وهو، (يُطلق على العتيق، وقد يطلق على المُعتِق، فيقال مثلاً: إن أبا رافع، مولى بني هاشم، كما يقال إن بني هاشم موالي أبي رافع، والمعنى في ذلك: أنه يتولاهم وينتسب إليهم، وينصرهم، ويأوي إليهم، وهم كذلك يضمونه إليهم، ويعدونه كأفرادهم، ويساوونه عند الحاجة، ويرثونه تعصيباً ... يطلق اسم (المَولى) على العتقاء، ولو كان العتق لأجدادهم وإن بعدوا، وقد يكونوا من العرب، كزيد بن حارثة ﷺ، وقد يكونوا من الفرس، أو الروم، أو غيرهم))[٢].

قال رسول الله ﷺ: ((قَالَ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ))[٣].

كان ذلك مشهوراً في الجاهلية، بل كان المولى يتخذ ابناً ينسب إليه إلى أن حرمه الإسلام بقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾.

ثالثاً: نسب حلف، قال ابن الأثير: {أصل الحلف: المعاقدة، والمعاهدة على التعاضد، والتساعد، والاتفاق، فما كان منه في الجاهلية على الفتن، والقتال بين

---

[١] محاضرة مصورة ومنشورة على الأنترنت، للدكتور عبد الرحمن العثيمين، بعنوان: (أصول القبائل العربية والفرق بين الانتساب والأصالة) .

[٢] فتوى للشيخ ابن جبرين، برقم (٦٥٨).

[٣] صحيح البخاري، (٦٧٦١).

القبائل، والغارات، فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام بقوله ﷺ: ((لا حلف في الإسلام))[١]، وما كان منه في الجاهلية على نصر المظلوم، وصلة الأرحام، كحلف المطيبين، وما جرى مجراه، فذلك الذي قال فيه ﷺ: ((وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة))[٢]، يريد من المعاقدة على الخير، والنصر للحق}[٣]. ويؤيد ذلك قول ﷺ: ((حليف القوم منهم))[٤].

قال جواد علي: ((وطالما دفعت الحروب القبائل المغلوبة على الخضوع لسيادة القبائل الغالبة، وقد تتحالف معها، وتدخل في جوارها، وإذا دام ذلك طويلاً، فقد يتحول الحلف و الجوار إلى نسب))[٥].

ومن أشهر أحلاف القبائل العربية في الجاهلية، هو حلف اللهازم، الذي تحالفت فيه فروع من قبيلة بكر بن وائل، وبني عنزة بن أسد.

وتجدر الإشارة، أن هناك فرقاً بين انتساب الرجل لغير أبيه، أو انتسابه لغير القبيلة التي هو منها، فانتساب الرجل لغير أبيه محرم شرعاً بالإجماع.

يقول الشيخ محمد المنجد: ((ولا يحل لإنسان أن ينتسب إلى غير أبيه، لأنه يترتب عليه الكذب، ويترتب عليه الميراث، ويترتب عليه المحرمية، ويترتب عليه كل ما يترتب على النسب))[٦].

---

[١] رواه مسلم، (٢٥٣٠).

[٢] المصدر نفسه.

[٣] النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (ت: ٦٠٦هـ)، مادة (حلف)، (١/ ٤٢٤).

[٤] رواه الطبراني، (١٢/ ١٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٣١٥٦).

[٥] المفصل بتاريخ العرب قبل الاسلام، جواد علي، (ت: ١٤٠٨هـ)، (٢/ ١٦٧).

[٦] موقع الإسلام سؤال وجواب، برقم (٦٣٨).

قال النبي ﷺ: ((لاترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر))[١]، وقال ﷺ: ((من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام))[٢].

أما الانتساب للقبيلة كحلف أو موالاة، فجائز وورد ذلك عن السلف الصالح وبكثرة، ففي الحديث الصحيح، أن حاطباً قال للنبي ﷺ: ((يا رسول الله إني كنت امرأ من قريش ولم أكن من أنفسهم))[٣].

قال ابن حجر في شرحه: ((قوله كنت امرأ من قريش، أي بالحلف، لقوله بعد ذلك ولم أكن من أنفسهم، قوله كنت امرأ من قريش ولم أكن من أنفسهم، ليس هذا تناقضاً، بل أراد أنه منهم، بمعنى أنه حليفهم، وقد ثبت حديث حليف القوم منهم))[٤].

قال القلقشندي (رحمه الله): ((إذا كان الرجل من قبيلة، ثم دخل قبيلة أخرى، جاز أن ينسب إلى قبيلته الأولى، وأن ينسب إلى قبيلته التي دخل فيها، وأن ينسب إلى القبيلتين جميعاً، مثل أن يقال: التميمي ثم الوائلي، أو الوائلي ثم التميمي، وما أشبه ذلك))[٥].

---

[١] صحيح البخاري، (٦٧٦٨).

[٢] صحيح البخاري، (٦٧٦٦).

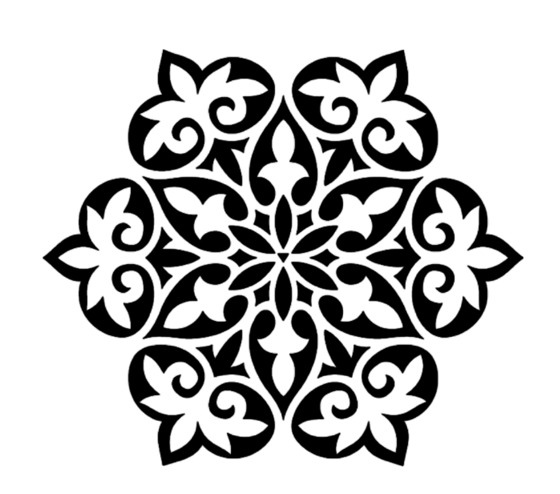
[٣] صحيح البخاري، (٤٨٩٠).

[٤] فتح الباري، ابن حجر، (ت: ٨٥٢هـ)، (٨/ ٦٣٤).

[٥] قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، القلقشندي، (ت: ٨٢١هـ)، (١/ ٢١).

والتي نراها الآن واضحة بالخؤولة، والزواج من القبيلة، ثم بعد فترة من الزمن ينسب لأخواله، وما يؤيد ذلك حديث الرسول ﷺ: ((ابن أخت القوم منهم))[1].

وهذا وارد في كتب النسابة، مثال ذلك ما رواه اليعقوبي: ((فأما أنمار بن نزار فإنه تزوج في اليمن فانتسب ولده إلى الخؤولة فمنهم بجيلة وخثعم))[2].



[1] صحيح البخاري، (٣٥٢٨).

[2] تاريخ اليعقوبي، (١/ ١٩٥).

الفرق بين النسب الشرعي والنسب البايولوجي:

فالنسب الشرعي: هو النسب الذي يثبت وفق الشريعة الإسلامية ويكون:

١. عن طريق الزواج الصحيح، ويسمى نسب أصالة، وهو واضح لا خلاف عليه.

٢. عن طريق الولاء، قال ﷺ: ((مولى القوم منهم))[١].

٣. عن طريق الحلف، قال ﷺ: ((حليف القوم منهم))[٢]، وقد ثبت بقريش أشرف قبائل العرب وجود هذه الأحلاف كما ذكرنا بحديث حاطب رضي الله عنه.

أما بالنسبة للنسب البيولوجي: فهو النسب الذي يورثه الأب لابنه سواء كان ذلك بزواج صحيح، أو زواج فاسد، أو زنا.

وابن الزنا شرعاً من المرأة المتزوجة، ينسب للزوج وليس للزاني، إلا إذا تبرأ الزوج من هذا الولد بملاعنة الزوجة، فعندئذٍ ينسب للأم.

أما بالنسبة للمرأة غير المتزوجة، فإنه ينسب لأمه ((عند جمهور العلماء))، استناداً لقوله ﷺ: ((الولد للفراش وللعاهر الحجر))[٣]، وابن الزنا لا يرث من أبوه الزاني، لأنه ليس أبوه الشرعي.

---

[١] صححه الألباني، بكتابه صحيح النسائي، برقم (٢٦١١)، وصحيح الجامع، برقم (١٦٦٣).

[٢] رواه الطبراني، (١٢/ ١٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٣١٥٦).

[٣] رواه البخاري، (٢٢٨١)، ومسلم، (١٤٥٧).

الفرق بين علم الأجناس وعلم الجين لتصنيف سلالات البشر:

علم الأجناس (Anthropology):

هو علم يقوم بتصنيف سلالات الإنسان، اعتماداً على الصفات الجسدية، التي يمكن ملاحظتها بسهولة من مسافة، مثل الشكل الرئيس، ولون البشرة، وشكل الشعر، وبنية الجسم، وطول القامة، وشكل الرأس، أو عن طريق صفات لا يمكن ملاحظتها إلا عن طريق قياسات كشكل الوجه، وشكل الأنف[1].

وهناك تصنيفات كثيرة، قام بها العلماء، ولعل أولها وأشهرها يقسم البشر إلى ثلاث سلالات:

السلالة الأولى: الجنس القوقازي (الجنس الأبيض) ويشمل: أوروبا، والهند، والفرس، والعرب، وشمال أفريقيا.

السلالة الثانية: الجنس الزنجي (الجنس الاسود) ويشمل: أفريقيا، والسكان الأصليين لأستراليا.

السلالة الثالثة: الجنس المغولي (الجنس الأصفر) ويشمل: شرق آسيا، والهنود الحمر، والصين، وجزر المحيط الهادي.

وينضوي تحت هذه المجموعات الثلاث، نحو ٩٩٪ من سكان العالم، ويبقى ١٪ يفضل الباحثون وضعها في مجموعة خاصة تسمى (مجموعة المذبذبين).

---

[1] علم الأجناس البشرية للقبائل والعشائر العراقية، هنري فيلد، ترجمة علي العريضي، فقد أورد بحوثاً قيمة عن العشائر العراقية.

أما علم الجين: فهو علم يعتمد على الجينات الموجودة بالإنسان، فيعتمد على:

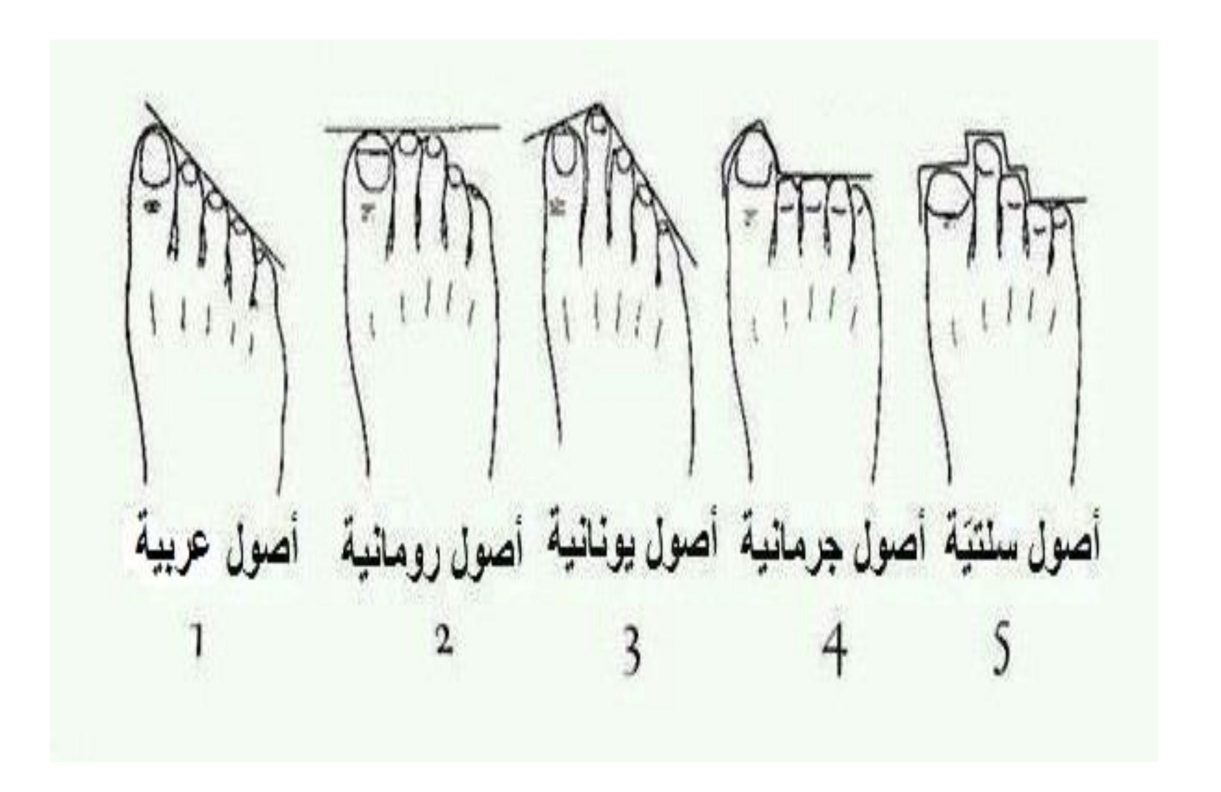
أولاً: السلالة الأبوية: تعتمد في التصنيف على الكروموسوم (Y)، والذي يوجد عند الذكور حصراً، ينقله الجد للأب، وبدوره يُنقل إلى الإبن وإبن الإبن.

ثانياً: السلالة الأنثوية: تعتمد في التصنيف على (المايتوكندريا)، والتي مصدرها البويضة عند المرأة حصراً، وتنقلها لأبنائها فما دون.

ثالثاً: الكروموسومات الجسمية (*Autosomal*)*:* وهي المكون الجيني للشخص، الذي يرث ٥٠٪ من الأب، و٥٠٪ من الأم.



شكل (٤) خريطة العالم للجنس البشري اليوم



شكل (٥) أشكال للأصابع يوضح تصنيف الأعراق حسب علم الأجناس

توضيح معنى الناس مؤتمنون على أنسابهم:

تُعد هذه المقولة ناقصة، ولا تستقيم إلا بإكمالها: (الناس مؤتمنون على أنسابهم، ما لم يدّعوا شرفاً). وهي قاعدة فقهية، تستخدم في مسائل اللقطاء، وإلحاق ولد الفراش، والمواريث، و ما شابهها من مسائل فقهية، وليس قاعده للأنساب.

وقد نسب هذا القول الإمام السخاوي في المقاصد الحسنة، وتبعه العجلوني في كشف الخفاء، إلى الإمام مالك (رحمه الله).

وقال الشيخ بكر أبو زيد: ((هذا لا أصل له مرفوعاً، ويذكر علماء التخريج أنه من قول مالك، وغيره من العلماء. وإلى هذه الساعة لم أقف عليه مسنداً إلى الإمام مالك، أو غيره من العلماء ، فالله أعلم))[1].

وقال أيضاً: ((وها هنا فائدة يحسن تقييدها، والوقوف عليها، وهو أن هذا (أي مقولة الناس مؤتمنون على أنسابهم) ليس معناه تصديق من يدعي نسباً قبلياً بلا برهان، ولو كان كذلك لاختلطت الأنساب، واتسعت الدعوى، وعاش الناس في أمر مريج، ولا يكون بين الوضيع، والنسب الشريف، إلا أن ينسب نفسه إليه. وهذا معنى لا يمكن أن يقبله العقلاء فضلاً عن تقريره، إذا تقرر هذا فمعنى قولهم (الناس مؤتمنون على أنسابهم) هو قبول ما ليس فيه جر مغنم، أو دفع مذمةٍ، ومنقصة في النسب، كدعوى الاستلحاق لولد مجهول النسب. والله أعلم))[2].

قال العلامة محمود شكري الآلوسي المتوفى (سنة ١٣٤٢هـ): ((الناس إنما يكونون مأمونين على أنسابهم إذا لم يكن في دعوى ذلك النَّسب جر مال، أو شرف، كما لا يخفى على ذوي الأفهام))[3].

قال الشيخ محمد الددو: ((إن هذه القاعدة صحيحة من الناحية الفقهية، فالنسب يُحاز بما يحاز به المِلك، والأملاك اختلف في حوزها، فقيل عشر سنين، وقيل خمس عشرة سنة، وقيل ثلاثين سنة، فمذهب الحنفية ثلاثون سنة، ومذهب

---

[1] معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد، (ت: ١٤٢٩هـ)، (٥٢٠).

[2] فقه النوازل، بكر أبو زيد، (١/ ١٢٢-١٢٣).

[3] صب العذاب على من سب الأصحاب، الألوسي، (٢٣٦).

الشافعية والحنابلة خمس عشرة سنة، ومذهب المالكية عشر سنوات، إذا حاز فيها غير شريك هو الأجنبي وتصرف، والمالك حاضر ساكت بلا عذر لم تقبل دعواه، ولا بينته بعد ذلك. فكذلك الأنساب إذا جاء شخص فزعم أنه ابن فلان، ولم يُنكر ذلك أحد، ولم يأتِ ما يخالفه، وعرف ذلك أزماناً متطاولة، ولم يُنكره أحد، ثبت له النسب بذلك فيرثه، وهكذا فليس المقصود النسب المشكوك فيه، أن يأتي فلان من الناس ويلصق نفسه في نسب معين ادعاءً، الناس لا يصدقونه فيه، فهذا ليس هو المقصود، المقصود ما سكت عنه الناس وسلموه، فهذا الذي يحاز كما تحاز الأملاك كلها، من حاز أرضاً، الأصل أن لا يقال له من أين لك هذا))[1].

من هم العرب؟

قال ابن منظور: {العرب: جيل من الناس، معروف خلاف العجم ... وحكى الأزهري: رجل عربي إذا كان نسبه في العرب ثابتاً، وإن لم يكن فصيحاً، وجمعه العرب، كما يقال: رجل مجوسي ويهودي، والجمع، بحذف ياء النسبة، اليهود والمجوس ... واختلف الناس في العرب، لم سموا عرباً؟ فقال بعضهم: أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب، يعرب بن قحطان وهو أبو اليمن كلهم، وهم العرب العاربة، ونشأ إسماعيل ابن إبراهيم (عليهما السلام) معهم، فتكلم بلسانهم، فهو وأولاده العرب المستعربة ... وقيل: إن أولاد إسماعيل نشأوا بعربة[2]، وهي من تهامة، فنسبوا إلى بلدهم... قال الأزهري: والأقرب عندي أنهم سموا عرباً، باسم بلدهم العربات. وقال إسحاق ابن الفرج: عربة باحة العرب،

---

[1] نقلاً عن موقع فضيلة الشيخ الددو، على شبكة الأنترنت.

[2] وهي وادي سلمى، (وادي موسى)، عند البتراء وهي عاصمة الأنباط.

وباحة دار أبي الفصاحة إسماعيل ابن إبراهيم (عليهما السلام)، وأقامت قريش بعربة فتنخت بها، وانتشر سائر العرب في جزيرتها، فنسبوا كلهم إلى عربة... قال الأزهري: المستعربة عندي قوم من العجم دخلوا في العرب، فتكلموا بلسانهم، وحكوا هيئاتهم، وليسوا بصرحاء فيهم}[1].

قال جواد علي: ((أما المستشرقون، وعلماء التوراة المحدثون، فقد تتبعوا تاريخ الكلمة، وتتبعوا معناها في اللغات السامية، وبحثوا عنها في الكتابات الجاهلية، وفي كتابات الآشوريين فيه لفظة (عرب) هو نصّ آشوري من أيام الملك (شلمنصر الثالث) (ملك آشور). وقد تبين لهم أن لفظة (عرب) لم تكن تعني عند الآشوريين ما تعنيه عندنا من معنى، بل كانوا يقصدون بها بداوة وإمارة (مشيخة)، كانت تحكم في البادية المتاخمة للحدود الآشورية، كان حكمها يتوسع، ويتقلص في البادية تبعاً للظروف السياسية، ولقوة شخصية الأمي، وكان يحكمها أمير يلقب نفسه بلقب (ملك) يقال له (جنديبو) أي (جندب) وكانت صلاته سيئة بالآشوريين، ولما كانت الكتابة الآشورية لا تحرك المقاطع، صعُب على العلماء ضبط الكلمة؛ فاختلفوا في كيفية المنطق بها، فقرئت:

(aribi) و (arubu) و (aribu) و (arub) و (arabi) و (urbi) و (arbi)، إلى غير ذلك من قراءات. والظاهر أن صيغة (Urbi) كانت من الصيغ القليلة الاستعمال، ويغلب على الظن أنها استعملت في زمن متأخر، وأنها كانت بمعنى (أعراب) على نحو ما يقصد من كلمي (عُربي) و(أعرابي) في لهجة أهل العراق، لهذا العهد. وهي تقابل كلمة (عرب) التي هي من الكلمات المتأخرة كذلك على رأي بعض المستشرقين، وعلى كل حال فإن الآشوريين كانوا يقصدون بكلمة (عربي) على اختلاف أشكالها بداوة، ومشيخة، كانت تحكم في أيامهم

---

[1] لسان العرب، مادة (عرب).

البادية تمييزًا لها، عن قبائل أخرى كانت مستقرة في تخوم البادية، ووردت في الكتابات البابلية جملة (ماتواربي)، (matu a-ra-bi)، (Matu arabaai)، ومعنى (ماتو) (متو) أرض، فيكون المعنى (أرض عربي)، أي (أرض العرب)، أو (بلاد العرب)، أو (العربية)، أو (بلاد الأعراب) بتعبير أصدق وأصح؛ إذ قصد بها البادية، وكانت تحفل بالأعراب، وجاءت في كتابة (بهستون) بيستون لدار الكبير (داريوس) لفظة (أربابة) (عربابة) وذلك في النص الفارسي، المكتوب باللغة (الأخمينية)، ولفظة (أربايا) في النص المكتوب بلهجة أهل السوس، وهي اللهجة العيلامية لغة عيلام.

ومراد البابليين أو الآشوريين أو الفرس من (العربية) أو (بلاد العرب)، البادية التي في غرب نهر الفرات الممتدة إلى تخوم بلاد الشام.

وقد ذكرت (العربية) بعد آشور وبابل، وقبل مصر في نصّ (دارا) المذكور، فحمل ذلك بعض العلماء على إدخال طور سيناء في جملة هذه الأرضين، وقد عاشت قبائل عربية عديدة في منطقة سيناء قبل الميلاد.

وبهذا المعنى أي معنى البداوة، والأعرابية، والجفاف، والقفر، وردت اللفظة في العبرانية، وفي لغات سامية أخرى، ويدل ذلك على أن لفظة (عرب) في تلك اللغات المتقاربة هو البداوة وحياة البادية، أي بمعنى (أعراب).

وإذا راجعنا المواضع التي وردت فيها كلمة (عربي) و (عرب) في التوراة، نجدها بهذا المعنى تماماً، ففي كل المواضع التي وردت فيها في سفر (أشعياء).

مثلًا نرى أنها استعملت بمعنى بداوة وأعرابية، كالذي جاء فيه: (ولا يخيم هناك أعرابي). فقصد بلفظة (عرب) في هذه الآية الأخيرة البادية موطن العزلة، والوحشة، والخطر، ولم يقصد بها قومية، وعلمية لمجلس معين بالمعنى المعروف المفهوم.

لم يقصد بجملة (بلاد العرب) في الآية المذكورة والتي هي ترجمة (مسا) لمعنى المفهوم من (بلاد العرب) في الزمن الحاضر، أو في صدر الإسلام؛ وإنما المراد بها البادية، التي بين بلاد الشام، والعراق، وهي موطن الأعراب))[1].

إن كلمة (عَرَبْ) هي كلمة سريانية (آرامية) (عرب، عربا) معناها الغرب، وهي كلمة وصفيَّة جغرافية، أطلقها سكان ما بين النهرين القدماء من الآراميين، والبابليين، والآشوريين، على الأقوام البدوية والرحَّالة الساكنة غرب نهر الفرات لتعني (الغربيين)، وبما أن منطقة غرب الفرات هي بادية صحراوية، و(عربا)، في اللغة السريانية معناها (صحراء، بيداء)[2].

يقول الدكتور صباح الناصري: {ظهرت كلمة (العربي) لأوّل مرّة في التّاريخ في نصّ للملك الآشوري سلمان أصر الثّالث، يفتخر فيه بانتصاره في معركة (قرقر) قرب قرية (قرقر) في وادي نهر الكلب، في سوريا، على تحالف ملوك مناطق غرب نهر الفرات سنة (٨٥٣) قبل الميلاد. وكان من بينهم جنديبو (جندب) (الملك العربي) الّذي شارك بألف جمل يركبها ألف مقاتل، والنّص منقوش على مسلّة حجرية تدعى بـ (حجر كُرخ) محفوظة في المتحف البريطاني في لندن}[3].

---

[1] المفصل بتاريخ العرب، جواد علي، (١/ ١٦-١٩).

[2] كلمة عرب، عرباً، واشتقاقاتها بالسرياني، المطران أوجين منا الكلداني، قاموس دليل الراغبين في لغة الآراميين، سرياني- عربي، (٥٦٥-٥٦٦)، وقاموس الحسن بن بهلول، سرياني - عربي، (عمود ١٤٥٨). وكلمة غرب، وصحراء، وبيداء، بنيامين حداد، قاموس روض الكلم، عربي - سرياني، (١/ ١٠٤، ٦٠٤)، و (٢/ ٧٠٤).

[3] مقالة منشورة على الأنترنت، بعنوان: (العرب وبلاد ما بين النهرين، في الألف الأولى قبل الميلاد).

قال الدكتور جواد علي: {ويرى بعض علماء التوراة أن كلمة (عرب) إنما شاعت وانتشرت عند العبرانيين بعد ضعف (الإشماعيليين)، (الإسماعيليين)، وتدهورهم وتغلب الأعراب عليهم حتى صارت اللفظة مرادفة عندهم لكلمة (إشماعيليين)، ثم تغلبت عليهم، فصارت تشملهم، مع أن (الإشماعيليين) كانوا أعراباً كذلك، أي قبائل بدوية تتنقل من مكان إلى مكان؛ طلبًا للمرعى وللماء. وكانت تسكن أيضاً في المناطق التي سكنها الأعراب، أي أهل البادية. ويرى أولئك العلماء أن كلمة (عرب) لفظة متأخرة، اقتبسها العبرانيون من الآشوريين، والبابليين، بدليل ورودها في النصوص الآشورية والبابلية}[1].

وأول من ذكر العرب من اليونان هو (أسكيلوس) (٥٢٥-٤٥٦ قبل الميلاد)، وقال: إنه كان في جيشه ضابط عربي من الرؤساء مشهور. ثم تلاه (هيرودوتس) شيخ المؤرخين (٤٨٤-٥٢٥ قبل الميلاد)، فتحدث في مواضيع من تاريخه عن العرب حديثاً يظهر منه أنه كان على شيء من العلم بهم. ((وقد أطلق لفظة (عربيا) على بلاد العرب البادية، وجزيرة العرب، والأرضين الواقعة إلى الشرق من نهر النيل، فأدخل (طور سيناء) وما بعدها إلى ضفاف النيل في بلاد العرب[2].

وأقدم ذكر للعرب ورد في زمن نبي الله سليمان (عليه السلام)، كما يذكر العهد القديم: ((وكان وزن الذهب الذي أتى سليمان في سنة واحدة ست مئة

---

[1] المفصل بتاريخ العرب، جواد علي، (١/ ٢٠).

[2] المصدر نفسه، (١/ ٢١).

وستاً وستين وزنة ذهب. ما عدا الذي من عند التجار، وتجارة التجار، وجميع ملوك العرب وولاة الأرض))[١].

قال القس البروفيسور حنا كتناشو: { إذا أخذنا بالتاريخ الموجود في رواية الكتاب المقدس، نجد أن أقدم ظهور للكلمة (عرب) مرتبط بملوك العرب الذين قدموا الذهب والفضة لسليمان الحكيم، (١مل ١٠: ١٥؛ ٢ أخ ٩: ١٤). ويقول الكتاب المقدس: ((وكان وزن الذهب الذي أتى سليمان في سنة واحدة ست مئة وستاً وستين وزنة. ما عدا الذي من عند التجار، وتجارة التجار، وجميع ملوك العرب وولاة الأرض))، (١ مل ١٠ :١٤ – ١٥) ويقول أيضاً: ((وكان وزن الذهب الذي جاء سليمان في سنة واحدة ستة مئة وستاً وستين وزنة ذهب، فضلاً عن الذي جاء به التجار والمُستبضعون وكل ملوك العرب وولاة الأرض كانوا يأتون بذهب وفضة إلى سليمان))، (٢ أخ ٩: ١٣ – ١٤). وهكذا ظهر ملوكٌ عربٌ نحو ١٠٠٠ ق. م. وظهر المصطلح (عرب) قبل ظهور الإسلام بنحو (١٦٠٠ سنة)، أي قبل ثلاثة آلاف سنة، ونستطيع أن نلاحظ أن أولئك العرب كان لهم عدة ملوك، وأنهم تكونوا من عدة فئات لها علاقة بالتجارة }[٢].

فالعرب أصلهم حضارة، والبداوة طارئة فيهم للضرورة، فمملكة حمير، وسبأ، وقريش البطاح، كلها حاضرة، لا كما يتصور بعض الناس، أن العرب التي ليست من البادية (حضر) ليسوا عرب اقحاح، ويتصور أن العرب الحقيقيين هم

---

[١] سفر الملوك الأول، (١٠ :١٥).

[٢] مقالة منشورة على الأنترنت بعنوان: (هل تحدث الكتاب المقدس عن العرب).

نقالة العود فقط، وهذا خطأ فادح في الفهم، والتلقي متأثراً بالمسلسلات البدوية والفهم القاصر، ويتجاهل أن الرسول ﷺ كان من الحاضرة وليس من البدو[١]، وهو من أفضل العرب، إذاً نقالة العود أمر طارئ، وليس الأساس عند العرب، ويذهبون إليه أحياناً في المواسم أو للضرورة .

بإمكاننا الجزم والقول أن الحضارة العربية بدأت في العصور التي سبقت ظهور الإسلام بنحو عشرين قرناً، وأن جذورها تمتد عميقة في الجزيرة العربية في قرون موغلة في القدم، وأنها تعد من حيث الأهمية كحضارة الفراعنة، وحضارة البابليين، والآشوريين.

قال الجاحظ: ((إن العرب لما كانت واحدةً فاستووا في التربة، وفي اللغة، والشمائل والهمة، وفي الأنف، والحمية، وفي الأخلاق، والسجية، فسبكوا سبكاً واحداً، وأفرغوا إفراغاً واحداً، وكان القالب واحداً، تشابهت الأجزاء وتناسبت الأخلاط، وحين صار ذلك أشد تشابهاً في باب الأعم، والأخص وفي باب الوفاق، والمباينة من بعض ذوي الأرحام، جرى عليهم حكم الاتفاق في الحسب، وصارت هذه الأسباب ولادةً أخرى حتى تناكحوا عليها، وتصاهروا من أجلها،

---

[١] ويستدل المفسرون بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾. بأن الله لم يبعث نبياً من أهل البادية، وهو قول أغلب المفسرين. أخرج ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن قتادة، في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾، قال: (ما نعلم أن الله أرسل رسولاً قط إلا من أهل القرى؛ لأنهم كانوا أعلم وأحكم من أهل العمود). تفسير الدر المنثور، (٤ / ٥٩٥).

وامتنعت عدنان قاطبة من مناكحة بنى إسحاق، وهو أخو إسماعيل، وجادوا بذلك في جميع الدهر لبني قحطان))[١].

قال العلامة مرعي الكرمي الْمُتَوَفَّى (سنة ١٦٢٤م): ((وَاعْلَمْ أن العرَبَ موجودة مِنْ قَبل إسماعيل لإبراهيم، فإنَّ الله تعالى قد بعثَ إليهم قبل إسماعيل هُوداً وصَالِحاً -عليهما السلام-. وما قيل مِنْ أن إسماعيل أبوَ العربِ فلعل المراد أشرف العرب، أو غالب العرب))[٢].

وقال: ((واعلم أنَ الأعراب في الأصل إسمٌ لسكان بادية أرض العرب، فإن كل أمةٍ لها حاضرة وباديةٌ، فباديةُ العرب الأعراب، وبادية الروم الأرمن، وبادية الترك التركمان، وبادية الفرس الأكراد))[٣].

قال ابن تيمية: واسم العرب في الأصل كان إسماً لقوم جمعوا ثلاثة أوصاف[٤]:

الأول: أن لسانهم كان اللغة العربية.

الثاني: أنهم كانوا من أولاد العرب.

الثالث: أن مساكنهم كانت أرض العرب، وهي جزيرة العرب.

فجعل ابن تيمية العرب لمن اجتمعت عنده هذه الصفات لكنه عاد في موقع آخر ففرق بين اللسان والنسب فقال: ((فإذا كانت العربية قد انقسمت:

---

[١] رسائل الجاحظ، (٧).

[٢] مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب، الكرمي، (١/ ٣٠).

[٣] المصدر نفسه، (١/ ٣٤).

[٤] اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، (١/ ٤٠٦).

نسباً ولساناً وداراً؛ فإن الأحكام تختلف باختلاف هذه الأقسام، فإن ما ذكرناه من تحريم الصدقة على بني هاشم، واستحقاق نصيب من الخمس؛ ثبت لهم باعتبار النسب، وإن صارت ألسنتهم أعجمية))[1].

من هو العربي ؟

خلال كتب التاريخ واللغة والأنساب يمكن القول أن (العرب) أطلقت فيما مضى على من ملك صفة واحدة من هذه الصفات:

الأول: من كان نسبهم عربي:

وهؤلاء سمّوا بالعرب العاربة، أو القحطانيين، أو السبئيين، أو عرب الجنوب (اليمن) وهؤلاء نسبوا العرب - كما زعموا- إلى شخص إسمه يعرب بن قحطان، وهو قول كثير من النسابة.

قال جواد علي: ((واتفقوا -أي المؤرخين- ، أو كادوا يتفقون، على أن القحطانيين هم عرب منذ خلقهم الله، وعلى هذا النحو من العربية التي نفهمها ويفقهها من يسمع هذه الكلمة، فهم الأصل))[2].

وقال أيضاً: {القائلون إن (يعرب) هو أول من أعرب في لسانه، وانه أول من نطق بالعربية، وأن العربية إنما سميت به، فأخذت من اسمه، إنما هم القحطانيون. وهم يأتون بمختلف الروايات، والأقوال؛ لإثبات أن القحطانيين هم أول العرب، وأن لسانهم هو لسان العرب الأول، ومنهم تعلم العدنانيون العربية، ويأتون بشاهد من شعر (حسان بن ثابت) على إثبات ذلك، يقولون: إنه قاله، وأن قوله هذا هو برهان على إن منشأ اللغة العربية هو من اليمن، يقولون إنه

---

[1] اقتضاء الصراط المستقيم، (١/ ٤٥٦).

[2] المفصل، (١/ ٢٩٤).

قال:

تعلمتمُ من منطق الشيخ يعرب   أبينا فصرتم معربين ذوي نفر
و كنتم قديماً ما بكم غير عجمة   كلام و كنتم كالبهائم في القفر

ولم يكن يخطر ببال هؤلاء أن سكان اليمن قبل الإسلام كانوا ينطقون بلهجات تختلف عن لهجة القرآن الكريم، وأن من سيأتي بعدهم سيكتشف سر (المسنَد)، ويتمكن بذلك من قراءة نصوصه والتعرف على لغته، وأن عربيته هي عربية تختلف عن هذه العربية التي ندوّن بها، حتى ذهب الأمر بعلماء العربية في الإسلام بالطبع إلى إخراج الحميرية، واللهجات العربية الجنوبية الأخرى من العربية، وقصر العربية على العربية التي نزل بها القرآن الكريم، وعلى ما تفرع منها من لهجات، كما سأتحدث عن ذلك فيما بعد. وهو رأي يمثل رأي العدنانيين خصوم القحطانيين))[1].

وقحطان عند النسابة هو جد سبأ المذكور بالحديث: ((عن عبد الله بن عباس أنَّ رجلًا سألَ رسولَ الله ﷺ عن سبأٍ ما هو، أَرَجلٌ أم امرأةٌ أم أرضٌ؟ فقال: بل هو رجلٌ وَلَدَ عَشْرةً فسَكَّنَ في اليمنِ منهم ستَّةٌ، وبالشامِ منهم أربعةٌ، أما اليمانيُّونَ فَمَذْحِجٌ، وَكِنْدَةُ، وَالْأَزْدُ، وَالْأَشْعَرِيُّونَ، وَأَنْمَارٌ، وَحِمْيَرُ، عَرَبًا كُلَّهَا، وَأَمَّا الشَّامِيَّةُ :فَلَخْمٌ، وَجُذَامُ، وَعَامِلَةُ، وَغَسَّانُ))[2].

---

[1] المفصل بتاريخ العرب، جواد علي، (١/ ١٥).

[2] رواه الإمام أحمد في مسنده، (٤/ ٣٢٢)، وصححه أحمد شاكر، والألباني، في صحيح أبي داود، رقم (٣٩٩٩)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، (٧/ ٩٧)، والبوصيري في إتحاف الخيرة، (١/ ٢٦١)، وابن كثير في تفسيره، (٦/ ٤٩٢)، وابن العربي في عارضة الأحوذي، (٦/ ٢٩٨)، وابن حبان في المجروحين، (٢/ ٢٦٣)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء، (٥/ ٢٥١).

الثاني: من كانت مساكنهم جزيرة العرب:

قال الكرمي: ((وأرض العرب هي: جزيرة العرب التي هي من بحر القلزم شرقي
مصر، إلى بحر البصرة، ومن أقصى حجر باليمن، إلى أوائل الشام))[1].

قال أبو عبد الله البكري الأندلسي المُتَوَفَّى (سنة ٤٨٧هـ): ((قال أبو عبيد عن الأصمعي، طولها من أقصى عدن أبين، إلى ريف العراق في الطول، وأن عرضها من جدّة وما والاها من ساحل البحر، إلى أطرار الشام. وقال الشعبي: جزيرة العرب ما بين قادسيّة الكوفة، إلى حضر موت. وقال أبو عبيدة: جزيرة العرب ما بين حفر أبي موسى، بطوارة من أرض العراق، إلى أقصى اليمن في الطول، وأمّا في العرض فما بين رمل يبرين، إلى منقطع السّماوة. قال: وحدّ العراق ما دون البحرين إلى الرمل الحرّ. قال الخليل: سمّيت جزيرة العرب جزيرة، لأنّ بحر فارس وبحر الحبشة والفرات ودجلة أحاطت بها، وهي أرض العرب ومعدنها))[2].

قال الفيروز أبادي المُتَوَفَّى (سنة ٨١٧ هـ): ((وجزيرة العرب ما أحاط به بحر الهند، وبحر الشام، ثم دجلة، والفرات، أو ما بين عدن أبين، إلى أطراف الشام طولاً، ومن جدة، إلى أطراف ريف العراق عرضاً))[3].

هناك حقيقة معلومة توارثها أغلب النسابة منذ العهد الجاهلي إلى العصر الحديث، أن لا علاقة نسبية تربط العرب البائدة، والعاربة، والمستعربة.

---

[1] مسبوك الذهب، الكرمي، (١/ ٣٤).

[2] معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، البكري، (١/ ٦).

[3] القاموس المحيط، الفيروز أبادي، (٣٦٤).

عن ربيعة بن قيس، أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول: ثلاث قبائل يقولون أنهم من العرب وهم أقدم من العرب، جرهم، وهم بقية عاد، وثقيف، وهم بقية ثمود، قال: وأقبل أبو شمر بن إبرهة الحميري فقال: وقوم هذا وهم بقية تبع، فقال ربيعة بن قيس وإلى جنبي رجل من بنى ثقيف فقلت: ما تسمع ما يقول أمير المؤمنين فيكم؟ فقال: ما تريد أن أرد عليه حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ[١].

وقد سكن الجزيرة العربية أقوام قبل القحطانيين (ذرية يعرب) وكانوا عرباً ولم ينكر أحد عروبتهم، كعاد، وثمود، ولم يكن لهم نسب مع قحطان، ومنهم على سبيل المثال من جاء حديث يثبت عروبتهم مثل هود، وصالح، (عليهما السلام)، وهو قوله ﷺ: ((وأربعة من العرب: هود، وشعيب، وصالح، ونبيك محمد ﷺ))[٢]، ونسبهم كما ذكره النسابون:

قبيلة ثمود: ونسبهم ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح (عليه السلام)، ومن ذريته نبي الله صالح (عليه السلام)، وسكنوا شمال الجزيرة العربية بمنطقة الحجر، والتي تسمى الآن مدائن صالح.

قبيلة عاد: ونسبهم عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح (عليه السلام)، ومن ذريته نبي الله هود بن عبدالله بن رباح بن لجلود، وسكنوا جنوب الجزيرة العربية بالأحقاف، وتسمى اليوم بالربع الخالي.

وقد ادعوا القحطانيين أن عابر هو هود (عليه السلام)، وقد رده النسابة سابقاً، واستشهدوا ببيت شعر نُسِب إلى حسان بن ثابت:

---

[١] الأنساب، السمعاني، (١/ ٢٠).

[٢] رواه ابن حبان وصححه برقم (٣٦١)، وأبو نعيم في الحلية، (١/ ٢٢١)، وضعفه، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية، (٢/ ١٤٠) وضعفه، وكذلك ضعفه السيوطي في الدر المنثور، (٥/ ١٣٢).

قحطانٌ أبونـا وهــود جدنــــا وشيوخنا مثل النجوم الزحلي

قال ابن عبد البر الْمُتَوَفَّى (سنة ٤٦٣ هـ): ((قَالَ ابْن الْكَلْبِيّ قَول النَّاس إِن هوداً هُوَ عَابِر بَاطِل، لِأَن هوداً ابْن عبد الله بن الجُلُود بن عَاد بن عوص بن إرم بن سَام بن نوح، قَالَ وهب بن مُنَبّه وَلَيْسَ هُوَ بأب لليمن، لِأَن الْيمن من ولد قحطان بن عَابِر بن شالخ بن أرفخشذ بن سَام بن نوح، قَالَ وهب: وَإِنَّمَا ادَّعَت الْيمن هوداً أَبَا حِين وَقعت العصبية بَين الْيمن، وَمُضر، ففخرت مُضر بأبيها إِسْمَاعِيل، فادعت الْيمن عِنْد ذَلِك هوداً. وَاحْتج وهب بقول الله تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[1] يَعْنِي أَخَاهُم فِي النّسَب، قَالَ وَإِنَّمَا الْيمن من ولد أرفخشذ بن سَام بن نوح))[2].

قال الإمام ابن حزم: {وأما قحطان، فمختلف فيه من ولد من هو؟ فقوم قالوا: هو من ولد إسماعيل -عليه السلام-. وهذا باطل بلا شك، إذ لو كانوا من ولد إسماعيل، لما خص رسول الله ﷺ بني العنبر بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بأن تعتق منهم عائشة.

وإذ كان عليها نذر عتق رقبة من بني إسماعيل، فصح بهذا أن في العرب من ليس من ولد إسماعيل. وإذ بنو العنبر من ولد إسماعيل، فآباؤه بلا شك من ولد إسماعيل؛ فلم يبق إلّا قحطان وقضاعة. وقد قيل إن قحطان من ولد سام بن نوح؛ والله أعلم؛ وقيل: من ولد هود (عليه السلام)؛ وهذا باطل أيضاً بيقين قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ

---

[1] سورة هود: الآية: (٥٠).

[2] الإنباه على قبائل الرواة، (٢٩).

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾[1] ، وهود (عليه السلام)، من عاد، ولا ترى باقية لعاد}[2].

قال الإمام القرطبي: ((وقد اختلف النسابون في قحطان فقال قوم: هو قحطان بن عابر وهو هود النبي عليه السلام بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وهذا قول قد شاع في الناس، ونسبوا قحطان إلى هود عليه السلام في أشعارهم. وخاصة حسان بن ثابت وهي قصائد منسوبة ومنحولة إليه، والصحيح من الأقوال أن قحطان ابن عابر غير هود عليه السلام ... وقد ثبت أن هود بن عاد وعاد من ولد أرم بن سام والعرب من ولد أفخشذ ابن سام ولو قيل لهم أنهم ولد عاد لأنكروا ذلك وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ قال المفسرون أخاهم في النسب، وقال وهب بن منبه، ليس هود أبا اليمن لأن اليمن من ولد أرفخشذ بن سام وهود من ولد أرم بن سام، وإنما أدعت اليمن هوداً أباً حين افتخرت مضر بأبيها إسماعيل، وادعت اليمن هوداً أباه فهذه الأقوال كما نرى والله أعلم بالصواب))[3].

قال الإمام ابن حجر العسقلاني: ((الذي يترجح في نقدي وذلك أن عدد الآباء بين المشهورين من الصحابة وغيرهم، وبين قحطان، متقارب من عدد الآباء بين المشهورين من الصحابة وغيرهم، وبين عدنان، فلو كان قحطان هو هوداً أو بن أخيه أو قريباً من عصره لكان في عداد عاشر جد لعدنان، على المشهور

---

[1] سورة الحاقة: الآيات: (٦-٨).

[2] جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، (ت: ٤٥٦هـ)، (٧).

[3] التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب، (٣٣).

أن بين عدنان وبين إسماعيل أربعة أباء أو خمسة، وأما على القول بأن بين عدنان وإسماعيل نحو من أربعين أباً، فذاك أبعد وهو قول غريب عند الأكثر))[١].

وقد سكن الجزيرة العربية بعد القحطانيين، أقوام ليسوا من نسل قحطان (عرب اليمن) وسمّوا عرب (العدنانيون) وهم أحفاد نبي الله إسماعيل (عليه السلام)، الذي لم يكن جدهم إبراهيم (عليه السلام)، عربي بل كان سرياني باتفاق المؤرخين.

أخرج الإمام الطبري عن ابن عباس: {قال لما هرب إبراهيم من كوثى، وخرج من النار ولسانه يومئذ سرياني، فلما عبر الفرات من حران غير الله لسانه فقيل عبراني أي حيث عبر الفرات، وبعث نمرود في أثره وقال لا تدعوا أحداً يتكلم بالسريانية إلا جئتموني به، فلقوا ابراهيم (عليه السلام) فتكلم بالعبرانية فتركوه ولم يعرفوا لغته}[٢].

كما ذكر ذلك العيني في شرح البخاري، وابن سعد بالطبقات، والهمذاني في الإكليل، وغيرهم، وهي أقوال أكثر المؤرخين والنسابة.

قال ابن سلام: {أول من تكلم بالعربية، ونسي لسان أبيه، إسماعيل عليه السلام))[٣].

وقد جاء إبراهيم (عليه السلام) بأهله من أرض العراق إلى الجزيرة العربية (مكة) ونشأ إبنه إسماعيل (عليه السلام)، وتعلم العربية[٤]، من جرهم بنص

---

[١] فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٦/ ٥٣٨).

[٢] تاريخ الطبري، (١/ ٢١٨).

[٣] رواه محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، (١/ ٩).

[٤] حديث البخاري، (٣٣٦٤).

حديث البخاري، وأصبحت ذريته من العرب، والتي سميت عند أهل التاريخ بالعرب المستعربة، ولم ينكر أحد عروبتهم}.

قال المؤرخ جواد علي: ((إني سأطلق لفظة عرب على جميع سكان الجزيرة بغض النظر عن الزمان الذي عاشوا فيه، ولعلني لا أكون مخطئاً أو مبالغاً إذا قلت إن الوقت قد حان لاستبدال مصطلح (سامي) و (سامية) بـ (عربي) و(عربية) فقد رأينا أن تلك التسمية هي تسمية مصطنعة)).

ثالثاً: اللسان والثقافة:

والمقصود باللسان هنا هو اللسان العربي وفق عربية الحجاز (عربية القرآن حصراً).

ذكر ابن فارس: ((أما من زعم أن ولدَ إسماعيل عَلَيْهِ السلام يُعيّرون وَلدَ قَحْطان أنهم ليسوا عرباً، ويحتجُّون عليهم بأنَّ لسانَهم الحِمْيريَّة ... فليس اختلافُ اللُّغات قادِحاً فِي الأنساب))[1]، ومخطأ من يظن أن اللغة العربية كانت واحدة لكل العرب، وأن لغة أهل اليمن هي نفسها لغة أهل الحجاز.

قال الطبري في تفسيره: ((كانت العرب، وإن جمع جميعها اسم أنهم عرب، أنهم مختلفو الألسن بالبيان، متباينو المنطق والكلام، وأن ألسنتهم كانت كثيرة كثرة يُعجَز عن إحصائها))[2].

---

[1] الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، (٣١).

[2] تفسير الطبري، (١/ ٢٠).

قال أبو عمرو بن العلاء: اللغوي المعروف وأحد القراء السبع، المُتَوَفَّى (سنة ١٥٤ هـ): ((ما لسان حِمَير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيَّتُهم بعربيَّتنا))[١].

قال ابن جني: ((وبعد فلسنا نشك في بعُد لغة حمير ونحوها عن لغة بن نزار))[٢].

وعلى هذا القول سار بعض الباحثين وبعض الفقهاء واستندوا إلى حديث ضعيف:

((جاء قيسُ بنُ مطَّاطيَّةَ إلى حلقةٍ فيها سلمانُ الفارسيُّ، وصُهيبٌ الرُّوميّ، وبلالٌ الحبشيُّ، فقال: هؤلاء الأوسُ والخزرجُ قاموا بنُصرةِ هذا الرَّجلِ، فما بالُ هؤلاء، قال: فقام معاذٌ فأخذ بتلبيبِه حتَّى أتى به النَّبيَّ ﷺ فأخبره بمقالتِه، فقام رسولُ اللهِ ﷺ مُغضَبًا يجُرُّ رِداءَه، حتَّى دخل المسجدَ، ثمَّ نُودي الصَّلاةُ جامعةٌ، فحمِد اللهَ وأثنَى عليه، ثمَّ قال: يا أيُّها النَّاسُ إنَّ الرَّبَّ ربٌّ واحدٌ، وإنَّ الأبَ أبٌ واحدٌ، وإنَّ الدِّينَ دينٌ واحدٌ، ألا وإنَّ العربيَّةَ ليست لكم بأبٍ ولا أمٍّ، إنَّما هي لسانٌ، فمن تكلَّم بالعربيَّةِ فهو عربيٌّ، فقال معاذٌ وهو آخِذٌ بتلبيبِه يا رسولَ اللهِ ما تقولُ في هذا المنافقِ، فقال دَعْه إلى النَّارِ، قال فكان فيمن ارتدَّ فقُتِل في الرِّدَّةِ))[٣].

---

[١] طبقات الشعراء، الجمحي، (٣٧).

[٢] الخصائص، ابن جني، (١/ ٣٩٢).

[٣] رواه ابن عساكر مرسلاً في تاريخ دمشق، (٢٤/ ٢٢٥)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، (٩٢٦)، وقال ابن تيمية بعد تضعيفه للخبر لكن معناه ليس ببعيد، بل هو صحيح من بعض الوجوه.

وقد أورد الكليني عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: من ولد في الإسلام حُراً فهو عربي[١].

قال ابن تيمية: {فروى الحافظ أبو طاهر السلفي في فضل العرب بإسناده عن أبي شهاب الحناط، حدثنا جبار بن موسى عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي قال: (من ولد في الإسلام فهو عربي) ويروى حديث: (من تكلم بالعربية فهو عربي ومن أدرك له إثنان في الإسلام فهو عربي) أي (ومن أدرك له أبوان). قال ابن تيمية: ((هنا إن صح هذا الحديث فقد علقت العربية فيه بمجرد اللسان، وعلقت في النسب بأن يدرك له أبوان، في الدولة الإسلامية العربية}[٢].

يتبين من ذلك أن الثقافة المقصود بها الدين الإسلامي[٣]؛ لإن كثيراً من الثقافة العربية الجاهلية، لم يرتضها الإسلام، كوأد البنات، واحتقار المرأة، وأنواع كثيرة من الزواج، والاستلحاق، وقتل الأطفال مخافة الفقر، وتبرج النساء، والمباهاة بالغزوات والسلب.

قال ابن تيمية: ((وما ذكرناه من حكم اللسان العربي، وأخلاق العرب، يثبت لمن كان كذلك، وإن كان أصله فارسياً، وينتفي عمن لم يكن كذلك وإن كان أصله هاشمياً))[٤].

---

[١] أصول الكافي، رقم الحديث، (١٢٦).

[٢] اقتضاء الصراط المستقيم، (١/ ٤٥٨).

[٣] ذكر ابن الكلبي عن ابن عباس ((النصرانية كانت في ربيعة، وغسان، وبعض قضاعة، واليهودية كانت في حمير، وبني كنانة، والفرسان، وبني الحارث بن كعب، وكندة، والمجوسية كانت في تميم،... والزندقة في قريش)). مثالب العرب والعجم، (١٦٧).

[٤] اقتضاء الصراط المستقيم، (١/ ٤٥٦).

أهم الآراء في نشأة اللغة العربية:

تعددت الآراء حول نشأة اللغة العربية وأهمها:

الرأي الأول: يقول البعض أنّها لغة آدم في الجنة، أيّ أنّها أقدم من العرب نفسهم.

الرأي الثاني: هناكَ الكثيرُ مِنَ النقوشِ باللغةِ العربيّة، على النقوشِ الحَمِيريّة، وأيضاً السَبَئِيّة فِي اليمن، ومِن خِلالِ هَذِهِ النقوشاتِ يُمكِن التأكّد مِن أنّ اللغةِ العربيّة ظَهَرَت فِي جنوبِ الجزيرة العربيّة بظهورِ مَملَكَةِ سبأ في القرنِ العاشر قَبلَ الميلاد.

الرأي الثالث: هناكَ الكثيرُ مِنَ الاعتقاداتِ التي تشيرُ إلى أنّ اللغة العربيّة خَرَجَت مِن النبطيّة (وَهُم الأنباطِ الّذينَ عاشوا فِي منطقَةِ البتراء فِي الأردن) والتي أدّت إلى ظهورِ الأبجديّة الفينيقيّة، وَمِن هذِهِ الأبجديّة العبريّة، والإغريقيّة، وَظَهَرَت بَعضُ أشكالِ الأبجديّة النبطيّة الّتي تَحمِل خصائِص اللغة العربيّة، وَيُعتَقَد أنّهم كانوا يتكلّمونَ بشكلٍ مِن أشكالِ اللغةِ العربيّة.

الرأي الرابع: يقول البعض الآخر أنّ قبيلة يعرب بن قحطان هم أول من نطق بالعربية، ولكن حسب المؤرخين فإنّ يعرب بن قحطان كانوا يتكلّمون عربية تختلف عن العربية الأصلية في قواعدها.

الرأي الخامس: آخرون يقولون أن إسماعيل (عليه السلام) أول من تكلم بها.

الرأي السادس: يُرى البعض أنّها لغة قريش خاصة، أنّ أقدم النصوص المتوفرة بالعربية هو القرآن الكريم، ونصوص النبي محمد ﷺ. وأنّ دعوته جاءت بالعربية، وهذا هو الرأي السائد عند اللغويين العرب القُدامى.

الرأي السابع: والبعض يقول أن العربية تطورت في مملكة كندة في القرن السادس الميلادي، وكان ذلك بعد اهتمام الملوك بالشعراء الذين أصبحوا يتنافسون فيما بينهم ممّا أدّى إلى توحيد اللهجة الشعرية، وهؤلاء الشعراء أقدم من قريش،

وهناك الكثير من المستشرقين الذين أيّدوا هذه النظرية حول نشأة العربية، وعلى الرغم من هذا الرأي إلّا أنّ الرأي السائد كان اعتبار اللغة العربية هي لغة قريش، وبخاصّة أنّ الشعر الجاهلي تمّ تدوينه رسمياً بعد الإسلام، ولا توجد أي نسخ أصلية، أو قصائد جاهلية، يحدد بها التاريخ الدقيق لها.

لغة أهل الجنة:

قال المنجد: {لم يرد في القرآن الكريم، أو في السنة الصحيحة – فيما نعلم- بيان اللغة التي يتكلم بها أهل الجنة، والوارد في ذلك حديث لا يصح عن نبينا ﷺ، وبعض الآثار، فقد روى الطبراني في الأوسط، والحاكم، والبيهقي في شعب الإيمان، وغيرهم ... قال رسول الله ﷺ: ((أحبوا العرب لثلاث لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي))، وهذا الحديث حكم عليه ابن الجوزي بالوضع، وقال الذهبي: أظن الحديث موضوعاً، وقال الألباني في السلسة الضعيفة (رقم ١٦٠) موضوع. والحاصل أنه لم يرد دليل صحيح يبين اللغة التي يتكلم بها أهل الجنة، ولهذا يتعين السكوت عن هذه المسألة، وعدم الخوض فيها وتفويض علمها إلى الله تعالى، والانشغال بما يترتب عليه عمل ينفع في تلك الدار}[1].

---

[1] موقع الإسلام سؤال وجواب، رقم (٨٣٢٦٢).

ماهي اللغة التي تكلم بها آدم (عليه السلام) عندما أُنزل إلى الأرض؟

لقد قيل في هذا الموضوع آراء بسبب عدم وجود نص، ومنها:

الرأي الأول: إن آدم (عليه السلام) تكلم اللغات كلها ويستند هذا الرأي على قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[١]، وهو قول أكثر الأصوليين المسلمين.

الرأي الثاني: إن لغة آدم (عليه السلام) كانت اللغة العربية، وهو قول زغلول النجار.

الرأي الثالث: هي لغة الإشارة وهو قول البروفيسور الأمريكي، أيكل كورباليس.

الرأي الرابع: وهي اللغة السريانية، قال الإمام أحمد في العلل، عن الحسن قال: ((خرج آدم من الجنة ولغته السريانية ولن تعود إليه))[٢]، و حديث أبو ذر: ((يا أبا ذر أربعة سريانيون: آدم، وشيث، وأخنوخ وهو إدريس -وهو أول من خط بالقلم- ونوح. وأربعة من العرب: هود، وشعيب، وصالح، ونبيك محمد ﷺ))[٣].

---

[١] سورة البقرة: من الآية: (٣١).

[٢] حديث مقطوع صحيح الإسناد للحسن، رواه الإمام أحمد بالعلل، (٣/ ٤١٤).

[٣] رواه ابن حبان وصححه، برقم (٣٦١)، وأبو نعيم في الحلية، (١/ ٢٢١)، وضعفه، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية، (٢/ ١٤٠)، وضعفه، وكذلك ضعفه السيوطي في الدر المنثور، (٥/ ١٣٢).

أصل الكتابة العربية[1]:

أختلف العلماء في أصلها، ومكان نشأتها على عده آراء، أهمها:

[1] أول ما تم اختراع الكتابة كان عام (٥٠٠٠ ق.م)، في بلاد الرافدين، بواسطة السومريين، وكانت وسيلة الكتابة المتاحة لهم آنذاك هي (الألواح الطينية)، وقد ظهرت الكتابة على الألواح الطينية باللغة المسمارية عام (٣٦٠٠ ق.م)، بحيث كان يتم تشكيل هذه الألواح، وبعد ذلك يتم الطباعة عليها بأداة تشبه المسمار بطرق معينة قبل أن تجف، وذلك لتكوين الحروف التي كان يتم ربطها مع بعضها ليتم تشكيل الكلمات، وبعد ذلك كانت هذه الألواح تترك لتجف تحت الشمس، أو كان يتم تجفيفها باستخدام النار، وقد سميت هذه الكتابة بالكتابة المسمارية؛ وذلك لأنها كانت تكتب بواسطة أداة شبيهة بالمسمار إلى حدٍّ ما، ثم انتقل إلى الكتابة على أوعية أخرى، كالرق، والبردي، والورق الذي اخترع في بداية القرن الثاني.

الكتابة الهيروغليفيّة، انتشرت بمصر سنة (٣٤٠٠) قبل الميلاد، وكانت (لغة صورية)، وقد استخدمها المصريون بشكل رئيسي في النقوش الدينية بالمعابد ولتسجيل حالات الأسر الحاكمة.

وقد أطلق على الكتابات الأولى المسماريّة و الهيروغليفيّة بالكتابات (التصويريّة).

ثم بعد ذلك تطورت الكتابة من الكتابة بالمقاطع إلى الكتابة بالحروف، وهي عبارة عن عدد من الحروف تمثل أصواتاً معيّنة، بحيث يقابل كل حرف معين صوت معين، وتسمى هذه المرحلة (الأبجدية)، ويرجع الفضل إلى الفينيقيين الذين سكنوا بلاد الشام سنة (١١٠٠) قبل الميلاد، في اختراع هذا النوع من الكتابة، وتعتبر الكتابة الفينيقية أساسٍ للكتابة في الغرب والشرق.

ثم بعد ذلك قام الإغريق بأخذ الأبجديّة الفينيقيّة، والتطوير عليها، ليتوصّلوا إلى أبجديّةٍ خاصّة بهم، وقد أصبحت تلك الأبجدية هي الأساس في أبجديّة الغرب، حتى جاء الرومان وقاموا بتعديل سبعة أحرف من الأبجدية الإغريقيّة التي بلغ عددها تسعة عشر حرفاً، وأعادوا استخدام أحرفٍ ثلاثة كان الإغريق قد توقفوا عن استخدامها، وقد سادت تلك الأبجدية بالإضافة إلى اللغة اللاتينيّة الدول الأوروبيّة، وما زالت تستخدم حتى يومنا هذا مع بعض التعديلات.

الأول: أنها توقيفية من الله، روي بهذا حديث أبي ذر ﵁: {قلت: يارسول الله أي كتاب أنزله الله على آدم؟ قال: كتاب المعجم، ألف، با، تا، ثا، إلى آخرها، قلت: ((يارسول الله كم حرفاً؟ قال: تسع وعشرون))، قال ابن عراق: سئل عنه ابن تيمية فقال: لا أصل له، ولوائح الوضع عليه ظاهرة}[1].

الثاني: إنّ آدم (عليه السلام) هو من وضعها، كتبها في طين وطبخه، قبل أن يموت بثلاثمائة سنة، ولما كان غرق الطوفان، أصاب كلّ قوم كتابهم، وقيل إدريس (عليه السلام)[2].

الثالث: إن أصله من اليمن، وهو مشتق من الخط الحميري، (المسند) وانتقل للحيرة، ثم إلى الحجاز[3]، وهو رأي ابن خلدون، ومن المعاصرين شكيب أرسلان، واليازجي، وقد أبطل هذا الرأي، الدكتور إبراهيم جمعة[4]، وقال ليس هناك علاقة ظاهرة بين خط حمير والكتابة العربية.

الرابع: وقيل نبي الله إسماعيل بن إبراهيم الخليل[5].

---

[1] خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي، (ت: ١٠٩٣هـ)، (١/ ١٠١).

[2] وصبح الاعشى للقلقشندي، ٣/ ٩.

[3] مقدمة ابن خلدون، طبعة شركة دار الارقم، ص.٤٥٤

[4] قصة الكتابة العربية، ص٩.

[5] الصاحبي في فقه اللغة، ص٧.

الخامس: قال برهان الدين الحلبي: أن أول من كتب بالعربية من ولد إسماعيل هو مضر بن نزار[١]، وروى مكحول الهذلي، أن أول من وضعوا الخط، والكتابة، هم نفيس، ونضر، وتيماء، ودومة، من أولاد اسماعيل بن إبراهيم[٢].

السادس: قال المسعودي: أن أول من وضع الخط هم بنو المحصن بن جندل بن يعصب بن مدين[٣]، وقيل بل هم ملوك مدين قوم شعيب (عليه السلام).

السابع: قال ابن هشام: أوّل من كتب الخط العربي حمير بن سبأ[٤].

الثامن: وقيل أن أول من وضع الخط ثلاثة من قبيلة طيء سكنوا الأنبار، روي عن ابن عباس قال: ((أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان، وهي قبيلة سكنوا الأنبار، وأنهم اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطعة وموصولة، وهم مرار بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة، ويقال: مروة وجدلة، فأما مرامر فوضع الصور، وأما أسلم ففصل ووصل، وأما عامر فوضع الإعجام، وسئل أهل الحيرة: ممن أخذتم العربي؟ فقالوا: من أهل الأنبار))[٥].

وعلى هذا الرأي تكون النقاط، والإعجام، وضعت قبل الإسلام كما يذكر بعض الكتاب.

---

[١] السيرة الحلبية، ١/ ٢٨.

[٢] الفهرست لابن النديم، ص١٢-١٣.

[٣] تاريخ اللغات السامية، ولفنسون، ص١٧٢.

[٤] صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ٣/ ١٣.

[٥] صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، (ت: ٨٢١هـ)، (٣/ ١١).

وقد نقل هذا الخط من الحيرة إلى مكة والحجاز، ومن ثم إلى الشام، رجل من أهل (دومة الجندل)، يسمى: بشر بن عبد الملك السكوني[١].

قال القلقشندي: (يبعد أن الحروف قبل ذلك مع تشابه صورها كانت عرية عن النقط إلى حين نقط المصحف)[٢].

ويذكر أبو عمرو الداني المتوفى (سنة ٤٤٤هـ)، صاحب المقنع في رسم مصاحف الأمصار: (أن فكرة النقط لم تكن جديد كل الجدة، فقد كان لأهل المدينة وأهل مكة نقط يختلف عن نقط أبي الأسود تركوه وأخذوا بنقط أبي الأسود الذي سمي أحياناً بنقط البصرة[٣].

ويؤيد هذا الرأي أن هناك بعض النقوش الحجرية القديمة في الشام وشمال الجزيرة العربية تدل على أن التنقيط بالعربية كان معروفاً قبل الإسلام بزمن طويل، يذكر الدكتور (جروهمن)، أنه وجد حروفاً منقطة في وثيقة من وثائق البردي المدونة بالعربية واليونانية والتي يعود تاريخها إلى عام (٢٢ هـ).

ويمكن القول أن النقاط كانت موجودة لكنها كانت قليلة الانتشار والاستعمال، إلا في حدود ضيقة؛ بسبب كثرة الأمية بالعرب ولم تولى أهمية إلا بعد نزول القرآن الكريم، ودخول الأعاجم في الإسلام.

---

[١] المفصل في تاريخ العرب، (١٥/ ١١١).

[٢] صبح الأعشى، (٣/ ١٥٥).

[٣] الدراسات اللغوية عند العرب، محمد حسين آل ياسين، (٥٤).

يرى أغلب المستشرقون والعلماء إنّ الخطّ العربي مشتق من الخطّ النبطي، ويؤيد هذا الرأي الدكتور جواد علي؛ حيث يقول: إن أغلب حروف وأشكال الخط العربي مشابهة لحروف الخطّ النبطي المتأخر وأشكاله، ومن المعاصرين الشيخ الدكتور سلطان القاسمي، حاكم الشارقة.

تصنف للأبجديّة العربيّة بأنها مشتقة من الأبجدية النبطية، المشتقّة من الأبجدية السريانية، المشتقّة من الأبجدية الآرامية، المشتقّة من الأبجدية الفينيقيّة، التي تعود للهيروغليفية المصرية أُم الكتابات عامة.

مراحل تطور الكتابة العربية:

لقد اهتم المسلمون بالكتابة العربية؛ لأن القرآن الكريم يكتب بالحروف العربية[1]، وكثرة دخول الأعاجم في الإسلام أوجب أن تتطور الكتابة لتلائم الوضع آنذاك.

كان أول تطور للكتابة العربية، هو ما صنعه أبو الأسود الدؤلي (٦٧ هـ)، بوضع حركات التشكيل (الضمة، والفتحة، والكسرة)، فجعل النقطة أمام الحرف علامة على الضمة، وفوقه علامة على الفتحة، وتحته علامة للكسرة ولم يضع علامة للسكون استعان الدؤلي في ذلك بعلامات كانت عند السريان.

ثم جاءت مرحلة الإصلاح الثانية بالتطوير، قام نصر بن عاصم الليثي، (وهو من تلامذة أبي الأسود الدؤلي)، بوضع النقاط على الحروف، و ذلك بأمر

---

[1] ويرى جمهور علماء الإسلام أن كتابة القرآن الكريم بالرسم العثماني توقيفية.

من الحجاج بن يوسف الثقفي، فصار يُميز بين الراء والزاي، وبين السين والشين، وبين الدال والذال.

أما الإصلاح الثالث فقام به الخليل بن أحمد الفراهيدي، فوضع ضبطاً أدق من ضبط أبي الأسود، فجعل النقط لإعجام الحروف، وجعل ألفاً مبطوحة فوق الحرف علامة على الفتح، وتحته علامة على الكسر، وجعل رأس واو صغيرة علامة على الضم.

واصطلح على أن يكون السكون الخفيف (الذي لا إدغام فيه) رأس خاء أو دائرة صغيرة، وللهمزة رأس عين (ء) واخترع شكل الشدة (ّ)، وهي من أول حرف من اسمها (س) غير مكتملة.

ترتيب الحروف العربية:

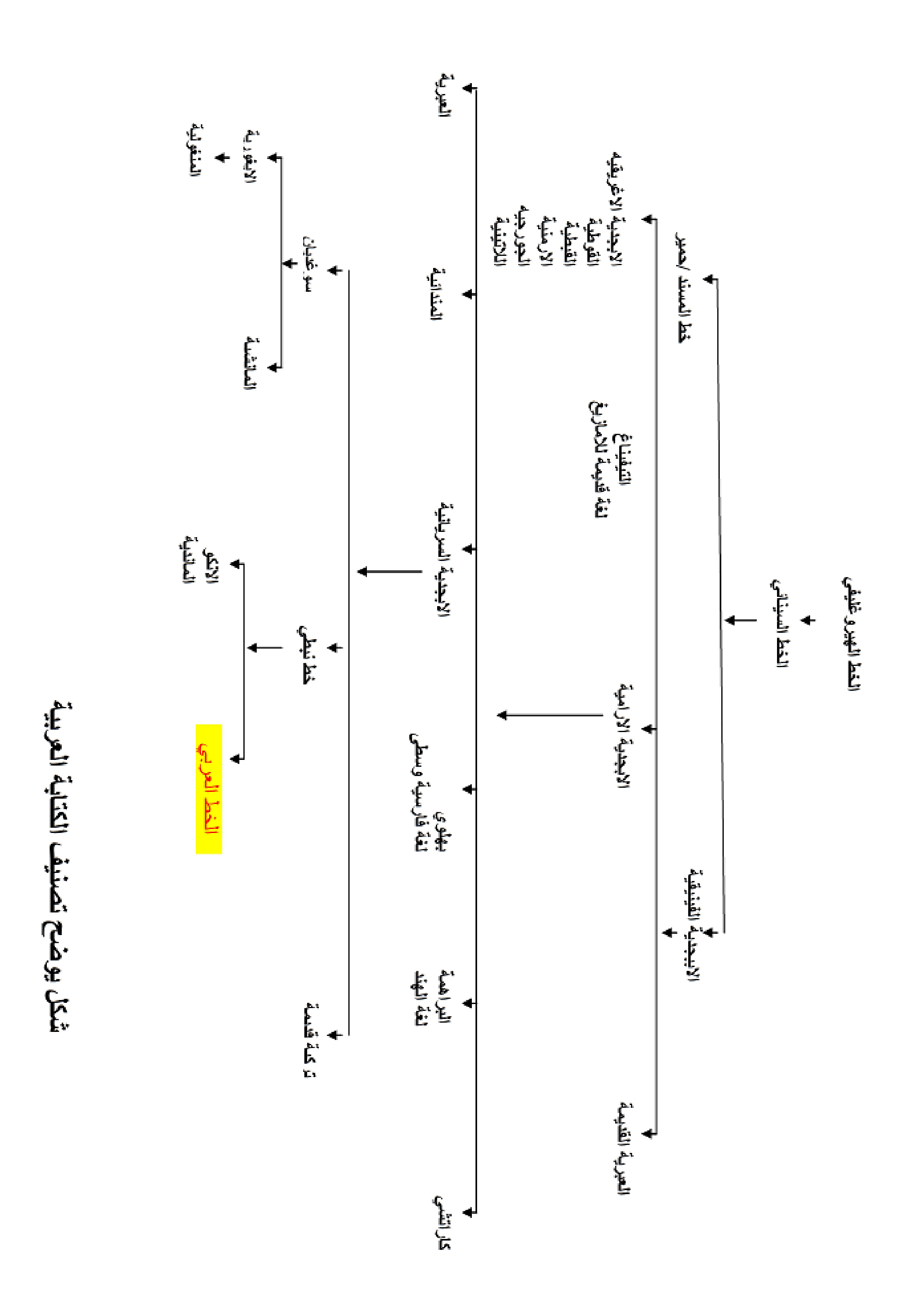
رتبت حروف اللغة العربية بثلاث اشكال:

الترتيب الهجائي: وهو الترتيب المشهور، وقد اعتمد على تشابه الحروف من حيث رسمها (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي،)، ويرجع هذا الترتيب إلى اللغوي نصر بن عاصم الليثي المتوفى (٨٩ هـ).

الترتيب الأبجدي: صنفت هذه الحروف وفق معيار الأصول التاريخية، ففرّعت بحسبه إلى حروف ساميّة (من أصل سامي) وأخرى عربية أما السّاميّة فعددها اثنان وعشرون (٢٢) حرفاً وهي: (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت)،

أضاف لها العرب ست حروف وهي: (ثخذ ضظغ)؛ لتصبح ثمان وعشرون حرف.

الترتيب الصوتي: وهو الأقل شهرة رتبت الحروف الصوتية العربية ترتيباً صوتياً، حيث اعتمد على مخارج الحروف وابتدأ من الحلق، (ع، ح، هـ، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، ت، د، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ي، أ)، ويرجع هذا الترتيب إلى عالم اللغة الخليل بن أحمد الفراهيدي، المتوفى (١٠٠ هـ).



شكل (٦) مخطط يوضح تصنيف الكتابة العربية

أشهر الممالك العربية قبل الإسلام:

يقول ابن باديس رحمه الله: ((حق على كل من يدين بالإسلام، ويهتدي بهدي القرآن الكريم، أن يعتني بتاريخ العرب، ومدنيتهم، وما كان من دولهم، وخصائصهم قبل الإسلام، ذلك لارتباط تاريخهم بتاريخ الإسلام، ولعناية القرآن الكريم بهم، ولاختيار الله لهم لتبليغ دين الإسلام، وما فيه من آداب، وحكم، وفضائل إلى أمم الأرض، فأما أنهم قد ارتبط تاريخهم بالإسلام فلأن العرب هُيِّئوا تاريخياً لأجل أن ينهضوا بأعباء هذه الرسالة الإسلامية العالمية، ولأن الله الحكم العدل الذي يضع الأشياء في مواضعها بحكمة ويأمرنا أن ننزل الناس منازلهم في شريعته، ما كان ليجعل هذه الرسالة العظيمة لغير أمة عظيمة، إذ لا ينهض بالجليل من الأعمال إلا الجليل من الأمم، والرِّجال، ولا يقوم بالعظائم إلا العظام من الناس))[١].

إن العرب انتشروا في ثلاث مناطق، هي جزيرة العرب[٢]، والشام[٣]،

---

[١] آثار ابن باديس، (٤/ ٥٩).

[٢] قال الهمداني، (ت: ٣٣٦ هـ)، في كتابه صفة جزيرة العرب، وهي خمسة أقسام: (تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، وهي اليمامة، واليمن)، وزاد ابن حوقل (ت: ٣٦٧ هـ)، في كتابه صورة الأرض، (بادية الشام، وبادية العراق، وأرض الجزيرة، فيما بين دجلة والفرات).

أما اليونان، والرومان، فقسموا شبه الجزيرة العربية إلى ثلاثة أقسام، وهي العربية الصحراوية، وتضم (بادية الشام والعراق)، والعربية الصخرية، وتشمل (سيناء، والأنباط)، والعربية السعيدة وتشمل (جنوب الحجاز واليمن).

[٣] قال الحموي في معجم البلدان مادة شام: (وأما حدُها فمن الفرات إلى العريش، المتاخم للديار المصرية، وأما عرضها، فمن جبلَي طيي من نحو القبلة إلى بحر الروم).

والعراق[1]، وفي هذه المناطق أُقيمت ممالك عربية كثيرة من أشهرها:

أولاً: الممالك التي قامت في الجزيرة العربية:

تعددت الممالك التي قامت في شبة الجزيرة العربية ومن أشهرها:

١. مملكة معين: (١٣٠٠ - ٦٥٠ ق.م): ظهرت هذه المملكة في منطقة (الجوف)، وهي منطقة سهلة ممتدة بين نجران وحضرموت، وأرضها منبسطة، وخصبة، تسقيه مياه وادي (الخارد) الدائم الجريان والأمطار الموسمية، وتزرع فيها أنواع مختلفة من المزروعات، الأمر الذي ساعدها على تكوين حضارة بارزة فيها، تُعد مملكة معين أقدم الدول العربية، وقد وصلت أخبارها إلى المؤرخين عبر الكتابات المدونة بالمسند، والكتب الكلاسيكية اليونانية والرومانية، ولم يرد لها ذكر في المصادر العربية.

٢. مملكة حضرموت: (١٠٢٠ق.م - ٢٩٠م): قامت مملكة حضرموت في جنوبي شبه الجزيرة العربية، إلى الشرق من اليمن، على ساحل بحر العرب، في منطقة واسعة تحيط بها رمال كثيفة وكانت عاصمتها شبوة، وهي امتداد للنبي هود (عليه السلام) ومن آمن به ونجى من قوم عاد بالأحقاف، وقد ذكر اليونانيون والرومان حضرموت بشيء من التحريف، انتهى حكمها على يد الملك الحميري شمر يهرعش.

---

[1] قال الكلبي في تحديد أرض العراق: (هو ما بين الحيرة، والأنبار، وبقّة، وهيت، وعين التّمر، وأطراف البرّ، إلى الغمير، والقطقطانة، وخفيّة)، (١/ ٦)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع.

٣. مملكة قتبان: (١٠٠٠ – ٢٥ ق.م): تقع قتبان في جنوب غرب اليمن، في وادي بيحان، وتمتاز أراضي هذا الوادي بالخصوبة الشديدة، وكثرة عيون المياه العذبة فيها، واشتهر القتبانيون بإنتاجهم للبخور واللبان، واستفادت قتبان كما باقي ممالك اليمن من موقعها الجغرافي، ومما تنتجه في مزاولة مهنة التجارة.

٤. مملكة سبأ: (١٢٠٠ – ٢٧٥م): هي مملكة عربية، يمنية قديمة، استطاعت المملكة تكوين نظام سياسي وصفه علماء العربية الجنوبية بأنه (فيدرالية)، ضمت مملكة حضرموت، ومملكة قتبان، ومملكة معين، أسسوا عدداً من المستعمرات قرب فلسطين والعراق.

٥. مملكة حِمير: (١١٠ ق.م – ٥٢٥م): نشأت هذه المملكة في منطقة ظفار، التي تتكوّن من ثلاث مدن وهي: ريمة، وإب، وتعز، وضمّت هذه المملكة أربع ممالك يمنيّة أخرى، (مملكة سبأ، وذو ريدان، وحضرموت، ويمنت)، وذلك بعد القضاء على سيادة هذه الممالك، وتعود أصول المملكة إلى قبيلة سبأ، التي كانت تعتنق الديانة اليهوديّة، قام الملوك اليهود باضطهاد النصارى، فتدخل (جستنيان) إمبراطور الروم، لنجدة نصارى نجران، فكلف نجاشي الحبشة بغزو بلاد اليمن، وانتهت مملكة حِمير.

٦. مملكة كنْــدة: (٣٠٠ق م –٦٠٠م): هي مملكة عربية قديمة تابعة لسبأ، قامت في وسط الجزيرة العربية، ملوكها من قبيلة كندة القحطانية، حكموا بادية الحجاز، ونجد، وانتزعت ملك دومة الجندل، والبحرين، من المناذرة في العصر الجاهلي.

غزت مملكة أكسوم (الحبشة) حمير عام (٥٢٥م)، مما أدى إلى انحدار قوة الكنديون شيئاً فشيئاً خلال ثلاث سنوات تقسمت كندة إلى عدة ممالك صغيرة،

سقطت بعد ذلك واحدة تلو الأخرى من عام (٥٣٠م إلى ٥٤٠م)، إذ سقطت آخر مملكة كندية بسبب غزوات متتالية من القبائل العدنانية.

ثانياً: الممالك التي قامت في الهلال الخصيب:

١. مملكة الحضر أو مملكة عربايا: هي من أقدم الممالك العربية في العراق، في الجزيرة الفراتية، وتحديداً في السهل الشمال الغربي من وادي الرافدين، الذي هو غرب العراق وشرق سوريا حالياً، تمركزت مملكة الحضر في مدينة الحضر إلى الجنوب الغربي من مدينة الموصل على مسافة (١١٠ كيلومتراً). وتبعد عن مدينة آشور القديمة حوالي (٧٠ كيلومتراً).

ظهرت مملكة الحضر في القرن الثالث الميلادي، وحكمها أربعة ملوك استمر حكمهم قرابة المائة عام.

وجدت كتابة على أحد المباني تقول: (سنطروق هو ملك العرب)، (وسنطروق ١٦٥- ١٩٠م) هو الملك الثاني للحضر.

٢. مملكة الأنباط: (١٦٩ ق.م - ١٠٦م): هي مملكة عربية قديمة قامت في صحراء النقب، وسيناء، والأردن، وأجزاء من شمال شبه الجزيرة العربية. كانت عاصمتهم مدينة البتراء في الأردن، و كانت محطة استراتيجية واقعة على طريق البخور، إذ أنها تقع على مفترق طرق القوافل القادمة من اليمن، وتربطها بالشام، ومصر، والبحر الأبيض المتوسط.

٣. مملكة تدمر: وتقع عاصمتها في مدينة تدمر، وسط الجمهورية العربية السورية، وقد كانت من أهم الممالك السورية القديمة، التي ازدهرت بشكل خاص عهد

ملكتها زنوبيا، تبعد (٢١٥ كيلومتر) شمال مدينة دمشق، وكانت حضارتها تنافس حضارة الإمبراطورية الرومانية القديمة.

زعمت زنوبيا أنها ذات أصل بطلمي، مشبهة نفسها بكليوبترا. ومن المؤكد أنها اعتنقت اليهودية في وقت ما من حياتها، كما مالت إلى تعاليم بولس الشميشطي المسيحية، بينما زعم الطبري أنها كانت من عماليق العرب.

٤. دولة المناذرة: عاصمتها الحيرة، (الحيرة هي مدينة تاريخية قديمة، تقع في جنوب وسط العراق، وهي عاصمة المناذرة، وقاعدة ملكهم، تقع أنقاضها على مسافة (سبعة كيلومترات) إلى الجنوب الشرقي من مدينتي النجف والكوفة)، والمناذرة أو (اللخميون): وهم سلالة عربية، من قبيلة لخم، من تنوخ، وقد حكموا العراق قبل الإسلام، وكانوا حلفاء الرومان في البدء، ثم تحالفوا مع الفرس، وقد اتخذ ملوكهم لقب (ملك العرب)، وهو اللقب ذاته الذي كان ملوك الحضر يلقبون به أنفسهم، كان وجودهم في العراق بدءاً من أواخر القرن الأول قبل الميلاد، ينحدر المناذرة من بنو لخم من تنوخ، وقد هاجروا إلى العراق، اتخذوا من الحيرة عاصمة لهم، ومن مدنهم في العراق، الكوفة، والنجف، وعاقولا، وعين التمر، والنعمانية، وأبلة، والأنبار، وهيت، وعانة، وبقة.

٥. دولة الغساسنة: عاصمتها الجابية، (الجابية موقع تاريخي في سوريا، ويعرف اليوم بتل الجابية، ويقع إلى الغرب من مدينة (نوى)، الواقعة بسهل حوران)، والغساسنة هم سلالة عربية من الأزد القحطانية، أسست مملكة في الشام، ضمن حدود الإمبراطورية البيزنطية، في فترة ما قبل الإسلام.

نظرة على فضل العرب على العجم:

قال ابن منظور: ((والعجم: خلاف العرب))[1]، وقال: ((أما العجمي: فالذي من جنس العجم، أفصح أو لم يفصح، والجمع عجم، كعربي وعرب، ونبطي ونبط))[2]، أما أعجمي فهو كل من لا يتكلم العربية الفصيحة، سواء كان عربي أو غير عربي. قال صاحب لسان العرب: ((قال ابن اسحاق: الأعجم الذي لا يفصح، ولا يبين كلامه، وإن كان عربي النسب، كزياد الأعجم))[3]، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا ﴾[4]، قال القرطبي في تفسيره: أي بلغة غير العرب[5].

لم يكن العرب في الجاهلية ذوي حضارة، كالإغريق، والهنود، والفرس، ولم تكن بلادهم القاحلة الماحلة تداني جمال مصر، أو أوروبا، أو ما وراء النهر، ولم يكونوا أكثر عدداً، ولا عدة، من أولئك، لكنهم كانوا يملكون ما لم تملكه كل الحضارات الأخرى، ولعل هذا الذي قال عنه ربنا: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[6]، هو الذي أهّل العرب لأن تظهر بينهم النبوة، وليكونوا هم حَمَلَتها، والناشرين لأنوارها، والحاملين لهمومها وأعبائها؛ إذ كانوا يملكون أخلاقاً، وصفات، وعادات أصيلة، ميزتهم ورفعت قدرهم، وجعلت منهم خير

---

[1] لسان العرب، مادة (عرب).

[2] المصدر نفسه، مادة (عجم).

[3] المصدر نفسه، مادة (عجم).

[4] سورة فصلت: من الآية: (٤٤).

[5] تفسير القرطبي.

[6] سورة الأنعام: من الآية: (١٢٤).

أمة أخرجت للناس، فحين كان الفارسي يستبيح أن يطأ أمه أو ابنته، كان العربي على استعداد لأن يموت دفاعــاً عن عرض جارته، أو ابنة عمه، أو حريم رجلٍ استجار به، وحين كان الرومي يستعمل الحيلة، والكذب، والغدر، ليثبت أركان ملكه، كان العربي يفضّل الموت على أن يكذب، أو تعيب عليه العرب شيئاً من مروءته، مكارمُ أخلاقٍ، ومروءةٌ، وشهامةٌ، ونجدةٌ، لم تكن تعيها الأمم السابقة، ولا حتى اللاحقة، فهذا عنترة يغار على عرض جاره فينشد قائلاً :

وأَغُضُّ طرفي ما بدَتْ لي جارَتي حتى يُواري جـــارتي مأْواها

إني امرؤٌ سَمْحُ الخليقةِ ماجـــدٌ لا أتبعُ النفسَ اللَّجوج هواها

وتلك هند بنت عتبة لما أتت تبايع النبي ﷺ، فقال لها: ((ولا يزنين))، فسألته مندهشة : ((أو تزني الحرة يا رسول الله؟))[١].

وهذا أبو سفيان يجيب ويشهد بالحق أيام جهله وكفره، حين سأله هرقل عن (عدوه)، محمد ﷺ، (قال أبو سُفيانَ: واللهِ لَولا الحياءُ يَومِئذٍ مِن أنْ يَأثِرَ أَصحابي عنِّي الكَذِبَ، لَكذَبْتُه حينَ سَألني عنه، ولكنِّي استَحيَيتُ أن يَأثِروا الكَذبَ عنِّي، فصَدَقْتُه)[٢]، ولم يُرد أن تؤثَرَ عنه كذبة تعيره بها العرب.

موقف آخر لأبي جهل حينما طال انتظاره بباب النبي ﷺ، لانتظاره لأجل قتله ﷺ، فيقترح عليه أحد المشركين اقتحام المنزل فيرد عليه: (وَاَللهِ إنّهَا لَلسّبّةُ فِي

---

[١] ضعفه ابن حجر في تلخيص الحبير، (٤/ ١٣٦٥)، والزيلعي في تخريج الكشاف، (٣/ ٤٦٢).

[٢] رواه البخاري، (٢٩٤١).

الْعَرَبِ أَنْ يُتَحَدّثَ عَنّا أَنّا تَسَوّرْنَا الْحِيطَانَ عَلَى بَنَاتِ الْعَمّ وَهَتَكْنَا سِتْرَ حُرْمَتِنَا)[١].

ولما خرجت هند بنت أبي أمية وحيدة مع طفلها مهاجرة إلى المدينة؛ لتلحق بزوجها عبد الله ووصلت خارج حدود الحرم عند (التنعيم)، يصادفها (رجلٌ) من مشركي قريش، هو (عثمان بن طلحة)، الذي كان حاجب الكعبة في الجاهلية، فرآها على جملها وحيدة، خفيفة الزاد، غزيرة الدمعة، بادية اللهفة، سألها: إلى أين يا بنت زاد الراكب -وكان أبوها من أجواد العرب المعدودين-، قالت له: أريد زوجي بالمدينة، فقال: أوَ ما معكِ أحدٌ يا هند؟ قالت: لا والله، إلا الله ثم ابني هذا، فقال : والله مالكِ من مَتْرَك[٢].

ومن مروءة العرب التزامهم بالعهد، ومن أشهر القصص في ذلك، ما كان في يوم (تحلاق اللمم)، في حرب البسوس، حيث أسر الحارث بن عباد، المهلهل عدي بن ربيعة، وهو لا يعرفه، فقال له: دلني على عدي وأخلي عنك، (وكان عدي قد قتل ابن الحارث) فقال له عدي: عليك العهد بذلك إن دللتك عليه، قال: (نعم)، قال: فأنا عدي، فجز ناصيته وتركه)[٣].

قال الشيخ مرعي بن يوسف: ((قد ثبت بالتواتر المحسوس المشاهد، أن العرب أكثر الناس سخاءً، وكرمًا، وشجاعةً ومروءةً، وشهامةً، وبلاغةً، وفصاحةً، ولسانهم أتم الألسنة بيانًا، وتمييزًا للمعاني، جمعًا وفرقًا))[٤].

---

[١] الروضُ الأُنف، السهيلي، (ت: ٥٨١هـ)، (٤/ ١٢٥-١٢٦).

[٢] سيرة ابن هشام، (١/ ٤٧٠).

[٣] الكامل في التاريخ، ابن الاثير، (١/ ٤٨٣).

[٤] مسبوك الذهب في فضل العرب، (٤٠).

قال ﷺ: ((إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق))[١]، دل على أن العرب عندهم الأخلاق، وجاء رسول الله ﷺ ليتممها.

وقال الفيروز آبادي: ((الخُلق: بالضمِّ، وبضمتين: السجية والطَّبع، والمروءة والدين))[٢].

ومع هذه الصفات الفضيلة، إلا أن العرب كانت خاضعة للروم، والفرس، إلى أن جاء الإسلام وأعزهم، ورضي الله عن الفاروق عمر حين قالها واضحةً جليلةً، لكل غافل وجاهل بعظمة الإسلام ورسالته، إذ قال: ((كُنا أذلاَّء، فأعزنا الله بالإسلام، فإذا ابتغينا العزة في غيره، أذلنا الله))[٣].

خلال العصر الأموي ظهرت حركة سميت (الشعوبية)[٤]، مرتدية رداء الدين ويُعزوا أنصار الشعوبية ظهورها إلى أسباب عديدة، أهمها اجتماعي، يتمثل باستعلاء العرب على الموالي، إلا أن الشعوبية تطورت بالعصر العباسي، فأصبحت تمثل ازدراء إلى كل ما هو عربي.

---

[١] صححه الألباني في الصحيحة، رقم (٤٥)، وابن عبد البر في التمهيد، (٢٤/ ٣٣٣).

[٢] القاموس المحيط، مادة (خلق).

[٣] صححه الألباني، وهو أثر عن عمر بن الخطاب ﷺ في الترغيب والترهيب، المنذري، (ت: ٦٥٦هـ)، (٤/ ٣٥).

[٤] الشعوبية: مشتقة من كلمة (الشعوب) الواردة في القرآن الكريم، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، نقل القرطبي في تفسيره لهذه الآية: ((عن ابْن عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ: إِنَّ الشُّعُوبَ الْمَوَالِي، وَالْقَبَائِلُ الْعَرَبَ))، وهي حركة تبغض العرب وتفضل العجم، وسبب تفضيلهم على العرب -كما يزعمون- هو تقديم الله تعالى الشعوب على القبائل، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

ووصفهم الزمخشري: ((الذين يصغرون شأن العرب، ولا يرون لهم فضلاً على غيرهم))[١].

أول من اعتنى بالتصدي لظاهرة الشعوبية هو الإمام ابن قتيبة الدِّينَوَري[٢].

هنا نشأ رأيين، رأي يرى أن العرب أفضل من غيرهم، ورأي آخر يرى ميزان التفاضل، والمنافسة بين الناس، هو التقوى والعمل الصالح.

وحقيقة الأمر فليس بين التقريرين السابقين تعارض فنقول والله ولي التوفيق:

أولاً: الأصل بالأفضلية عند الله هو التقوى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[٣].

قال الشنقيطي (رحمه الله): ((بين تعالى أنه جعلهم شعوباً، وقبائل؛ لأجل؛ أن يتعارفوا، أي يعرف بعضهم بعضاً، ويتميز بعضهم عن بعض، لا لأجل أن يفتخر بعضهم على بعض، ويتطاول عليه. وذلك يدل على أن كون بعضهم أفضل من بعض، وأكرم منه، إنما يكون بسبب آخر غير الأنساب، وقد بين الله ذلك هنا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ ، فاتضح من هذا أن الفضل، والكرم، إنما هو بتقوى الله، لا بغيره من الانتساب إلى القبائل... إلى أن قال وهذه الآيات القرآنية، تدل على أن دين الإسلام سماوي صحيح، لا نظر فيه إلى الألوان ولا إلى العناصر، ولا إلى الجهات، وإنما المعتبر فيه تقوى الله جل وعلا وطاعته،

---

[١] أساس البلاغة، مادة (شعب).

[٢] وقد ألّف كتاباً في الرد على الشعوبية، سماه ((كتاب العرب)).

[٣] سورة الحجرات: من الآية: (١٣).

فأكرم الناس وأفضلهم أتقاهم لله، ولا كرم ولا فضل لغير المتقي، ولو كان رفيع النسب))[1].

وقال ﷺ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ ؟ قَالُوا : بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ))[2].

وقال ﷺ: ((قد أذهب الله عنكم عبّية الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، والناس بنو آدم، وآدم من تراب))[3].

قال الحسن (رحمه الله): ((حضر باب عمر بن الخطاب، سهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وأبو سفيان بن حرب، ونفر من قريش من تلك الرؤوس، وصهيب، وبلال، وتلك الموالي الذين شهدوا بدراً، فخرج إذن عمر فأذن لهم، وترك هؤلاء، فقال أبو سفيان: لم أر كاليوم قط، يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه ولا يلتفت إلينا، قال: فقال سهيل بن عمرو، وكان رجلاً عاقلاً: أيها القوم، إني والله لقد أرى الذي في وجوهكم إن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم، دعي القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم فكيف بكم إذا دعوا ليوم القيامة وتركتم، أما والله لما سبقوكم إليه من الفضل مما لا ترون أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي

---

[1] أضواء البيان، سورة الحجرات، الآية: (١٣).

[2] رواه البيهقي في شُعب الإيمان، (٥١٣٧)، وصححهُ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم (٢٩٦٤)، والوادعي في الصحيح المسند، رقم (١٥٣٦).

[3] صححه الألباني في صحيح الترمذي، رقم (٣٩٥٦)، وصحيح أبي داود، رقم (٥١١٦).

نافسهم عليه، قال: ونفض ثوبه وانطلق، قال الحسن: وصدق والله سهيل، لا يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبد أبطأ عنه))[١].

ثانياً: إن تفضيل العرب هو تفضيل جنس وليس تفضيل أفراد، فالعجمي المتقي الصالح خير من العربي المقصر في حق الله تعالى.

قال الشيخ عبد الرحمن السحيم[٢]: ((لا أعلم أنه يثبت حديث في تَفْضيل العرب[٣]، على وجه الخصوص، والذي ثبت هو العموم، كقوله ﷺ: إن الله اصطفى كِنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش، بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم))[٤]، وكَقَولِه ﷺ: ((الناس تَبَعٌ لِقريش في هذا الشأن، مُسلمهم تَبَعٌ لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم، والناس معادن، خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا))[٥].

---

[١] الزهد، أحمد بن حنبل، رقم (٢٨٠).

[٢] وهي فتوى للشيخ منشورة على موقع المشكاة.

[٣] وقد الف الامام العراقي، في كتابه محجة القرب في محبة العرب، عشرين بابا، فيها احاديث في تفضيل العرب، وان سبهم كفر، او نفاق، وان حبهم ايمان، وان بقاءهم نور الاسلام، وان ذلت العرب ذل الاسلام، واغلبها احاديث معلولة لا تصح. كما وضع فصلا كاملا حول الاحاديث المروية عن الرسول ﷺ في مدح القبائل العربية، تزيد على سبعين حديثا، لا يصح منها الا القليل، واصح ما ورد هو حديث البخاري، ((قريشٌ، والأنصارُ، وجُهَينةُ، ومُزَينةُ، وأَسْلَمُ، وغِفَارٌ، وأَشْجَعُ، مواليَّ، ليس لهم مولًى دونَ اللهِ ورسولِه)).

[٤] رواه مسلم، ٢٢٧٦.

[٥] رواه البخاري، ٣٤٩٥، ومسلم، ١٨١٨.

قال الشيخ مَرعي الحنبلي: ((فاعلم أنَّ جنس العرب أفضل من جنس العجم))[١].

قال ابن تيمية: ((فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة: اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم، عبرانيهم، وسريانيهم، روميهم، وفرسيهم، وغيرهم وأن قريشاً أفضل العرب، وأن بني هاشم أفضل قريش، وأن رسول الله ﷺ أفضل بني هاشم، فهو: أفضل الخلق نفساً، وأفضلهم نسباً))[٢].

قال الشيخ السحيم: (وعلى ذلك دَرَج السلف والخَلَف).

وبيّن الشيخ مَرعي الحنبلي (رحمه الله)، بعد ذلك مقصود التفضيل، فقال: ((إذا علمتَ هذا فاعلمْ أنَ الذي يرجعُ إليه، ويعوَلُ في الفَضْلِ عليه، هو الشَرفُ الكسبيُّ، الذي منه العلم والتقوى، وهو الفضل الحقيقي، لا مجرد الشرف الذاتي الذي هوَ شرف النَسب، بشهادةِ القرآن الكريم، وشهادة النبيّ -عليه السلام- وشهادةِ الأذكياء مِنَ الأنام))[٣].

وقد وردت أحاديث تنهى عن بغض العرب كحديث ((بُغضُ بني هاشمٍ والأنصارِ كفرٌ وبُغضُ العربِ نفاقٌ))[٤].

ثالثاً: إن التفضيل كان معروف بصدر الإسلام، وكان الصحابة ﷺ من غير العرب، يوقرون الصحابة العرب، روى ابن أبي شيبة، أن جماعة من الصحابة

---

[١] مسبوك الذهب في فضل العرب، ص٣٥.

[٢] اقتضاء الصراط المستقيم، ص١٨٤ طبعة الفقي.

[٣] مسبوك الذهب في فضل العرب، (٥١-٥٢).

[٤] حسنه العراقي في محجة القرب، (٢٢٨)، وصححه الهيثمي، (٩/ ١٧٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، (٢٣٤١).

قالوا لسلمان: ((صل بنا يا أبا عبد الله أنت أحقنا بذلك))، فقال: (لا أنتم بنو إسماعيل الأئمة، ونحن الوزراء)[1].

وروي عن سلمان قوله: ((نفضلكم يا معشر العرب، لتفضيل رسول الله ﷺ إياكم، لا ننكح نساءكم، ولا نؤمكم في الصلاة))[2].

قال ابن تيمية: ((والأولون يقولون إنما قال سلمان هذا تقديماً منه للعرب، على الفرس، كما يقول الرجل لمن هو أشرف منه، حقك عليَّ كذا. وليس قول سلمان حُكماً شرعياً يلزم جميع الخلق اتباعه كما يجب عليهم اتباع أحكام الله ورسوله ﷺ، ولكن من تأسّى من الفرس بسلمان، فله به أسوة حسنة، فإن سلمان سابق الفرس للإسلام))[3].

رابعاً: تفضيل الجنس الوارد هو تفضيل زماني محدد، لا يستلزم منه الاستمرارية، فقد كان بنو إسرائيل أفضل الناس في زمانهم، وفي زماننا الآن هم المغضوب عليهم.

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[4]: ((وإني فضلتكم على عالم من كنتم بين ظهريه وفي زمانه، وقال قتادة: (فضلهم على عالم ذلك الزمان) وعن أبي العالية: بما أعطوا من الملك والرسل والكتب، على عالم من كان في ذلك الزمان، فإن لكل زمان عالماً). وقال ابن زيد: -عالم أهل ذلك

---

[1] رواه ابن أبي شيبة، (٢/ ٣٣٦)، صححه الألباني في الإرواء، (٦/ ٢٨١).

[2] رواه الطبراني، (٦/ ٢١٨)، وعبد الرازق في المصنف، (٤٢٨٣)، وجود اسناده ابن تيمية في جامع الرسائل، (١/ ٢٨٨).

[3] مجموع الفتاوى، (١٩/ ٢٩).

[4] سورة البقرة: من الآية: (٤٧).

الزمان، وقرأ قول الله: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١]، قال: هذه لمن أطاعه واتبع أمره، وقد كان فيهم القردة، وهم أبغض خلقه إليه، وقال لهذه الأمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٢]، قال: هذه لمن أطاع الله، واتبع أمره، واجتنب محارمه))[٣].

(تلا رسول الله ﷺ هذه الآية يوماً: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾[٤]، قالوا ومن يستبدل بنا، قال فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه هذا وقومه)[٥].

قال ابن تيمية: ((ومصداق ذلك ما وجد في التابعين، ومن بعدهم من أبناء فارس، الأحرار والموالي، مثل الحسن، وابن سيرين، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم ، إلى من وجد بعد ذلك فيهم من المبرزين في الإيمان، والدين، والعلم، حتى صار هؤلاء المبرزون أفضل من أكثر العرب))[٦].

فالتفضيل محصور بأهل زمانهم، وفضل العرب على سائر أهل زمانهم، مثلما فضل بني إسرائيل على أهل زمانهم، قال الألباني: ((وجملة القول: إن فضل

---

[١] سورة الدخان: من الآية: (٣٢).

[٢] سورة آل عمران: من الآية: (١١٠).

[٣] تفسير الطبري.

[٤] سورة محمد: من الآية: (٣٨).

[٥] صححه الألباني بصحيح الترمذي، رقم (٣٢٦٠).

[٦] اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، (١/ ٤١٤).

العرب إنما هو لمزايا تحققت فيهم، فإذا ذهبت بسبب إهمالهم لإسلامهم، ذهب فضلهم، ومن أخذ بها من الأعاجم كان خيراً منهم))[١].

خامساً: إن للعجم بعد دخولهم في الإسلام فضلاً لا ينسى، إذ كان أغلب فقهاء الأمة ومحدثيها من العجم، وقد قال النبي ﷺ: ((رأيت غنماً كثيرة سوداء، دخلت فيها غنم كثيرة بيض، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العجم يشركونكم في دينكم وأنسابكم، قالوا: العجم يا رسول الله؟ قال: لو كان الإيمان معلقاً بالثريا، لناله رجال من العجم، وأسعدهم به الناس))[٢].

قال ابن تيمية: {ولهذا كانوا يفضلون من الفرس، من رأوه أقرب إلى متابعة السابقين، ، حتى قال الأصمعي فيما رواه عنه أبو طاهر السلفي، في كتاب فضل الفرس، قال: (عجم أصبهان قريش العجم). وروى -أيضاً- السلفي بإسناد معروف عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، عن أسامة بن زيد، عن سعيد بن المسيب، قال: (لو أني لم أكن من قريش لأحببت أن أكون من فارس، ثم أحببت أن أكون من أصبهان)[٣]. وكان سلمان رضي الله عنه من أهل أصبهان، قال عبد القادر الرهاوي: ما رأيت بلداً بعد بغداد أكثر حديثاً من أصبهان}[٤].

---

[١] السلسلة الضعيفة، (١/ ٣٠٤).

[٢] رواه الحاكم، (٤/ ٣٩٥)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة، (١٠١٨).

[٣] قال ناصر العقل، أخرجه أبو نعيم في كتابه ذكر أخبار أصفهان، (١/ ٣٨).

[٤] اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، (٤٠٣).

حكم التفاخر بالأنساب وهل افتخر رسول الله ﷺ بنسبه؟

أولاً: التفاخر بالأنساب منهي عنه في القرآن الكريم والسنة النبوية، وجعل الله تعالى معيار التفاضل عنده هو التقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ))[2].

ثانياً: وقد حذَّر رسول الله ﷺ، من الطعن في الأنساب، ووصفها بأنها من أمور الجاهلية فقال ﷺ: ((أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة))[3]. وقال ﷺ: ((اثْنَتَانِ في النَّاس هُما بهم كُفْرٌ: الطَّعنُ في النَّسب و النِّياحة على الميّت))[4].

---

[1] سورة الحجرات: الآية: (١٣).

[2] رواه البيهقي في شُعب الإيمان، (٥١٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم (٢٩٦٤)، والوادعي في الصحيح المسند، رقم (١٥٣٦).

[3] رواه مسلم، (٩٣٤).

[4] رواه مسلم، (٧٦).

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله): ((الطعن في النسب: معناه التعيير بالنسب، أو أن ينفي نسبه، فمثلاً يقول في التعيير أنت من القبيلة الفلانية التي لا تدفع العدو، ولا تحمي الفقير، ويذكر فيها معايب، أو مثلاً يقول: أنت تدعي أنك من آل فلان، ولست منهم))[١].

وقال ﷺ: ((إن الله عز و جل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، والناس بنو آدم وآدم من تراب، لينتهين أقوام فخرهم برجال أو ليكونن أهون عند الله من عدتهم من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن))[٢].

قال ﷺ: ((إنَّ أنسابَكم هذه ليست بسِبابٍ على أحدٍ، وإنما أنتم ولدُ آدمَ، طَفَّ الصاعُ لم تملَؤوه، ليس لأحد فضلٌ على أحد إلا الدِّينُ، أو عملٌ صالحٌ، حسْبُ الرجلِ أن يكون فاحشاً بذيلاً، بخيلاً، جباناً))[٣].

ثالثاً: يرى بعض الجهلة أن التفاخر بالأنساب شيء محمود، ويستدلون لذلك بقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾[٤]، قال ابن جبرين (رحمه الله): وأما الآية الكريمة فالمراد بالدرجات: الفضائل الظاهرة كالعلم، والزهد،

---

[١] شرح رياض الصالحين، (٦/ ٢٦٤).

[٢] رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر، (١٦/ ٣٠٠)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب، (٤/ ٦٢)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، رقم (٥١١٦).

[٣] صححه الألباني في صحيح الترغيب، رقم (٢٩٦٢)، وضعفه المنذري، (٤/ ٦١).

[٤] سورة الأنعام: من الآية: (١٦٥).

والعبادة، والجود، والشجاعة، وما أشبهها قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[١].

ويستدلون بقوله ﷺ: ((إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى هَاشِماً مِنْ قُرَيْشٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ))[٢].

قال ابن جبرين (رحمه الله): ((المراد أن نبينا محمداً ﷺ اصطفاه الله من أشرف العرب وأشهرهم، حتى يكون أقوى لمعنويته، وأقرب إلى تصديقه وأتباعه إذا عرف أنه من قبيلة لها شهرة ولها مكانة مرموقة، فإن ذلك أقرب إلى أن يكون محل صدق وأمانة))[٣]. أي أن الرسول ﷺ لا يفتخر هنا، بل يخبر عن اصطفاءه من قبل الله تعالى.

رابعاً: ادعى البعض اللبراليين أن الرسول ﷺ تفاخر بنسبه لجده، بقوله في غزوة حنين في السنة الثامنة من الهجرة، بقوله ﷺ: ((أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب))[٤]، وهذا مردود بعدة أوجه منها:

أنه قالها على سبيل الإخبار لا الفخر، ومنها أنه قالها في حالة الحرب، وهو جائز بهذا الموضع، قال الإمام البغوي: {فإن قيل أليس قد افتخر النبي ﷺ بجده حيث قال: ((أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب))، قيل: إنه لم يذهب بهذا

---

[١] سورة المجادلة: من الآية: (١١).

[٢] رواه مسلم، (٢٢٧٦).

[٣] كتاب الفتاوي الشرعية في المسائل العصرية، ابن جبرين، (٤٦٨).

[٤] رواه البخاري، (٢٩٣٠).

القول مذهب الانتساب إلى شرف الآباء على سبيل الافتخار، ولكنه ذكّرهم رؤيا كان رآها عبد المطلب له أيام حياته، فأخبر بها قريشاً، فعبروها على أنه سيكون له ولدٌ يسود الناس، ويهلك أعداؤه على يديه، وكانت إحدى دلائل نبوته، وكانت القصة فيها مشهورة، فعرفهم شأنها، وخروج الأمر على الصدق فيها، ليتقوى بها من انهزم من أصحابه، ويرجعوا واثقين بأن العاقبة له. والله أعلم. وجواب آخر: أن الافتخار والاعتزاز المنهي، ما كان في غير جهاد الكفار، وقد رخص النبي ﷺ في الخيلاء في الحرب مع نهيه عنها في غيرها، وقد كان النبي ﷺ نصِّر بالرعب، فإذا أخبر باسمه، وقع الرعب في قلوبهم، فكان ذلك سبباً لنفرتهم، كما روي أن علياً، لما بارز مرحباً يوم خيبر قال: (أنا الذي سمتني أمي حيدرة) قيل كان السبب فيه أن مرحباً، كان قد أنذر أن قاتله يقال له (حيدرٌ)، وكان (علي) حين ولدته أمه سمته أسداً، وكان أبو طالب غائباً وقت مولده، فلما بلغه خبره، سماه عليّاً، فعدل علي عن اسمه المشهور إلى الآخر ينذره أنه سيقتله، لأنه أسدٌ، الأسد يسمى حيدراً. والله أعلم. وقد قيل في قصة ضمام بن ثعلبة: إنه حين دخل المسجد، فقال: يا ابن عبد المطلب. فقال له ﷺ (قد أجبتك) فإنه إنما لم يستأنف له الجواب؛ لأنه كره نسبته إلى جده الذي مضى في الكفر، وأحب أن يدعوه باسم النبوة والرسالة، التي خصه الله سبحانه وتعالى بها والله أعلم}[1].

قال النووي: {ومعنى قوله ﷺ: ((أنا النبي لا كذب)) أي: أنا النبي حقاً فلا أفر، ولا أزول، وفي هذا دليل على جواز قول الإنسان في الحرب: أنا فلان،

[1] شرح السنة، (١٣/ ١٢٦-١٢٨).

وأنا ابن فلان، ومثله قول سلمة: أنا ابن الأكوع، وقول علي ﷺ: أنا الذي سمتني أمي حيدرة، وأشباه ذلك، وقد صرح بجوازه علماء السلف، وفيه حديث صحيح، قالوا: وإنما يكره قول ذلك على وجه الافتخار كفعل الجاهلية والله أعلم}[١].

قال النووي: {وقوله ﷺ: ((أنا سيد ولد آدم)) لم يقله فخراً، بل صرح بنفي الفخر في غير مسلم، في الحديث المشهور: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))[٢]، وإنما قاله لوجهين: أحدهما امتثال قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٣]، والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه، ويعملوا بمقتضاه، ويوقروه ﷺ بما تقتضي مرتبته كما أمرهم الله تعالى))[٤].

أما ما روي عن رسول: ((كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ سَبَبِي وَنَسَبِي))[٥].

---

[١] شرح صحيح مسلم، (١٢/ ١٢٠).

[٢] صححه الألباني في صحيح ابن ماجة، (٣٤٩٦).

[٣] سورة الضحى: الآية: (١١).

[٤] شرح صحيح مسلم، رقم (٢٢٧٨).

[٥] رواه الطبراني في المعجم الأوسط، (٦/ ٣٧٥)، والبيهقي في السنن الكبرى، (٦٤/ ٧)، وقال مرسل، وصححه الألباني بمجموع طرقه بالسلسلة الصحيحة، رقم (٢٠٣٦)، والذهبي في المهذب، (٥/ ٢٦٣٢)، والشوكاني في در السحابة، (٢١٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد، (٩/ ١٧٦)، وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع بالموضوعات، (٢/ ٩)، وضعفه المنجد والخميس لأنه ينافي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾. سورة المؤمنون: الآية: (١٠١).

قال المنجد: ((أن النسب نفسه لا ينفع صاحبه بذاته، إلا أن يكون معه عمل وطاعة، كما في ﷺ، مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَله لَمْ يُسْرِع بِهِ نَسَبه))[١].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله): ((المراد بنفي الأنساب: انقطاع آثارها التي كانت مترتبة عليها في دار الدنيا، من التفاخر بالآباء، والنفع، والعواطف، والصِلات، فكل ذلك ينقطع يوم القيامة، ويكون الإنسان لا يهمه إلا نفسه، وليس المراد نفي حقيقة الأنساب من أصلها، بدليل قوله: ﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴾[٢]، انتهى))[٣].

أما ما روي عنه ﷺ: (بأنه إبن الذبيحين)[٤]، فلا يصح ولو صح لكان إخبار لا افتخار.

وقال ابن تيمية في: ((لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهَّ آيَةٌ وَاحِدَةٌ يَمْدَحُ فِيهَا أَحَدًا بِنَسَبِهِ، وَلَا يَذُمُّ أَحَداً بِنَسَبِهِ، وَإِنَّمَا يَمْدَحُ الْإِيمَانَ وَالتَّقْوَى، وَيَذُمُّ بِالْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ))[٥].

ومما ينسب للإمام علي رضي الله عنه قوله:

لعـمرك ما الإنسان إلا بدينـــه	فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارسٍ	وقد وضع الشرك الشرِيفَ أَبا لَهَب

---

[١] رواه مسلم، (٢٦٩٩).

[٢] سورة عبس: الآيتان: (٣٤-٣٥).

[٣] موقع الإسلام سؤال وجواب، (١٦٩٦٦٩). نقلاً عن: أضواء البيان، (٥/ ٣٥٦).

[٤] قال القرطبي: سنده لا يثبت، (١٨/ ٣٢)، وقال الألباني في النصيحة: لا أصل له بهذا اللفظ، (٢٧٣).

[٥] الفتاوي الكبرى، (١/ ١٦٤).

وفيصل ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾، وقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

وقال ﷺ: ((والناس بنو آدم وآدم من تراب))[١]، وقال ﷺ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ))[٢].

وقد روي عن الإمام زين العابدين رضي الله عنه قوله: ((لقد خلق الله الجنةَ لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النارَ لمن عصاه وأساء ولو كان سيّداً قرشيّاً))[٣].

---

[١] صححه أحمد شاكر بمسند أحمد، (١٦/ ٣٠٠)، والألباني في صحيح الترمذي، (٣٩٥٥)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب، (٤/ ٦٢).

[٢] رواه البيهقي في شُعب الإيمان، (٥١٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم (٢٩٦٤)، والوادعي في الصحيح المسند، رقم (١٥٣٦).

[٣] رواه عنه الأصمعي كما ذكر الأبشيهي في المستطرف، وهي غير صحيحة كما قال الشيخ عبد الرحمن السحيم؛ لأن الأصمعي لم يُدرِك زين العابدين (رحمه الله)، فقد توفي زين العابدين عليّ بن الحسين بن علي رضي الله عنه في التسعينات دون المائة الأولى مِن الهجرة، ما بين سنة (٩١ – ٩٩ هـ)، والأصمعي: عبد الملك بن قُريب: وُلِدَ: سَنَةَ بِضْعٍ وَعِشْرِيْنَ وَمائَةٍ، وتوفي سنة خَمْسَ عَشْرَةَ وَمَائَتَيْنِ، كما قال الذهبي في السير. ورواها ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب، (٣/ ٢٩١)، عن التابعي طاووس بن كيسان.

مناقشة تقسيم العرب:

يقول الدكتور جواد علي: ((اتفق الرواة وأهل الأخبار، أو كادوا يتفقون، على تقسيم العرب من حيث القدم إلى طبقات عرب بائدة، وعرب عاربة، وعرب مستعربة. أو عرب عاربة، وعرب متعربة، وعرب مستعربة أوعرب عاربة وعرباء وهم الخلص، والمتعربة، واتفقوا أو كادوا يتفقون على تقسيم العرب من حيث النسب إلى قسمين: قحطانية، منازلهم الأولى في اليمن، وعدنانية منازلهم الأولى في الحجاز، واتفقوا أو كادوا يتفقون، على أن القحطانيين هم عرب منذ خلقهم الله، وعلى هذا النحو من العربية التي نفهمها ويفقهها من يسمع هذه الكلمة، فهم الأصل، والعدنانية الفرع، منهم أخذوا العربية، وبلسانهم تكلم أبناء إسماعيل بعد هجرتهم إلى الحجاز، شرح الله صدر جدهم إسماعيل، فتكلم بالعربية، بعد أن كان يتكلم بلغة أبيه التي كانت الآرامية، أو الكلدانية، أو العبرانية، على بعض الأقوال. ونجد الأخبارين والمؤرخين يقسمون العرب أحياناً إلى طبقتين: عرب عاربة، وعرب مستعربة ... وظل الرواة يتوارثون هذا التقسيم كلما بحثوا في تاريخ العرب قبل الإسلام، وفي موضوع الأنساب وتقسيم العرب إلى طبقات - وذلك من ناحية القدم، والتقدم في العربية- هو تقسيم لا نجد له ذكراً لا في التوراة أو الموارد اليهودية الأخرى، ولا في الموارد اليونانية أو اللاتينية، أو السريانية، ويظهر أنه تقسيم عربي خالص، نشأ من الجمع بين العرب الذين ذكر أنهم بادوا قبل الإسلام ، فلم تبقَ منهم غير ذكريات، وبين العرب الباقين، وهم إما من عدنان، وإما من قحطان))[1].

---

[1] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (١/ ٢٩٤ وما بعدها).

ولكن لو نظرنا نظرة تاريخية لهذا التقسيم نلاحظ عدة نقاط:

١. هذا التقسيم لم يعرف إلا في العصر الأموي، بعد أن أصبحت المنافسة شديده بين القيسيين، وعرب اليمن، وأول من ألّف فيه الإمام النسابة هشام بن محمد بن السائب الكلبي، (١١٠-٢٠٤ هـ)، فإنه صنف فيه خمسة كتب أشهرها (الجمهرة)، وعنه أخذ ابن سعد، والطبري، وابن حزم، وحتى الميداني، في كتابه (الأمثال)، ونقل عنه الحموي، وابن كثير، وابن حجر، وابن عبد البر، والسمعاني، وابن خياط، وكل الذين ألفوا في الأنساب كان ابن الكلبي مصدرهم الأول.

((هذا ويبدوا أن تقسيم العرب إلى عاربة و مستعربة، إنما هو منهج اعتمده المؤرخون العرب بعد الإسلام، وربما استخلص من أشعار العرب وأمثالهم ورواياتهم عن الإخباريين و النسابين، وربما كانوا قد أخذوا كثيراً من ذلك أيضاً من مؤرخي الأُمم الأجنبية، كالفرس، والروم، واليهود، وغيرهم، ممن اختلطوا بالعرب قبل الإسلام وبعده، وكانت عندهم كتب مدونة وأخبار وأساطير متناقلة، وقد كان عرب الجاهلية، يعرفون أُمماً بائدة سكنت الجزيرة من قبلهم، وورد في أشعارهم تعيين بأسماء هذه الأُمم أو بعضه))[1].

٢. ابن الكلبي أخذ العلم عن والده بالأنساب ويقول عنه ابن قتيبة: ((كان هشام أعلم الناس بالأنساب، أخذ هذا العلم من أبيه))[2]. وهو ليس بثقة في رواية الحديث قال ابن حجر: ((قال أحمد بن حنبل: إنما كان صاحب سمر، ونسب، ما

---

[1] مجلة كلية التربية، واسط، العدد (١١)، للباحثّين الحسيني، والموزاني.

[2] المعارف، ابن قتية، (٥٣٦).

ظننت أن أحداً يحدث عنه، وقال الدارقطني وغيره، متروك، وقال ابن عساكر، رافضي ليس بثقة))[١]. قال الذهبي: الكوفي الشيعي، أحد المتروكين، كأبيه[٢].

٣. أغلب المعلومات التي تتعلق بأنساب الأنبياء، وأولادهم، وأعمارهم، وتاريخ بعض العرب البائدة، كالعمالقة، والكنعانيين، أُخذت من التوراة المحرفة، والبعض الآخر أُخذ مما توارث مشافهة، وانتشر بين القبائل العربية، ولم تذكره التوراة (كعاد وثمود)، قال الطبري رحمه الله: ((فأما أهل التوراة، فإنهم يزعمون أن لا ذكر لعاد ولا ثمود ولا لهود وصالح في التوراة، وأمرهم عند العرب في الشهرة في الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم وقومه))[٣].

٤. لم يتفق النسابون على تقسيم العرب الباقية إلى عدنانية وقحطانية، فقد ذهب بعضهم إلى وجود جذم ثالث، وهو قضاعة، قال ابن حزم: ((العرب يرجعون إلى ثلاثة رجال: وهم عدنان، وقحطان، وقضاعة))[٤]، وأشار ابن حزم أيضاً إلى الخلاف في نسب قضاعة. وهذا ما ذكره ابن عبد البر، فقال: ((العرب ثلاث جراثيم نزار واليمن وقضاعة))[٥].

أما ابن خلدون يقسم العرب إلى أربع طبقات متعاقبة في المدى الزمني: العرب العاربة وهم البائدة، ثم العرب المستعربة وهم القحطانية، ثم العرب التابعة لهم من عدنان والأوس والخزرج والغساسنة والمناذرة، ثم العرب

---

[١] لسان الميزان، (٦/ ١٩٦).

[٢] سير أعلام النبلاء، (١٠/ ١٠١).

[٣] تاريخ الطبري، (١/ ١٤١).

[٤] جمهرة أنساب العرب، (١/ ٧).

[٥] الإنباه، (٦٣).

المستعجمة. فقال: ((الطبقة الرابعة من العرب وهم المستعجمة أهل الجيل الناشئ بعد انقراض اللسان المضري ودروسه))[١].

نظرات على العرب البائدة:

العرب البائدة: هم الأقوام الذين كانوا في نظر النسابين العرب السكان الأصليين للجزيرة العربية، وهم من نسل سام ابن نوح (عليه السلام).

بالاعتماد على التوراة، أعيد نسب كل العالم إلى أولاد نوح (عليه السلام) الثلاثة، ((سام، حام، ويافث)) [٢]، وأما الرابع فاسمه يام حسب كتب اليهود، (وكنعان حسب مؤرخي الإسلام)، وليس له ولد لأنه غرق بالطوفان، ولم يؤمن بنوح (عليه السلام).

قال ابن خلدون عن العرب القدماء: ((إنهم انتقلوا إلى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام، فسكنوا جزيرة العرب، بادية مخيمين، ثم كان لكل فرقة منهم ملوك، وآطام، وقصور))[٣]. قال ابن عبد البر: ((لا خلاف علمته، أن لسان عاد، وثمود، وشعيب، ومدين عربي كله))[٤].

---

[١] تاريخ ابن خلدون، (٥/ ٦٣٥).

[٢] رواه الترمذي وحسنه، (٣٩٣١)، وحسنه العراقي في محجة القرب، (٨٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي، (٣٢٣١)، والعسقلاني في الفتح، (١٣/ ١١٤)، والسخاوي في المقاصد الحسنة، (١٥٩)، واخرجه ابن حبان في المجروحين، (٢/ ٣٦٧)، وضعفه الأرناؤوط.

[٣] تاريخ ابن خلدون، (٢/ ١٩).

[٤] القصد والأمم، ابن عبد البر، (١٨).

وأشهر ما ورد بأنبياء العرب حديث أبو ذر، وذكر فيه، هود، وصالح (عليهما السلام)، وهم من قبائل العرب البائدة، عن أبي ذر قال: (قلت يا رسول الله كم الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، قلت يا رسول الله كم الرسل منهم، قال ثلاثمائة وثلاثة عشر، جم غفير قلت يا رسول الله من كان أولهم؟ قال آدم، قلت يا رسول الله: نبي مرسل، قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قبلاً، ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانيون، آدم، وشيث، ونوح، وخنوخ، وهو (إدريس)، وهو أول من خط بالقلم. وأربعة من العرب، هود، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر، وأول نبي من بني إسرائيل، موسى، وآخرهم عيسى، وأول النبيين، آدم وآخرهم نبيك)[1].

أما أشهر قبائل العرب البائدة:

عاد: مساكنهم الأحقاف، جنوب الجزيرة العربية (من الربع الخالي إلى عدن) وأرسل لهم نبي الله هود (عليه السلام).

ثمود: ومساكنهم شمال الجزيرة العربية، تعرف بالحجر (تسمى الآن مدائن صالح) بمحافظة العلا، التابعة للمدينة المنورة، وأرسل لهم نبي الله صالح (عليه السلام).

العماليق: هو اسم مستوحى من الكتب اليهودية، والتسمية الأصح هي عمليق، كان يطلقه اليهود على الكنعانيين (الفينيقيين)، الذين سكنوا سوريا، وفلسطين، والآشوريين (والسريان والآثوريين) سكنوا بلاد ما بين النهرين، وبحسب التوراة فقد كان آشور أحد أبناء سام، الذي استقر شمال ما بين

---

[1] رواه ابن حبان وصححه، رقم (٣٦١)، وأبو نعيم في الحلية، (١/ ٢٢١) وضعفه، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية، (٢/ ١٤٠) وضعفه، وكذلك ضعفه السيوطي في الدر المنثور، (٥/ ١٣٢).

النهرين، إذ كانوا يعتقدون أن جدهم يدعى عمليق، وقد نقل النسابة العرب عن الكتب اليهودية، وقاموا بتحريف مسمى عمليق إلى العماليق، وهم شعب معادي لبني إسرائيل كما تذكر التوراة.

جرهم الأولى: وسكنوا في مكة، وتذكر بعض الأخبار أن جُرهُماً كان أحد الرجال الستة والثلاثين الذين كانوا مع نوح في السفينة.

طسم وجديس: (جديس قيل أنه أخو ثمود) التي سكنتَا اليمامة.

أميم وعبيل وبار: المعلومات عنهم قليلة.

والعرب البائدة هي أقوام انقرضت كلها قبل ظهور الإسلام، ولم تبقى من أخبارهم إلا القصص، والحكايات، والخرافات، والمصادر التاريخية عنهم قليلة؛ لأنها لم تذكر بكتب أهل الكتاب، إنما توارث سماعها من قبل عرب الحجاز، وقد ذكر القرآن الكريم عاداً وثموداً، وفي بعض الأدبيات يطلق اسم العرب القدماء على العرب البائدة.

مناقشة مصطلح العرب البائدة:

أول سؤال يخطر على الذهن هو كيف أبيدت هذه العرب؟ والمؤرخون يذكرون أن هذه القبائل كانت موجودة في فترة العرب العاربة والمستعربة؟

قال الكلبي: ((وَكَانَتْ لإِسْمَاعِيلَ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَمَالِيقِ ابْنَةُ صَبْدَى قَبْلَ الْجُرْهُمِيَّةِ وَهِيَ الَّتِي كَانَ جَاءَهَا إِبْرَاهِيمُ فَجَفَتْهُ فِي الْقَوْلِ فَفَارَقَهَا إِسْمَاعِيلُ وَلَمْ تَلِدْ لَهُ شَيْئًا))[1].

---

[1] الطبقات الكبرى، ابن سعد، (ت: ٢٣٠هـ)، (١/ ٥١).

قال الأزرقي المُتَوَفَّى (سنة ٢٥٠هـ): حدثني بعض أهل العلم، قال: ((كانت العماليق وهم ولاة الحكم بمكة فضيعوا حرمة البيت الحرام، واستحلوا فيه أموراً عظاماً، ونالوا ما لم يكونوا ينالون))[١].

قال ابن هشام: ((ثم نشر الله ولد إسماعيل بمكة، وأخوالهم من جرهم، ولاة البيت والحكام بمكة، لا ينازعهم ولد إسماعيل في ذلك لخؤولتهم وقرابتهم، وإعظاماً للحرمة أن يكون بها بغي أو قتال، فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا في البلاد، فلا يناوئون قوماً إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطؤهم))[٢].

ولم يقتصر الأمر على ذلك فقد كانت اقوال للنسابة تعد بعض القبائل الموجودة من ذرية العرب البائدة (كثقيف)،عن عمران بن حصين، قال: أَتَاهُ رَجُلانِ مِنْ ثَقِيفٍ، فَقَالَ: {مِمَّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالا: ثَقَفِيَّانِ، قَالَ: ثَقِيفٌ مِنْ إِيَاد، وَإِيَادٌ مِنْ ثَمُودٍ، فَكَأَنَّ ذَلِكَ شَقَّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ شَقَّ عَلَيْهِمَا، قَالَ: (مَا يَشُقُّ عَلَيْكُمَا؟ إِنَّمَا نَجَا مِنْ ثَمُودٍ صَالِحٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ فَأَنْتُمْ ذُرِّيَّةُ قَوْمٍ صَالِحِين}[٣].

عن ربيعة بن قيس، أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول: ثلاث قبائل يقولون أنهم من العرب وهم أقدم من العرب، جرهم، وهم بقية عاد، وثقيف، وهم بقية ثمود، قال: وأقبل أبو شمر بن أبرهة الحميري فقال: وقوم هذا وهم بقية تبع، فقال

---

[١] أخبار مكة، رقم الحديث، (١١٧).

[٢] السيرة النبوية، (١/ ١١١).

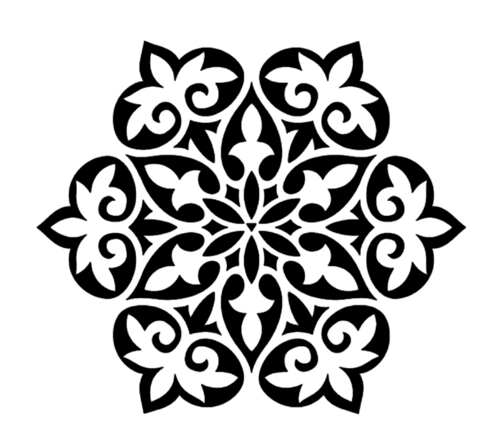
[٣] رواه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة، رقم (١٦٦٩)، وهو حديث موقوف وبه رجل لم يسم.

ربيعة بن قيس وإلى جنبي رجل من بني ثقيف فقلت: ما تسمع ما يقول أمير المؤمنين فيكم؟ فقال: ما تريد أن أرد عليه حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ))[١].

إن الإبادة التي ذكرت في القرآن الكريم، أشارت إلى إبادة عاد وثمود فقط، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾[٢].

ولكن هل هناك ذرية من عاد؟ الظاهر نعم، هناك ذرية من عاد؛ لأن الله تعالى لم يهلك إلا الكافرين من عاد، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾[٣].

هذا دليل على أن الله تعالى نجى هود (عليه السلام) والذين آمنوا معه، أين ذهبت ذرية هود والذين آمنوا؟ يمكن القول أن العرب البائدة مصطلح يعنى أُبيدت حضارتهم، ولغتهم، وحل محلها حضارة ولغة أخرى، وانصهروا في المجتمع الجديد.

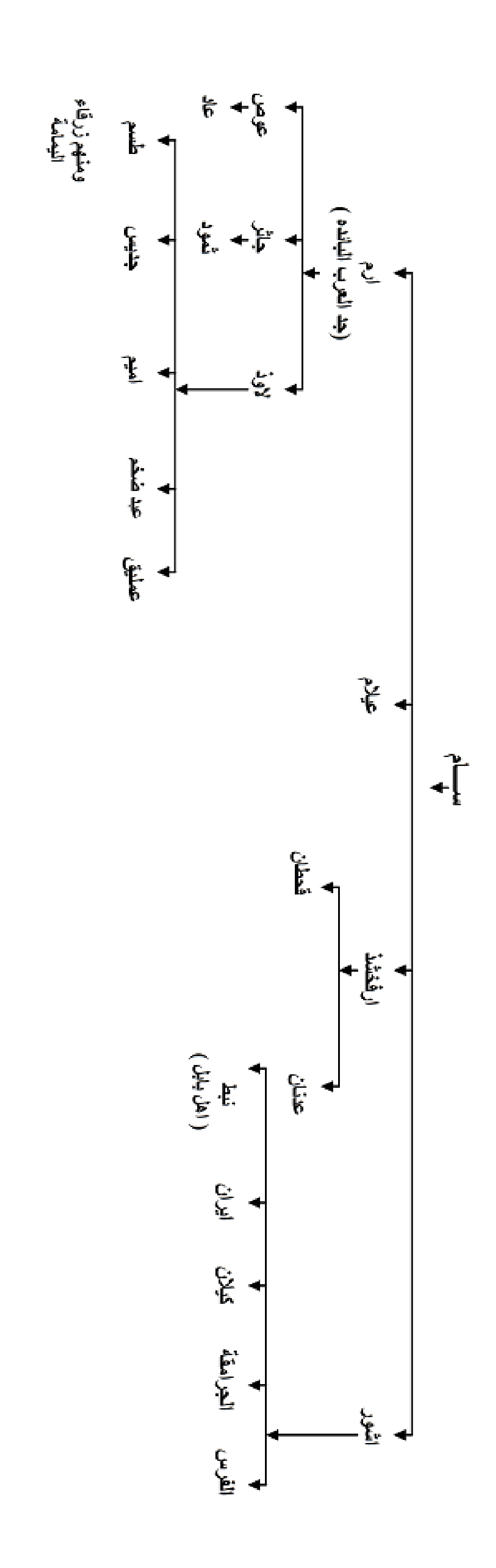


---

[١] الأنساب، السمعاني، (١/ ٢٠).

[٢] سورة النجم: الآيتان: (٥٠ -٥١).

[٣] سورة هود: الآية: (٥٨).



مخطط يوضح اولاد سام وفق كتاب نهاية الارب للقلقشندي

شكل (٧) مخطط يوضح أولاد سام وفق كتاب نهاية الأرب للقلقشندي

نظرات على أنساب القحطانيين:

العرب العاربة، أو القحطانيون، أو اليمنيون، أو السبأيون، ينسبون إلى: قحطان بن عابر حسب جمهور العلماء، وذكر غير ذلك ويرجع نسبه إلى سام بن نوح (عليه السلام)، وذكر الخطيب، والذهبي، والعييني، وابن كثير، أن عابراً هو نفسه نبي الله هود (عليه السلام)، وقال الأكثرون أنه غيره (سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً)، وقد ورد ذكره بالعهد القديم باسم يقطان، وَقَالَ الزبير بن بكار: ((قحطانِ بِالْعَرَبِيَّةِ وَهُوَ يقطن بالعبرانية ويقطان بالسُّرْيَانيَّة ابْن نبت وَهُوَ تابت بن عَابِر بن شالخ بن أرفخشذ بن سَام بن نوح))[1]، ويقول الطبري: ((كان قحطان أول من ملك اليمن))[2].

قال ابن حجر: ((وَزَعَمَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ أَنَّ قَحْطَانَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ وَأَنَّهُ قَحْطَانُ بْنُ الْهَمَيْسَعِ بْنِ تَيْمِ بْنِ نَبْتِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ ظَاهِرُ قَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ))[3].

وقد ورد اسم قحطان بالخط المسند، وهي قرية الفاو الصحراوية، عاصمه مملكة كندة الأولى بالقرب من الربع الخالي بالسعودية، وهو من القحط، وبذلك تكون اسم لأرض وليس لجد[4]، ولم يذكر قحطان بالتوراة بل ذكر يقطان

---

[1] الإنباه على قبائل الرواة، (٢٧).

[2] تاريخ الطبري، (١/ ١٢٧).

[3] فتح الباري، (٦/ ٥٣٧).

[4] نقلاً عن موسوعة ويكيبيديا. Encyclopedia Of The World's Ancient Languages.

((ولعابر ولد ابنان: اسم الواحد فالج لأن في أيامه قسمت الأرض واسم أخيه يقطان ويقطان ولد: الموداد وشالف وحضرموت ويارح))[1].

لم يكن العرب القحطانيون ينسبون أنفسهم إلى قحطان قبل الإسلام، وأغلب الظن أن المؤرخين بعد الإسلام وفي أواسط العصر الأموي تحديدا، مثل ابن إسحاق، وابن السائب الكلبي ،لاحظوا أن التشابه بين يقطان في العهد القديم، وأرض قحطان التابعة لمملكة كندة البدوية، فجعلوا قحطان جداً أكبراً للعرب العاربة، وتلك التي يعتقد أنها إما خرجت من اليمن، أو كانت ذات علاقة قوية بممالك اليمن القديم.

ذكر المؤرخون أن لقحطان ولدين: الأول (يقطن)، والثاني (يعرب)، وهو يعرب بن قحطان بن هود بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح أبو العرب، وقد عاش في فترة (٨٠٦٢) قبل الميلاد[2]، ومنه أخذ العرب الاسم وقد ذكر يعرب بشعر حسان بن ثابت:

تعلمتُم من منطق الشيخ يعرب أبينا فصرتم معربين ذوي نفر

و كنتم قديما ما بكم غير عجمة كلام و كنتم كالبهائم في القفر[3]

قال جواد علي: {لم يرد اسم (يعرب) في الشعر الجاهلي، وإنما ورد اسمه في شعر ينسب إلى حسان بن ثابت، وفي شعر ينسب إلى مضاض بن عمرو الجرهمي،

---

[1] سفر التكوين، الإصحاح العاشر، (٢٥-٢٦).

[2] من موقع الويكيبيديا نقلاً عن:

((Crosby, 2007, pp. 74-75)) و ((Sperl, 1989, p. 209)).

[3] كتاب الإكليل، (١/ ١١٦)، ولم يذكر في ديوان حسان وأنكر نسبة البيت لحسان المؤرخ جواد علي.

وهو من جرهم، وقيل: إنه قاله لما أخرجتهم الأزد من مكة، والشعران من النوع المصنوع المحمول على حسان وعلى مضاض الذي لا أدري أكان يتكلم بهذا اللسان العربي الذي نزل به القرآن، أم بلسان أهل اليمن الذي يختلف عن هذا اللسان}[١].

وليعرب ابن اسمه يشجب، يؤثر عنه أنه كان ضعيف الرأي، والعزيمة، وليشجب ولد اسمه سبأ، وهو الأب الحقيقي للسبئيين، وباني سد مأرب، وكانت الملوك في ولده ويقال: إنه سمي سبأ، لأنه أول من سبى السبي من ولد قحطان[٢].

علماً أن هناك من يقول أن سبأ، هو سبأ بن كوش بن حام، وأن مملكة سبأ موجودة بالحبشة، وعرش بلقيس الموجد بمأرب هو معبد إله الشمس، وكل النقوش الموجدة عليه تؤكد ذلك، وأن النقوش التي ذكرت أسماء الملوك لم تذكر اسم ملكة هناك. ويعتمد هذا الرأي على ما نقله التوراة، وعلى المكتشفات الأركولوجية التي وجدت.

ذكرت دائرة المعارف الكتابية المسيحية: ((سَبَئِيُّون: أهل سبا، وهم المذكورون في (أيوب ١: ١٥)، وهم شعب طوال القامة (أشعياء ٤٥: ١٤)، وكانوا يغيرون على البلاد ويسبون ساكنيها كما فعلوا مع أيوب، وهم يتنقلون من بلد إلى بلد (أيوب ٦: ١٩)، وكانوا يتاجرون في العبيد (يوئيل٣: ٨)، ويعتقد دلمان أنهم فرع من الكوشيين، وقد يكونون من نسل سبأ بن كوش (تكوين ١٠: ٧)، وكانوا أهل حضارة ويشتغلون بالتجارة فتاجروا في الذهب والعطور، ... وانتشر أهل سبأ في الأراضي حتى وصلوا إلى شمال غرب بلاد العرب في أيام الآشوريين

[١] المفصل في تاريخ العرب، (٢/ ١١).

[٢] المعارف، ابن قتيبة، (٦٢٦).

في القرن الثامن قبل الميلاد، ووصلوا إلى شمال الصحراء مع النبطيين، كما امتزجوا بالقبائل الأخرى عن طريق الزواج والارتباطات السياسية، وكان من تأثير ذلك أن اختلطت سلاسل أنسابهم. ومن قصة زيارة ملكتهم لسليمان في أورشليم نرى أنهم كانوا يعطون المرأة مكاناً عظيماً، وكانوا لا يتزوجون أكثر من واحدة... وكانوا يعبدون الشمس. وكانت عاصمتهم تسمى مأرب، وقد أقاموا فيها سداً عظيماً ذا شهرة واسعة، ثم بنوا هيكلاً للقمر يسمى الآن هيكل (بلقيس) وقد اكتشف هذا الهيكل حديثاً، ووجد فيه شيء من بدائع الفن والأعمدة الهائلة والأسوار المنيعة والتماثيل الرائعة، وقد كانوا من ضمن الذين هجموا على ممتلكات أيوب البار مثل الكلدانيون))[1].

وهناك من يقول أن سبأ قامت في دومة الجندل[2]. يقول الدكتور يوسف محمد رئيس هيئه الآثار بصنعاء: ((لا يوجد دليل واحد أن مملكة سبأ التي قامت في مأرب حكمتها امرأة))، ويقول الدكتور محمد عمر با فقيه في كتابه العربية السعيدة ـ الجزء الثاني ((نقوشاً تبين أن السبئيين أتوا إلى جنوب الجزيرة العربية، في فترة (١٥٠٠) قبل الميلاد، أو أكثر على شكل مجاميع بشرية (غزاة) من الحبشة، وأنهم كانوا يتوسعون على حساب سكان المناطق الأصلين وبالقوة))[3] .

---

[1] قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص كلمة (سبئيون).

[2] ذكرت جريدة الحياة الصادرة في يوم الإثنين، (٢٦/ ٥/ ١٤٣١)، أن الباحث التاريخي أحمد العبادي، أكد أن مملكة سبأ هي مملكة دومة الجندل! وهي منطقة تقع في المملكة العربية السعودية، وقال أنها أول مملكة عربية قائمة في التاريخ القديم، وأنها التي ذكرت في القرآن الكريم، وليست سبأ الجنوب الواقعة في اليمن، مستشهداً بقرب مملكة سبأ (مملكة دومة الجندل كما يقول) من موقع سليمان (عليه السلام)، بعكس ما كانت عليه سبأ اليمن التي تعتبر أنها (والكلام للباحث) بعيدة عن موقع الحدث.

[3] مقال منشور على الأنترنت، لمراد الهاشمي بعنوان: (السبئيون ليسوا ساميون ولا قحطانيون).

فهل هناك سبأين اثنين اندمجوا حسب تشابه الأسماء بالمؤتلف والمختلف، أم هو سبأ واحد اختلفت به الروايات ونسجت له الأساطير، أو أنه شخصية وهمية؟!

ذكر سبأ كشعب، ومملكة في القرآن الكريم، والتوراة، والنصوص الآشورية، والرومانية، وأنهم يعيشون في الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية، وورد فيه حديث: ((عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنَّ رجلًا سأَل رسولَ الله ﷺ عن سبأٍ ما هو؟ أرجلٌ أم امرأةٌ، أو أرضٌ؟ قال: بل هو رجلٌ، وَلَد عشرةً، فسكَن اليمنَ منهم ستةٌ، وبالشامِ أربعةٌ، فأما اليمانيونَ: فمذحجُ، وكندةُ، والأزدُ، والأشعريونَ، وأنمارُ، وحميرُ، وأما الشاميةُ: فلخمُ، وجذامُ، وعاملةُ، وغسَّانُ))[1].

وسبب تفرقهم كان بسبب انهيار سد مأرب، كما ذكر ذلك القرآن الكريم، وسد مأرب وكذلك يسمى (سد العرم)، هو سد مائي قديم في اليمن يعود تاريخه إلى نحو القرن الثامن قبل الميلاد[2]، تقع أطلاله حالياً قرب مدينة مأرب الأثرية، يعدّ من أقدم السدود المعروف في العالم، كما أنه يعدّ من روائع الإنشاءات المعمارية في العالم القديم، يروي مؤرخون أن انهيار السد كان سبباً في قحط، وشح في المياه، أدى إلى هجرة كبيرة لسكان اليمن العرب إلى مناطق أخرى في الجزيرة العربية، والعراق، وبلاد الشام. وخراب سد مأرب أو تهدمه حدث تاريخي ذكره القرآن

---

[1] رواه الإمام احمد، وصححه أحمد شاكر، (٤/ ٣٢٢)، والألباني، في صحيح أبي داود، رقم (٣٩٩٩) وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، (٧/ ٩٧)، والبوصيري في إتحاف الخيرة، (١/ ٢٦١)، وابن كثير بالتفسير، (٦/ ٤٩٢)، وابن العربي في عارضة الأحوذي، (٦/ ٢٩٨)، وابن حبان في المجروحين، (٢/ ٢٦٣)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء، (٥/ ٢٥١).

[2] المياه العربية وحروب المستقبل، محمد صادق، (٣).

الكريم، في سورة سبأ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾[١].

وكانت كل تلك الإصلاحات طفيفة، وهي بمثابة الصيانة مثل إزالة الأتربة، وتسيير مسالك المياه، أو سد بعض الشقوق، لكن في حوالي سنة (١٤٥) ق.م، تصدع السد بشكل كبير، وكان ذلك في فترة الحرب بين الريدانيين وملوك سبأ، وهو التصدع الذي يرى الكثير من العلماء أنه هو السيل العرم المذكور في القرآن الكريم، وهو نفسه الذي تذكره الأمثال بقولها (تفرقوا أيدي سبأ)، وسببت الحرب بين الريدانيين والسبئيين تأخر صيانة هذا العامل الحيوي من عوامل الحياة، مما أدى إلى خسائر فادحة في الزروع والثمار، مما أدى إلى تفرق الناس بحثاً عن أراضي أكثر قابلية للحياة، فحدثت الهجرات، لكن لا يمكن الجزم بأن ذلك التصدع هو سيل العرم[٢]، وكانت بعض الهجرات قد تمت في القرن الثاني أو الثالث للميلاد، ونسبت لتصدع سد مأرب، وتم ترميم السد مرتين قبيل

---

[١] سورة سبأ: الآيتان: (١٥-١٦).

[٢] قال طه حسين: ((من الذي يستطيع أن يثبت لنا أن هذه الهجرة حق لا شك فيه ... لم يحدد القرآن تاريخ سيل العرم، ولم يسم لنا القبائل، ونحن لا نغلو حين نقول: أن هجرة هذه القبائل بعينها إلى هذه المواطن، تكلف كان بعد الإسلام، واستغل فيه القصاص هذه النصوص القرآنية؛ لأسباب سياسية يعرفها أقل الناس إلماماً بالصلة بين القحطانية والمضرية بعد ظهور الإسلام)). في الأدب الجاهلي، (٩٤).

الإسلام، مرة على يد شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد في سنة (٤٥٠) للميلاد، والمرة الأخيرة هي على يد أبرهة في سنة (٥٤٣) للميلاد، وبينت النقوش على سد مأرب وكانت تكاليف الترميم باهظة، وعدد العمال كبير.

وجاء في تقرير الحكايات المحلية إلى أن الاختراق النهائي للسد كان متوقعاً (وفي وقت لاحق من زوجة الملك) من قبل ملك يدعى عمران، والذي كان أيضاً كاهن، في أسطورة خرق السد بسبب الفئران الكبيرة، التي تلتهم ذلك بأسنانها وتخدشه بأظافرها. وفي سنة (٥٧٠ أو ٥٧٥) بعد الميلاد وفي هذه المرة تركت دون إصلاح، وكان اختراق وتدمير سد مأرب حدثاً تاريخياً، لكن والله أعلم أن ذلك الخرق الأخير ليس المذكور بالقرآن؛ لأن هذه الفترة هي نفس فترة ولاده الرسول ﷺ والتي كان فيها الأوس، والخزرج، (وهم من عرب اليمن)، مستوطنين بالمدينة منذ زمن.

تذكر روايات التاريخ والأنساب أن لسبأ ولدان هما: كهلان، وحمير، وإليهما مرجع كل العرب العاربة. بعد موت سبأ حكم اليمن ابنه حمير، وقيل هو أول من لبس التاج من الذهب، وأخرج ثمود من اليمن الى الحجاز، وكانت له العديد من الغزوات حتى بلغ في بعض غزاته الصين شرقاً والمغرب غرباً[1]، وضل الملك لأولاد حمير وقد ورد حديث عن الرسول ﷺ بذكر حمير.

---

[1] كتاب التيجان في ملوك حمير، ابن هشام الحموي، (ت: ٢١٣هـ)، (٦٠).

قال ﷺ: ((كان هذا الأمرُ في حِمْيَرٍ فنزعه اللهُ منهم فصيَّرَهُ في قريشٍ وسيعودُ إليهم))[1]. ومن ذريته تبع فقال ﷺ: ((لَا تَسُبُّوا تُبَّعًا، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ أَسْلَمَ))[2]. ومن ذريته ذو نواس وهو صاحب الأخدود الذي ذكره الله تعالى في كتابه: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾[3]، على رأي بعض المفسرين وكان على اليهودية والذي اضطهد النصارى وأحرقهم بنجران، وهو آخر ملوك حمير، وغلبه وأزال ملكه إبرهة الأشرم الحبشي، الذي حكم اليمن أكثر من عشرين سنة، وهو الذي أراد هدم الكعبة، وبقي الحكم للأحباش إلى أن أزال ملكهم سيف بن ذي يزن المُتَوَفَّى (سنة ٥٧٤ م).

من الواضح أن حمير لم يخرجوا عن حكم اليمن، أما كهلان فحكموا خارج اليمن، فمملكة كندة كانت بالحجاز، والمناذرة بالعراق، والغساسنة بالشام.

---

[1] صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٥/ ٣٤)، وجود إسناده العسقلاني في فتح الباري، (١٣/ ١٢٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد، (٥/ ١٩٦)، وضعفه الذهبي في تلخيص العلل المتناهية، (٢٧٣)، وضعفه ابن الجوزي بالعلل المتناهية، (٢/ ٧٦٧).

[2] صححه الألباني في صحيح الجامع، (٧٣١٩)، وضعفه الهيثمي بمجمع الزوائد، (٨/ ٧٩)، والعسقلاني في الكافي الشاف، (٢٥٣).

[3] سورة البروج: الآية: (٤).

قحطان ليس من ولد عدنان:

اختلفت مصادر التاريخ في نسب قحطان، هل هو من إسماعيل (عليه السلام)؟ أم لا؟ وأشهر أنساب قحطان المذكورة أربع:

الأول: قحطان بن هود بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

الثاني: قحطان بن هود بن عبد الله بن الجلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن (نوح عليه السلام).

الثالث: قحطان بن هميسع بن تيمن وبه سميت اليمن بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام).

الرابع: قحطان بن هميسع بن أصاف بن هود بن شروان بن الميثان بن العامل بن مهران بن بجير بن يقظان بن نباوت وهو نابت بن إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام).

والراجح عند النسابة أن عرب اليمن (القحطانيين) ليسوا من ولد إسماعيل، أما ما يستدل به بعض الباحثين من الكتاب والسنة، أنهم من ولد إسماعيل فيدور على ثلاث أدلة سنناقشها:

الدليل الأول: ما رواه الإمام البخاري في صحيحه: ((حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن يزيد بن أبي عبيد حدثنا سلمة ﵁ قال: خرج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق، فقال: ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً، وأنا مع بني

فلان لأحد الفريقين، فأمسكوا بأيديهم فقال: ما لهم قالوا وكيف نرمي وأنت مع بني فلان قال: ارموا وأنا معكم كلكم))[1].

وقد بوب الإمام البخاري (رحمه الله) على هذا الحديث: ((باب نسبة اليمن إلى إسماعيل منهم أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة)).

وقد علق ابن حجر (رحمه الله فقال): ((وفي هذا الاستدلال نظر، لأنه لا يلزم من كون بني أسلم من بني إسماعيل، أن يكون جميع من ينسب إلى قحطان من بني إسماعيل، لاحتمال أن يكون وقع في أسلم ما وقع في إخوتهم خزاعة من الخلاف، هل هم من بني قحطان أو من بني إسماعيل، وقد ذكر ابن عبد البر عن طريق القعقاع بن أبي حدرد في حديث الباب: أن النبي ﷺ مر بناس من أسلم وخزاعة، وهم يتناضلون فقال: ارموا بني إسماعيل فعلى هذا فلعل من كان هناك من خزاعة كانوا أكثر فقال ذلك على سبيل التغليب، وأجاب الهمداني النسابة عن ذلك بأن قوله لهم: يا بني إسماعيل لا يدل على أنهم من ولد إسماعيل من جهة الآباء، بل يحتمل أن يكون ذلك لكونهم من بني إسماعيل من جهة الأمهات، لأن القحطانية والعدنانية قد اختلطوا بالمصاهرة، فالقحطانية من بني إسماعيل من جهة الأمهات))[2].

قال ابن تيمية: ((والناس متفقون على أن عدنان ولد إسماعيل وربيعة ومضر، وأما قحطان فقال بعضهم هم أيضاً من ولد إسماعيل، والصحيح أنهم كانوا

---

[1] رواه البخاري، (٣٥٠٧).

[2] فتح الباري، (٦/ ٥٣٩).

موجودين قبل إبراهيم، بأرض اليمن، ومنهم جرهم، الذين سكنوا مكة، ومنهم تعلم إسماعيل العربية))[١].

ومعلوم أن النسابون لم يتفقوا على أن أسلم من قحطان بل هناك قولان فيهم:

الأول: أسلم بن أفصى بن عامر بن لحي بن قمعة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

الثاني: أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

نعم، الحديث به دليل قوي لمن يحتج بأن أسلم وخزاعة من ولد إسماعيل، (لأن أسلم وخزاعة أخوان أو أن أسلم من ولد خزاعة) وبه قال ابن حزم ومن المتأخرين العلامة المعلمي المتوفى (سنة ١٣٨٦ هـ)، وليس فيه تعميم لكل قبائل قحطان.

الدليل الثاني: قوله تعالى موجهاً كلامه للمؤمنين المهاجرين والأنصار: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

والمقصود (أَبِيكُمْ) هو الأب الروحي وليس الحقيقي، لأن من كان من المسلمين آنذاك ليسوا كلهم من العرب، كسلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وهو كالقول عن زوجات الرسول ﷺ أمهات المؤمنين.

---

[١] الرد على المنطقيين، (٤٥٦).

[٢] سورة الحج: من الآية: (٧٨).

ومن المعلوم أن كل نبي هو بمنزلة الأب لأمته، وأتباعه، كما قيل في قوله تعالى عن نبيه لوط (عليه السلام): ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ ﴾[١]، قال مجاهد: ((لم تكن بناته، ولكن كنَّ من أمّته، وكل نبي أبُو أمَّته))[٢].

وقد قُرِئ: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾[٣]، قال ابن كثير: {روي عن أُبي بن كعب وابن عباس أنهما قرءا: ((**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ**))، وروي نحو هذا عن معاوية، ومجاهد، وعِكْرِمة، والحسن}[٤].

وقال ابن تيمية (رحمه الله): {وفي قراءة أُبيّ: ((**وهو أبٌ لهم**)) والقراءة المشهورة تدل على ذلك؛ فإن نساءه إنما كن أمهات المؤمنين تبعاً له، فلولا أنه كالأب لم يكن نساؤه كالأمهات}[٥].

الدليل الثالث: جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ مخاطباً الأنصار حين ذكر هاجر أم إسماعيل (عليه السلام) قال: ((قال أبو هريرة: تلك أمكم يا بني ماء السماء))[٦]، قال الألباني: حديث موقوف، ولم أرهُ من قوله ﷺ[٧].

---

[١] سورة هود: الآية: (٧٨).

[٢] تفسير الطبري.

[٣] سورة الأحزاب: الآية: (٦).

[٤] تفسير ابن كثير.

[٥] منهاج السنة النبوية، (٥/ ١٦١).

[٦] رواه البخاري، (٣٣٥٨)، ومسلم، (٢٣٧١).

[٧] إرواء الغليل، (١٨٧٥).

قال النووي: ((قال كثيرون: المراد ببني ماء السماء العرب كلهم، لخلوص نسبهم، وصفائه وقيل: لأن أكثرهم أصحاب مواشي، وعيشهم من المرعى والخصب، وما ينبت بماء السماء. وقال القاضي: الأظهر عندي أن المراد بذلك الأنصار خاصة، ونسبتهم إلى جدهم عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأدد وكان يعرف بماء السماء، وهو المشهور بذلك، والأنصار كلهم من ولد حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر المذكور))[1]، قال ابن حجر: ((وقيل: أراد بماء السماء زمزم لأن الله أنبعها لهاجر فعاش ولدها بها فصاروا كأنهم أولادها، قال ابن حبان في صحيحه: كل من كان من ولد إسماعيل يقال له ماء السماء، لأن إسماعيل ولد هاجر وقد ربي بماء زمزم وهي من ماء السماء))[2].

أما حديث: ((العرب كلّها بنو إسماعيل بن إبراهيم، إلّا أربع قبائل، إلّا: السّلف، والأوزاع، وحضرموت، وثقيفاً))[3]، لا يصح، ولو صح لكان حجة على القائل، لوجود الاستثناء بالحديث وهم السلف، وثقيف، والأوزاع.

وكذلك حديث ((كل العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم))[4] حديث مرسل لا يصح.

إذن لا يوجد حديث صحيح صريح ينسب قحطان إلى إسماعيل.

---

[1] شرح صحيح مسلم، (١٥/ ١٢٤).

[2] فتح الباري، (٦/ ٣٩٤).

[3] رواه البلاذري، أنساب الأشراف، وابن عساكر في تاريخ دمشق، (٣٥/ ١٥٥)، قال الألباني عنه في الضعيفة، رقم الحديث (١٩٤٢)، (وهذا إسناد ضعيف مرسل).

[4] ضعفه الألباني في ضعيف الجامع، (٤٢١٤).

بل يوجد أحاديث تفيد غير ذلك وإن كان في بعضها مقال نذكرها للفائدة:

الأول: ما ورد ببعض الأحاديث من عدم اعتبار عرب حمير من غير الإسماعيلية، عن عبد الله بن مسعود قال: كان على عائشة محرر من ولد إسماعيل، فقدم سبي بلعنبر[١]، فأمرها النبي ﷺ أن تعتق منهم، وقال: ((من كان عليه محرر من ولد إسماعيل فلا يعتق من حمير أحداً، قال علي بن عابس: فقلت لإسماعيل بن أبي خالد: وما كان حمير؟ قال: هو أكبر من إسماعيل))[٢].

وفيه نفي حمير من ولد إسماعيل لقول الراوي حمير أكبر من إسماعيل.

وحديث عائشةَ: ((أنَّهُ كانَ علَيها رقبةٌ مِن بني إسماعيلَ، فجاءَ سبيٌ منَ خَولانَ، فأرادَت أن تُعتقَ منهم، فنهاها ثمَّ جاءَ سَبيٌ مِن مُضَرَ من بَني العَنبرِ، فأمرَها النَّبيُّ ﷺ أن تُعتقَ مِنهُم))[٣].

وحديث أبي معقل أنَّ سبياً مِنْ خَوْلانَ فقدِم وكان على عائشةَ -رضيَ اللهُ عنها- رقبةٌ من ولدِ إسماعيلَ، فقدِم سبيٌ منَ اليمنِ، فأرادتْ أن تُعتِقَ فنهاها النبيُّ ﷺ فقدِم سبيٌ من مُضَر - أحسِبُه قال: مِنْ بني العنبرِ - فأمرها أنْ تُعتِقَ[٤].

وهذا الحديث ورد عن ثلاث من الصحابة ابن مسعود، وعائشة، وأبي معقل، وبه استدل ابن حزم ان بالعرب من ليس بولد إسماعيل فقال: ((وأما قحطان، فمختلف فيه من ولد من هو؟ فقوم قالوا: هو من ولد إسماعيل - عليه السلام -،

---

[١] بلعنبر هم بنو العنبر، وهو من شواذ التخفيف عند العرب، لأن النون واللام قريبَا المخرج.

[٢] قال الهيثمي: (رواه الطبراني، والبزار)، وضعفه، مجمع الزوائد، (١٠/ ٤٩).

[٣] قال العراقي في محجة القرب، (٣٨٨)، هذا حديث صحيح، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد، (١٠/ ٤٩).

[٤] رواه البيهقي في السنن الكبرى، وقال له متابعة، (٩/ ٧٥)، ورواه الحاكم، (٢/ ٢١٦)، وقال الحاكم بعد أن رواه مرسلاً: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال الذهبي: صحيح.

وهذا باطل بلا شك، إذ لو كانوا من ولد إسماعيل، لما خص رسول الله - ﷺ - بني العنبر بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، بأن تعتق منهم عائشة. وإذا كان عليها نذر عتق رقبة من بني إسماعيل، فصح بهذا أن في العرب من ليس من ولد إسماعيل))[1].

الثاني: كُتب الأدب العربي القديمة مليئة بالمناظرات والسجالات بين العدنانية، وبخاصة القيسيين وبين القحطانيين، بالعصر الأموي والعباسي، وتواترت هذه القصص، بلا نكير من مؤرخ أو أديب، بل عدت تلك القصص من المسلمات بها، منها ما تذكره كتب الأدب في العصر الأموي، ((قول الطرماح بن الحكم الباهلي، لمعاوية بن ابي سفيان، عندما سأله وعلى من أنزلت العربية؟ فقال الطرماح: نحن، لأنه لما نزلت العرب ببابل، وكانت العبرانية لسان الناس كافة، أرسل الله تعالى العربية على لسان يعرب بن قحطان الباهلي، وهو جدنا فقرأ العربية وتداولها قومه من بعده إلى يومنا هذا، فنحن يا معاوية عرب بالجنس وأنتم عرب بالتعليم))[2].

ومنها بالعصر العباسي، قول إبراهيم بن مخرمة الكندي، من عرب اليمن، يفاخر خالد بن صفوان التميمي العدناني، قوله: ((هم -يقصد أهل اليمن- العرب العاربة وغيرهم المتعربة))[3].

الثالث: عن الأشعث بن قيس أنه قال: ((أَتَيتُ رسولَ اللهَّ ﷺ في وفدِ كِندةَ، ولا يرَوني إلَّا أفضلَهُم، فقلتُ: يا رسولَ اللهِّ، ألستُمْ منَّا؟ فقالَ: نَحنُ بنو النَّضرِ بنِ

---

[1] جمهرة أنساب العرب، (١/ ٥).

[2] وهي قصة طويلة ذكرها الإتليدي، الُمتوَفَّى (سنة ١٦٨٩م) في مصر، في كتابه إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، وهو من كتب النوادر الأدبية.

[3] في قصة طويلة أنظرها في الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني، (**ت:** ٣٩٠هـ).

كِنانةَ، لا نَقفو أمَّنا، ولا نَنتَفي مِن أبينا قالَ: فَكانَ الأشعثُ بنُ قيسٍ يقولُ لا أوتي برجلٍ نفى رَجلًا من قُرَيْشٍ منَ النَّضرِ بنِ كنانةَ إلَّا جَلدتُهُ الحدّ))[1].

والسبب في قول الأشعث –أحد رجال كندة– للنبي ﷺ: ((يا رسول الله أنا نزعم أنكم منا)) –ويعني قريش– أن ربيعة، بن الحارث، والعباس بن عبد المطلب، كانَا تاجرين، وكانوا عندما يسيرون في أرض العرب ابتغاء لتجارتهم كانوا يقولون نحن بنو آكل المرار، وآكل المرار، هو بن عمرو، ابن حجر، بن عمرو، بن معاوية، بن كندة، وكان للنبي ﷺ جدة من كندة، وهي السيدة أم كِلاب بن مرة، وهي التي تحدث عنها الأشعث حين قابل النبي ﷺ فكان العباس، وربيعة، يقولون نحن بنو آكل المرار، لأن بنى آكل المرار، من كندة كانوا ملوكاً، فكانا يقويان بهذا ليأمنوا على أنفسهم وتجارتهم ولذلك ظنت كندة أن قريشاً منهم، لقول العباس، وربيعة المذكور، فصحح لهم رسول الله ﷺ وأعلمهم بأن النسب يكون بالآباء لا بالأمهات))[2].

ومعلوم أن كندة قحطانية، وقريش عدنانية من نسل إسماعيل (عليه السلام).

الرابع: إن العرب كانوا موجودين قبل نبي الله إبراهيم (عليه السلام)، ودليل ذلك أن إسماعيل (عليه السلام) تزوج من قبيلة جرهم العربية، ووجود العرب المسمى خطأ بالبائدة، كجديس، وطسم.

---

[1] صححه الألباني في صحيح ابن ماجه، (٢١٣٢)، وجود إسناده، ابن كثير في البداية والنهاية، (١٨٦/٢).

[2] زاد المعاد، ٣/ ٦٧٦.

الخامس: قال الطبري: ((عندما حاصر خالد أهل القصور قرب الحيرة، أمر أمراءه أن يبدؤوا بدعاء أهلها إلى إحدى ثلاث: الإسلام، أو الجزية، أو المنابذة، فاختاروا المنابذة، فلما دارت الدائرة على أهل القصور، وأكثر المسلمون فيهم القتل، نادى أصحاب القصور: يا معشر العرب، قد قبلنا واحدة من ثلاث فأبلغونا خالداً، فقال لهم خالد: ويحكم ما أنتم؟ أعرب فما تنقمون من العرب، أو عجم فما تنقمون من الإنصاف والعدل؟ فقال له عدي بن عدي بن زيد العبادي: بل عرب عاربة وأخرى متعربة، فقال: لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا؟ فقال له عدي: ليدلك على ما نقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية))[1].

السادس: في العصر الأموي عندما تفاخرت مضر العدنانية، على قبائل يمن القحطانية، بأن منهم محمد، وإسماعيل، وإبراهيم، (عليهم الصلاة والسلام)، ادّعت القحطانية أنهم من ذرية نبي الله هود (عليه السلام)، ولو كانوا من ذرية إبراهيم لما احتاجوا أن ينسبوا أنفسهم لهود (عليه السلام)، بل لو كان كذلك، لقالوا نحن من ذرية إبراهيم (عليه السلام).

السابع: عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنَّ رجلاً سألَ النبيَّ ﷺ عن سبأٍ ما هو أرجلٌ أمِ امرأةٌ أم أرضٌ؟ قال: بل هو رجلٌ وَلَدَ عشرةً فسكَنَ اليمنَ منهم ستَّةٌ، وسكنَ الشامَ منهم أربعَةٌ، فأمَّا اليمانيونَ فمُذْحَجٌ، وكِنْدَةٌ، والأزدُ،

---

[1] تاريخ الطبري، ٢/ ٤٦٥.

والأشعريون، وأنمارُ، وحميرُ، عربًا كلُّها، وأمَّا الشاميَّةُ، فلَخْمٌ، وجُذَامُ، وعامِلَةٌ، وغَسَّانُ))[1].

فهذا الحديث ذكر أولاد سبأ، وهم فروع القحطانية العرب العاربة، ولم يذكر عدنان، ولا مضر، ولا ربيعة، وهم العدنانية الذين هم من صلب إبراهيم (عليه السلام).

الثامن: من المعلوم أن العرب القحطانية أصولها من اليمن، أما العرب العدنانية فأصولها من العراق، وهذا ما قال به الإمام علي ﷺ حين سُؤِل عن أصله: ((وروي عن ابن الأعرابي أنه قال: سأل رجل علياً -عليه السلام- فقال: أخبرني يا أمير المؤمنين عن أصلكم، معاشر قريش، فقال: نحن قوم من كوثى، واختار ابن منضور القول (كوثى العراق)، لأنه قال فإنا نبط من كوثى، ولو أراد كوثى مكة، لما قال نبط، إنما أراد -عليه السلام- أن أبانا إبراهيم كان من نبط كوثى وأن نسبنا انتهى إليه))[2].

وللخروج من هذا المأزق حدًا ببعض النسابة وبخاصة المعاصرين، إلى أنْ جعل أنَّ هناك قحطانيين بالتاريخ، كما يسمى قحطان الأول، وهو أبو العرب العاربة، وقحطان الثاني، وهو من ذريه إسماعيل ولا دليل عليه.

---

[1] رواه الإمام أحمد، وصححه أحمد شاكر، (٤/ ٣٢٢)، والألباني، في صحيح أبي داود، رقم (٣٩٩٩)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، (٧/ ٩٧)، والبوصيري في إتحاف الخيرة، (١/ ٢٦١)، وابن كثير في التفسير، (٦/ ٤٩٢)، وابن العربي في عارضة الأحوذي، (٦/ ٢٩٨)، وابن حبان في المجروحين، (٢/ ٢٦٣)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء، (٥/ ٢٥١).

[2] لسان العرب، ابن منظور، مادة (كوث).

مناقشة مصطلح العرب القحطانية:

لم يُذكر قحطان بالشعر العربي الجاهلي، إلا ببيتٍ شعر وحيد لحسان بن ثابت ذكر في ديوانه:

فلو سُئِلَتْ عنه معد بأسرها وقحطان أو باقي بقية جرهما

وأورد الهمداني أربعة أبيات أو خمسة، ذكر بها قحطان لم تذكر بالديوان، ومنها بيت يوثق به أن قحطان من هود:

ويعرب ينميه لقحطان ينتمي لهود نبيً الله فوق الحبائك

يقول الدكتور جواد علي: ((والأبيات المذكورة، لا يمكن أن تكون من نضم حسان، فأسلوبها غير أسلوبه في شعره، وفي بعضها ركة وضعف، ولفظة المرحوم (التي وردت في بعض أشعاره الأخرى) عن الاصطلاحات الحادثة المتأخرة، كما إن التفاخر بالأنبياء المذكورين لم يكن معروفاً على عهده))[1].

لم يذكر قحطان بالحديث الصحيح حسب تتبعي، أحاديث الدرر السنية للشيخ السقاف إلا حديثين قال ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه))[2].

ولما حدث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، بأنه سيكون ملك من قحطان، غضب معاوية، فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد: فإنه بلغني أن رجالاً منكم يتحدثون بأحاديث ليست في كتاب الله، ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ، فأولئك جهالكم، فإياكم والأماني، التي تضل أهلها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

[1] المفصل بتاريخ العرب، (١/ ٥٠١).

[2] رواه البخاري، (٧١١٧)، ومسلم، (٢٩١٠).

((إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه، ما أقاموا الدين))[١] ، ورجح القرطبي أن القحطاني هو الجهجاه، والجهجاه من الموالي كما ثبت بالحديث ورده ابن حجر.

أما حديث: ((الإيمانُ يمانٍ، الإيمانُ في قحطانَ، والقسوةُ في ولَدِ عدنانَ، حميرُ رأسُ العربِ ونابُها، ومِذحجُ هامَتُها وعصمتُها، والأزدُ كاهلُها وجمجمتُها، وهمدانُ غاربُها وذروتُها، اللهمَّ أعزَّ الأنصارَ الذين أقام اللهُ الدينَ بهم، الذين آوُوني ونصرونِي وحموني، وهم أصحابي في الدنيا وشيعتِي في الآخرةِ، وأولُ من يدخلُ الجنةَ من أمَّتي))[٢] فمنكر.

وجدير بالذكر إن أغلب الأحاديث الصحيحة لمدح القحطانيين كانت بأهل اليمن، والأخرى بالأزد، ولم يذكر قحطان بمدح في أي حديث صحيح، والله أعلم.

قال ﷺ: ((أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ))[٣]، وقال ﷺ: ((نِعْمَ القوم الأزد، طيبة أفواههم، برة أيمانهم، نقية قلوبهم))[٤].

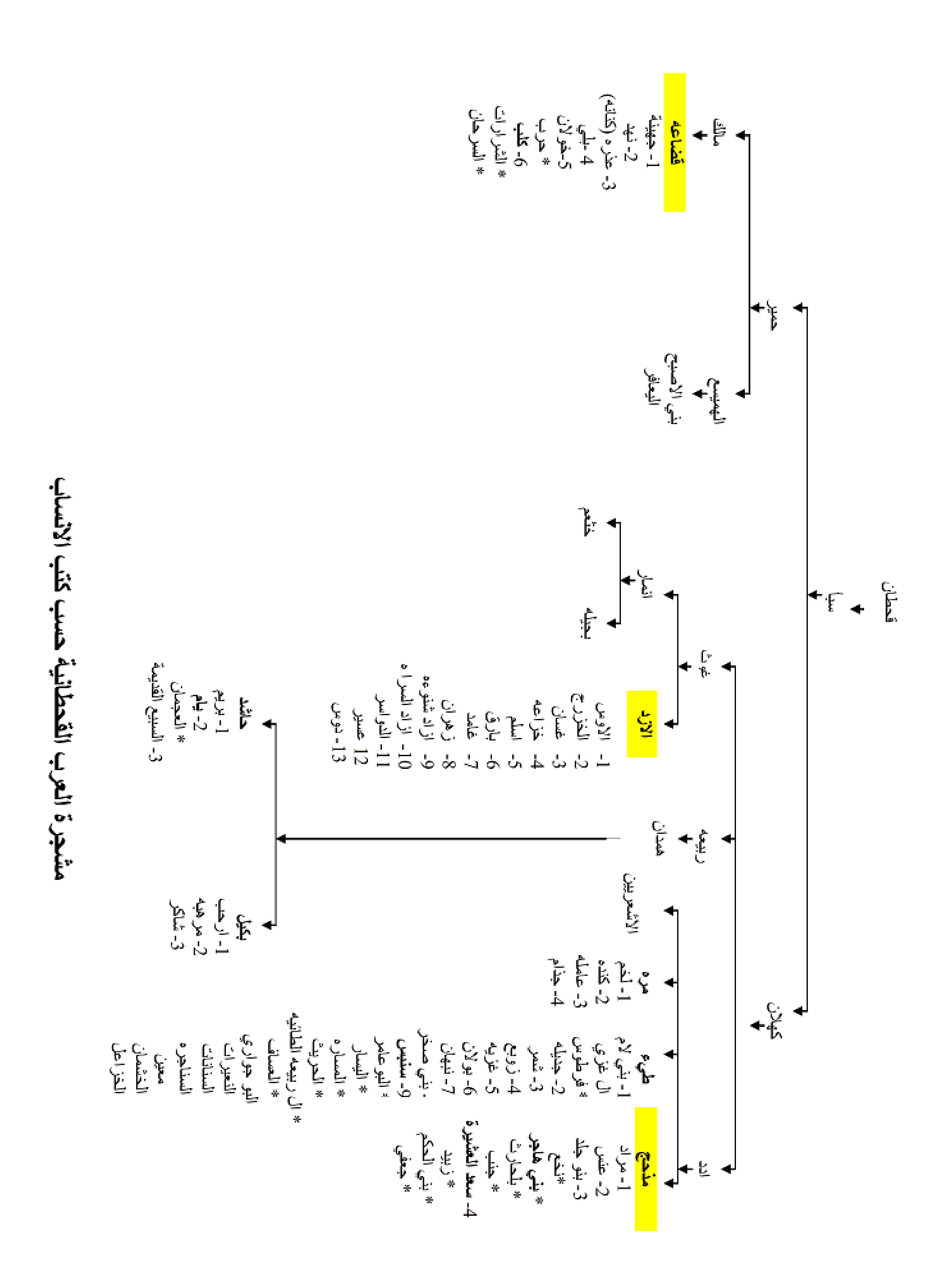
---

[١] رواه البخاري، (٣٥٠٠).

[٢] حسنه الهيثمي في مجمع الزوائد، (١٠/ ٤٤)، وقال ابن حجر في مختصر البزار: (منكر واضح النكارة)، (٢/ ٣٧٥)، وقال الألباني بالسلسلة الضعيفة: (حديث منكر)، (٦٢٣٠).

[٣] رواه البخاري، (٤٣٨٨)، ومسلم، (٥٢).

[٤] رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر، (١٦/ ٢٥٢)، وصححه الألباني في الصحيحة، (١٠٣٩).



شكل (٨) مشجرة العرب القحطانية حسب كتب الأنساب

نظرات على أنساب العدنانيين:

اتفق النسابون وروي ببعض الأحاديث النبوية، أن عدنان من ذرية إسماعيل (عليه السلام)، ولكن اختلفوا كم جد بينهم، منهم من قال عشرين، وهو الذي عليه الجمهور، ومنهم من قال أربعين، ومنهم من قال أكثر من ذلك و يستحيل عدهم[١].

وقد اشتهرت أحاديث أغلبها لا تصح بذكر اسم عدنان، فقد روي أن النبي ﷺ قال: {لا تجاوزوا معد بن عدنان، كذب النسابون، ثم قرأ: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾[٢]، ولو شاء أن يعلمه علمه}[٣]، وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ((استقام نسب الناس إلى معد بن عدنان))[٤]، قال ابن سعد نقلاً عن غيره: ((وَسَمِعْتُ مَنْ يَقُول: إِنَّ مَعْد بْن عَدْنَان كَانَ عَلَى عَهْد عِيسَى اِبْن مَرْيَم))[٥].

ويذكر الطبري في تاريخه أن عدنان عاش في أيام بختنصر-وهو الإمبراطور البابلي نبوخذ نصر، ((٦٠٥-٥٦٢ق.م))، وقيل أنه قُتِل في معركة قامت بين قومه وبختنصر.

---

[١] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (٣٩٠).

[٢] سورة الفرقان: من الآية: (٣٨).

[٣] قال الألباني: حديث موضوع. ضعيف الجامع، (٤١٦٦).

[٤] قال ابن حجر في فتح الباري، (٦/ ٦١١)، (رواه الطبراني بأسناد جيد)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، (١/ ١٩٨).

[٥] الطبقات الكبرى، ابن سعد، (١/ ٤٧).

وذكرت بعض المصادر الإسلامية أن أبناء إسماعيل عاشوا مع أبيهم في مكة، وبعد وفاة إسماعيل (عليه السلام)، وحكم القيداريون ابن إسماعيل الحجاز ألف سنة، تولى شؤون إدارة الكعبة الشريفة ابن إسماعيل البكر نابت، ولكن سلطة الإسماعيليين بدأت تضعف شيئاً فشيئاً بعد نابت، إذ آلت السلطة إلى أخوالهم الجراهمة، الذين بدأوا يسيطرون على إدارة شؤون الكعبة، وإبعاد بنو إسماعيل عن شؤون الكعبة، حتى حدثت النزاعات بين القبائل للسيطرة على الكعبة، وأصبح الإسماعيليون لا سلطة لهم فتركوا الكعبة، وبدأوا يبحثون عن أماكن جديدة يعيشون فيها، وهكذا توزعوا على بلاد الجزيرة العربية، وخصوصاً الأجزاء الشمالية منها.

العرب العدنانية تنسب إلى نبي الله إسماعيل (عليه السلام)، وهو أبو العرب المستعربة، باتفاق النسابين والمؤرخين، قال الإمام ابن كثير: ((وأما العرب المستعربة فهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وكان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة، وكان قد أخذ كلام العرب من جرهم الذين نزلوا عند أمه هاجر بالحرم)).[1]

أورد السيوطي في الجامع الصغير، عن ابن سعد عن علي بن رباح، مرسلاً: روى عن النبي ﷺ قال: ((كل العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم))[2].

وقد عثر على نقوش ثمودية، وبعض النقوش النبطية، تذكر اسم عدنان حتى وجد أن بعض الأنباط تسمي أبناءها عبد عدنان، كنايه على الاحترام لا للعبودية.

---

[1] البداية والنهاية، ابن كثير، (١/ ١٣٨).

[2] ضعفه الألباني في ضعيف الجامع، (٤٢١٤).

وقد ثبت بالحديث الصحيح أن محمداً ﷺ من ولد إسماعيل[1]، وقد جاءت

أحاديث تذكر سلسلة النسب الشريف

نذكرها للفائدة:

أولاً: قال البخاري: هو محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم بن عبد مناف، بن قصي بن كلاب، بن مرة بن كعب، بن لؤي بن غالب، بن فهر بن مالك، بن النضر بن كنانة، بن خزيمة بن مدركة بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان[2] .

ثانياً: قال رسول الله ﷺ: ((خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي فلم يصبني من سفاح الجاهلية شيء))[3].

ثالثاً: عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: {قلت: يا رسول الله، إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم، فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فقال: من أنا؟ ((فقالوا: أنت رسول الله عليك السلام، قال: ((أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق، فجعلني في

---

[1] لذلك لا عبرة بما يروجه بعض النصارى عن نسب نبينا الكريم ﷺ، بأنه ليس من ذرية إبراهيم ويستدلون على ذلك بانقطاع النسب بين عدنان وإسماعيل (عليه السلام)، كما فعل مؤلف كتاب تحلل الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، يقول: إن العرب ليسوا من نسل إسماعيل (عليه السلام). كتاب محمد ﷺ، للقس الأنجليكاني جورج بوش الجد، (١٢٣). في حين أن مؤلف الكتاب جورج بوش الجد المُتوفى (سنة ١٧٩٦م)، على عناده وإنكاره لنبوة الرسول ﷺ، أثبت أنه من نسل إسماعيل (عليه السلام)، فقال: ((الفصل الأول: أصل العرب وإثبات أنه من نسل إسماعيل بن إبراهيم)) .

[2] أورده الإمام البخاري في صحيحه، (٣٨٥١).

[3] رواه الطبراني في الأوسط، (٤٧٢٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (٣٢٢٥).

خيرهم فرقة، ثم جعلهم فرقتين، فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل، فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً، فجعلني في خيرهم بيتاً، وخيرهم نسباً، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً}[١].

رابعاً: حديث أبو سفيان عندما سأله قيصر عن الرسول ﷺ فقال: ((أنا أقربهم إليه نسباً، قال: ما قرابة ما بينك وبينه؟ فقلت: هو ابن عمي -وليس في الركب يومئذٍ أحد من بني عبد مناف غيري))[٢].

خامساً: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ))[٣].

وهذا حديث صحيح بأثبات نسب الرسول ﷺ لنبي الله إسماعيل (عليه السلام)، وفيه رد على ما زعمه البعض، ونقله ابن فندق، عن نسب الرسول ﷺ إلى إسحاق (عليه السلام)، قال ابن فندق: ((وقال قوم: أن جد المصطفى -عليه السلام- هو إسحاق؛ لأن النبي -صلى الله عليه وآله- ذكر أنسابه إلى معد بن عدنان ووقف وقال -عليه السلام- كذب النسابون بعد ذلك))[٤].

سادساً: عن الأشعث بن قيس أنه قال: ((أتَيتُ رسولَ اللهِّ ﷺ في وفدِ كِندةَ، ولا يَروني إلَّا أفضلَهُم، فقلتُ: يا رسولَ اللهِّ، ألستُمْ منَّا؟ فقالَ: نَحنُ بنو النَّضرِ بنِ كِنانةَ، لا نَقفو أُمَّنا، ولا نَنتَفي مِن أبينا، قالَ: فَكانَ الأشعثُ بنُ قيسٍ يقولُ لا أوتي

---

[١] رواه الترمذي، وقال حديث حسن، (٣٥٣٢)، ورواه أحمد، وصححه أحمد شاكر، (٣/ ٢٢٤).

[٢] رواه البخاري، (٢٩٤٠).

[٣] رواه مسلم، (٢٢٧٦).

[٤] لباب الأنساب، (١/ ٢٠٧).

برجلٍ نفى رَجلاً من قُرَيْشٍ منَ النَّضرِ بنِ كنانةَ إلَّا جَلدتُهُ الحدَّ))[١].

سابعاً: عن كليب بن وائل قال: قلت لزينب بنت أبي سلمة ربيبة النبي ﷺ: أرأيت النبي ﷺ؟ أكان من مضر؟ قالت: ((فممن كان إلا من مضر؟ كان من ولد النضر بن كنانة)) [٢].

ثامناً: عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ((استقام نسب الناس إلى معد بن عدنان))[٣].

فعن ابن عباس، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْتَهَى إِلَى مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ أَمْسَكَ، ثُمَّ يَقُولُ: كَذِبَ النَّسَّابُونَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾[٤].

أما حديث (أنا ابن الذبيحين)، فقد ورد بروايتين، الأولى قيل للرسول ﷺ: ((يا ابن الذبيحين فتبسم))[٥]، فهو حديث موضوع، والثاني ((أنا ابن الذبيحين))[٦] فلا يصح [٧].

---

[١] صححه الألباني في صحيح ابن ماجه، (٢١٣٢)، وجود إسناده ابن كثير في البداية والنهاية، (٢/ ١٨٦).

[٢] رواه البخاري، (٣٤٩٢).

[٣] قال ابن حجر العسقلاني في الفتح، (٦/ ٦١١)، (رواه الطبراني بإسناد جيد)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، (١/ ١٩٨).

[٤] قال الألباني: حديث موضوع، ضعيف الجامع، (٤١٦٦).

[٥] قال القرطبي: سنده لا يثبت، (١٨/ ٣٢)، وقال الألباني في النصيحة: لا أصل له بهذا اللفظ، (٢٧٣).

[٦] قال الألباني في السلسلة الضعيفة: لا أصل له، (٣٣١).

[٧] للفائدة: فلم يرد في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية الصحيحة، تسمية النبي ﷺ بالذبيح، ولكن العلماء (رحمهم الله تعالى) اختلفوا في هذه المسألة حسب فهمهم للقرآن على ثلاثة أقوال:

=

أسباب كثرة ادّعاء النسب الهاشمي:

النسب الهاشمي الشريف، هو مطمع للكثير من الناس، كيف لا وهو نسب أشرف الخلق محمد ﷺ، ويخطئ من يظن أن ادّعاء النسب الهاشمي هو وليد العصر، بل هو قديم جداً منذ القرون الأولى في صدر الإسلام.

وقد ذكر القاضي عياض، أنه روي عن مالك فيمن انتسب إلى بيت النبي ﷺ أنه يضرب ضرباً وجيعاً، ويشهر، ويحبس طويلاً حتى تظهر توبته، لأنه استخفاف بحق الرسول ﷺ[1]، والإمام مالك (رحمه الله)، المتوفى (١٧٩ هـ)، أي أن الادعاء للنسب الهاشمي كان خلال القرن الثاني من الهجرة، وكثيراً ما يورد النسابون في

=

الأول: هو نبي الله إسحاق، وهو اختيار ابن جرير الطبري شيخ المفسرين، وهو المروي الثابت عن عبد الله ابن مسعود والرواية الصحيحة عن عبد الله ابن عباس، وهو قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، وعن جملة من الصحابة، وعن أكثر من عشرة من سادات التابعين، على أن الذبيح هو إسحاق.

الثاني: هو نبي الله إسماعيل، وهي الرواية الثانية عن ابن عباس، والإمام أحمد، وجمع من المتأخرين كابن كثير، وابن القيم، وقد عضدوا قولهم من التوراة أيضاً، فقد ورد في (سفر التكوين ٢٢) النص الآتي: ((١ وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: ((هأَنَذَا)) ٢ فَقَالَ: ((خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ)). وهذا نص ظاهر في التحريف؛ لأن إسحاق ليس وحيده، وإنما وحيده هنا إسماعيل، لأنه هو البكر وليس إسحاق، وهذا يُشعر بأن قصة الذبيح إسماعيل كانت قبل ولادة إسحاق.

الثالث: الله أعلم بالذبيح لكثرة الاختلاف في المسألة، فكلما ترجح قول صدم بآخر وهو قول الزجاج.

[1] الشفاء، (٢/ ١١١٣).

كتبهم حديث لا يصح سنداً، في النهي عن الانتساب لآل البيت بالباطل وهو: ((لعن الله الداخل فينا بغير نسب، والخارج منا بغير سبب))[١].

وقال الفقيه الهيتمي، المتوفى (٩٧٣هـ): ((ينبغي لكل أحد أن يكون له غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه، حتى لا ينتسب إليه ﷺ أحد إلا بحق))[٢].

لذلك كان على مر العصور كثيرٌ من الناس من حاول الالتصاق به ولو بالباطل، وقد وقعت في القرن الثالث حادثة ادعاء، لولا معرفة علم النسب لراج هذا الادعاء، وقصة هذا الادعاء أن صاحب الزنج، علي بن محمد بن عبد الرحيم العبقسي من عبد القيس صلبية، المتوفى (٢٧٠هـ)، ادعى أنه من ذرية أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، وعندما خرج علي بن أحمد بن عيسى الصريح نسباً على صاحب الزنج ترك الانتساب إليه، ثم ادعى صاحب الزنج أنه علي بن محمد بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وعليٌّ بن محمد حينئذٍ حيٌ قائمٌ بالكوفة، قال ابن حزم المتوفى (٤٥٦هـ): ((فلولا علم النسب لجاز لهذا الكافر ما ادعى من هذا النسب الشريف))[٣].

ونلاحظ كثرة العشائر غير المنطقية التي تدعي الانتساب لآل البيت، وسوف نسلط الضوء على أهم الأسباب لهذه الادعاءات:

---

[١] وهو حديث موضوع ليس له سند. المقاصد الحسنة، السخاوي، (٣٩٤). والأسرار المرفوعة، ملا علي القاري، (٢٧٦). والفوائد المجموعة، الشوكاني، (٣٢٧).

[٢] الصواعق المحرقة، (٢/ ٥٣٧).

[٣] جمهرة النسب، (٢٣).

١. ادعاء البعض لهذا النسب لمصلحة دنيوية؛ من أجل الحصول على الخُمس وهذا ما نجده واضحاً في بعض العشائر.

٢. ادعاء كثيرٌ ممن ولي الحكم هذا النسب؛ لتوطين حُكمهِ ودعمهِ من قبل العشائر؛ لورود حديث تختص قريش بالخلافة، قال ﷺ: ((الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ))[١]، وهي مشروطة بإقامة الدين لقوله ﷺ: ((إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لاَ يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ، إِلَّا كَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ، مَا أَقَامُوا الدِّينَ))[٢].

٣. دخول كثير من الأحلاف للنسب الشريف أثناء حكم الأشراف للحجاز، وبمرور الزمن تناسى أمر الحلف.

٤. الاختلاط بين معنى الأشراف من العرب، كأشراف ثقيف و أشراف طئ و أشراف ربيعة، وبين الأشراف من آل البيت؛ لأن مسمى الأشراف قديماً يطلق على علو المكانة بين القبيلة من النسب أو الحسب، وقد ألّف البلاذري كتاب (أشراف العرب)، وجعل به العرب العدنانية والقحطانية.

٥. المؤتلف والمختلف في الأسماء الموجودة بأعمدة النسب في المراجع القديمة، جعلت كثيراً من الناس تربط أجدادها بأحد أحفاد الأشراف لتشابه الأسماء، وهذا واضح في كثير من العشائر التي ادعت الانتساب لآلِ البيت حديثاً.

٦. نظرة القبائل والعشائر، لكثير من القبائل التي تنزح من الحجاز إلى الدول المجاورة، نظرة إجلال واحترام، بل نظرة أن كل أهل الحجاز من أقارب الرسول ﷺ مما تتحول هذه النظرة مستقبلاً إلى شهرة.

---

[١] حديث صحيح رواه أحمد في المسند، (١٢٣٠٧).

[٢] رواه البخاري، (٣٥٠٠).

٧. الانتساب للشرافة من جهة الأُم، وهي مسألة مشهورة عند الفقهاء من السُنة، والشيعة قديماً، قال الشريف المرتضى المتوفى سنة (٤٣٦ هـ): {قال أمير المؤمنين (عليه السلام): أنت ابني حقاً (يقصد محمد بن الحنفية)، و هذان إبنا رسول اللهّ (صلى اللهّ عليه و آله)، يعنى الحسن و الحسين (عليهما السلام)، فأجرى عليهما هذه التسمية مادِحاً لهم و مفضلاً... قد كان يقال للصادق (عليه السلام) أبداً أنت ابن الصديق، لأن أمه بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر}[1]. واشتهر هذا الرأي ردحاً من الزمن، وبذلك اشتهر الكثير من الناس النسبة للأشراف عن طريق الخؤولة[2]، ولم يقتصر هذا القول على الشريف المرتضى بل هناك أقوال لعدد من الفقهاء بنسب الشرافة من جهة الأم[3].

٨. الاختلاط بين النسب، والطرق الصوفية، وهذا ما نجده واضحاً في انساب كثر من الطرق الصوفية ومثال ذلك الرفاعية، جعلت نسب رفاعي لكل من له طريقة رفاعية.

---

[1] رسائل الشريف المرتضى، (٣/ ٢٦٤).

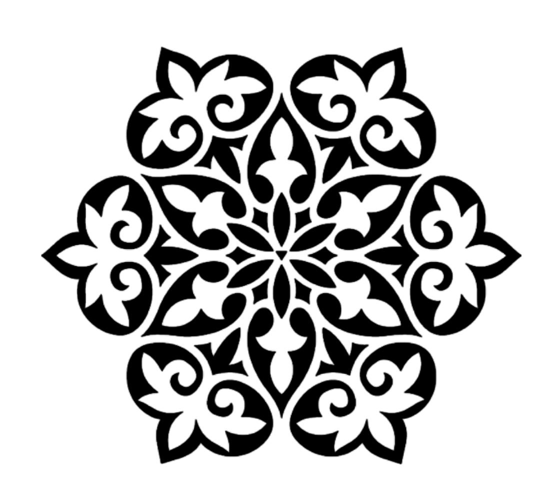
[2] ويسمى الآن عند النسابة، (ميرزا).

[3] ومن العلماء من ألّف بذلك، مثال كتاب (شرف الأسباط)، للعلامة جمال الدين القاسمي، (ت: ١٣٣٢هـ)، ، جمع في الكتاب ٢٥ فتوى تناصر هذا الرأي، وكتاب (إسماع الصُّم في إثبات الشرف من قِبَلِ الأم)، لابن أبي زيد المراكشي، (ت: ٨٠٧ هـ)، وكتاب (الإتحاف في نسبة آل الأشراف)، من تأليف الأمير القاضي عمر آغا بن يوسف آغا النمر الحنفي النابلسي، وكتاب (إسماع الصُّم في إثبات الشرف من قِبَلِ الأم) للتلمساني، (ت: ٨٤٢ هـ)، وكتاب (غاية المهتم في مسألة الشرف من جهة الأم)، للمؤرخ سليمان بن خالد صليعي الحراكي الحسيني.

٩. استثنت الدولة العثمانية خلال حكمها الأشراف من الخدمة في العسكرية، فسارعت كثير من العشائر لانتحال نسب من الأشراف للهروب من الخدمة العسكرية[١].

١٠. الحروب التي حصلت بين العشائر العربية، والمماليك، وبعد انتصار المماليك جعلوا يقتلون ويسبون النساء من القبائل العربية، ولم يستثنوا إلا الأشراف، فادّعى كثير من القبائل الانتساب للأشراف تخلصاً من هذا الظلم.

١١. الاستدلال بالحديث ((أنا جد كل تقي))[٢]، للانتساب للبيت الهاشمي، وهو حديث باطل.



[١] وهذا ما نجده في بعض الفرمانات العثمانية، بإعفاء بعض العشائر ذات النسب الهاشمي من الخدمة العسكرية والضرائب.

[٢] قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: لا أصل له، (١/ ٦٥). وسُئِل عنه الحافظ السيوطي، فقال: لا أعرفه. ذكره في كتابه الحاوي للفتاوي، (٢/ ٨٩).

الفرق بين الشريف[1] والسيد[2]:

قال حسني بن أحمد بن علي العباسي، في رسالته (الشرافة)، {أول من تسمى بالشريف، هم العباسيون، كما جاء في السير للذهبي، أن الشيخ الإمام الشريف شيخ بني هاشم أبو جعفر عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى ابن أبو جعفر المنصور، المُتَوَفَّى (سنة ٣٥٠ هـ)، أي أنه لقب بهذا اللقب في أوائل القرن الثالث، وجاء في السير للإمام الفقيه مسند العراق القاضي الشريف عمر بن القاسم بن

---

[1] حتى القرن الثالث هـجري لم يطلق على أحد من بني هاشم شريف أو سيد، ولكن يقال عباسي لذرية العباس، وعلوي لذرية الإمام علي ﷺ، الخمسة أفرع، وطالبي لذرية والده، وتيمي لآل أبو بكر ﷺ، ومخزومي بني مخزوم، وأموي لبني أمية، وعلى ذلك المنوال. وكان هذا اللفظ يطلق على كل ماجد نبيل له شأن كريم الأصل، قال ابن السكيت عن هـذا اللفظ: ((ولا يكون إلا لمن له آباء يتقدمونه في الشرف)) قال جبلة بن الأيهم:

تنصرت الأشراف من عار لطمة....... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

وتجد ذلك المعنى أيضاً مبثوثاً في الكتب والتصانيف، فقد ألف البلاذري كتاباً سمّاه (أنساب الأشراف)، ومن نظر فيه فهم المراد بلفظ (الشريف) عند المتقدمين، ولابن أبي الدنيا (الإشراف في منازل الأشراف)، وللحسن بن عتيق القسطلاني كتاب عنوانه (الإشراف على مناقب الأشراف)، و ليست هذه الكتب مقصورة على آل البيت النبوي فضلاً عن أن تكون مقصورة على ذرية علي أو الحسن و الحسين ﷺ.

[2] أول نقابة تأسست للأشراف كانت في الكوفة، (سنة ٢٥١ هـ)، بزمن الخليفة المستعين، وشملت الطالبيين والعباسيين، وأول من تولاها، أبو عبد الله الحسين النسابة، ثم انشطرت بتدخل البويهيين عام (٣٥٤ هـ)، إلى نقابتين: نقابة العباسيين، ونقابة الطالبيين، ويشرف عليهما شخص يسمى نقيب النقباء. (من محاضرات باتحاد المؤرخين العرب).

جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، عم النبي ﷺ، والمولود (سنة ٣٢٢ هـ).

أول من لقب بلقب شريف من ذرية الإمام علي رضي الله عنه، فقد جاء في تاريخ ابن الوردي (١/ ٤٤٦)، توفي أبو أحمد حسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق، والد الشريف الرضي سنة ٤٠٠ هـ}[1].

ونلاحظ أنه قال النقيب والد الشريف الرضي، فتكون أول من أطلق عليه لقب شريف من ذرية الإمام علي -كرم الله وجهه-، هو الشريف الرضي ابن النقيب أبو أحمد الموسوي، المولود سنة (٣٥٩ هـ)، والمُتَوَفَّى سنة (٤٠٥ هـ).

فيكون لقب (شريف) أطلق على ذرية العباس بن عبد المطلب قبل ذرية الإمام علي بحوالي ثلاثين سنة، مولد الشريف عمر بن القاسم بن جعفر (سنة ٣٢٢)، ومولد الشريف الرضي (سنة ٣٥٩ هـ).

واستمر هذا لمدة طويلة لحين ضعفت الدولة العباسية، وفي نفس الوقت ظهرت قوة الدولة الفاطمية، وبدأ يطلق لقب شريف لذرية الحسن والحسين فقط -رضي الله عنهما-، واستمر الحال على ذلك. (انتهى. مختصراً من رساله الشرافة).

قال السيد علوي السقاف: الواقع أنه ليس هناك فرق بينهما فكل سيد شريف، وكل شريف سيد، والمقصود بطبيعة الحال شرف وسيادة النسب، أما عند الله فـ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، وهناك من يظن أن (ذرية الحسن) يطلق عليهم الأشراف، (وذرية الحسين) يطلق عليهم السادة، وهذا الاستعمال منتشر في الحجاز، وسببه -فيما أظن- أن أهل الحجاز يطلقون على من كان من ذرية النبي ﷺ الشريف، وأهل اليمن وحضرموت يطلقون عليه السيد، ولما كان أكثر

---

[1] تاريخ ابن الوردي، (١/ ٤٤٦).

أشراف الحجاز وخاصة بمكة حسنيون، وأكثر أشراف حضرموت حسينيون، ظن بعض الناس أن هذا مرتبط بذرية الحسن، وذاك مرتبط بذرية الحسين، وهذا غير صحيح، وإلا فالحسنيون في اليمن وحضرموت يطلق عليهم السادة، و في الحجاز يطلق عليهم الأشراف، فهو مصطلح حسب البلد[١].

قال الإمام جلال الدين السيوطي: ((أن كلمة الشريف كانت تطلق في الصدر الأول على كل شخص من آل البيت سواءً كان حسينياً، أو حسنياً، أو من ذرية محمد بن الحنفية، أو من ذرية جعفر، أو عقيل، أو العباس بن عبد المطلب، ولهذا نجد تاريخ الحافظ الذهبي، مشحوناً بالتراجم الخاصة بذلك، حيث يقول الشريف العباسي، والشريف العقيلي، والشريف الجعفري، والشريف الزينبي، فلما ولي الخلافة الفاطميون في مصر، قصروا تلك الكلمة على ذرية الحسن والحسين فقط واستمر هذا الأمر في مصر))[٢].

ويقول الدكتور علي الوردي: {في العراق، وإيران، واليمن، وحضرموت، وماليزيا، وإندونيسيا يطلق لقب (سيد)، وفي مصر، والمغرب لقب (شريف)، وفي الهند، وتركيا لقب (مير)، وفي أفريقيا لقب (مولى)، أما في الحجاز فيطلق على الحسني لقب (شريف)، وعلى الحسيني لقب (سيد)}[٣].

---

[١] حوار مع السيد علوي السقاف، منشور على الأنترنت، موقع آل البيت.

[٢] العجاجة الزرنبية في السلالة الزينبية، (١٨١).

[٣] لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث، الجزء السادس.

مناقشة مصطلح العرب العدنانية:

تجدر الإشارة أن عدنان تشح الإشارات إليه في المؤلفات، أو الشعر، أو في الآثار، أو النصوص الدينية القديمة، والاستثناءات، هي بيت منسوب للبيد بن ربيعة، وبيت آخر للعباس بن مرداس، ولم يذكر بالعهد القديم[1]، ولا يصح حديث للرسول ﷺ يذكر فيه عدنان[2].

يرى بعض الباحثين، أن عدنان قد ذكر في سفر التكوين، الإصحاح إثنان وعشرون: ((وَبَنُو كُوشَ: سَبَا وَحَوِيلَةُ وَسَبْتَةُ وَرَعْمَةُ وَسَبْتَكَا وَبَنُو رَعْمَةَ : شَبَا وَدَدَانُ))[3].

وعلى هذا الرأي يكون هذا العدنان هو من سلالة كوش بن حام، وهو مخالف للمشتهر، في حين ورد أسماء مضر وربيعة بكثرة، وكانت العرب تنتسب لهما بكثرة، تلاحظ بالشعر، بالمفاخرة، وورد بعض الأحاديث بذلك، روى الزبير بن بكار عن ابن عباس قال: ((لا تسبوا مضر ولا ربيعة، فإنهما كانا مسلمين))[4].

---

[1] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، (٢/ ٣٠).

[2] فحديث ((كان إذا انتسب لم يجاوز عدنان))، قال عنه الألباني كما بينّا سابقاً موضوع، وحديث ((أنا محمد بن عبد الله ... بن عدنان))، ضعفه الألباني في ضعيف الجامع، (١٣٢٠)، وحديث ((معد بن عدنان بن ادد))، ضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، (١/ ١٩٨)، وما ورد عن عائشة -رضي الله عنها- ((استقام نسب الناس إلى معد بن عدنان)) مرسل، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، (١/ ١٩٨)، وأحاديث نسب العباس والصحابة هي أحاديث مقطوعة على محمد بن إسحاق.

[3] سفر التكوين، (١٠/ ٧).

[4] قال ابن حجر في الفتح: له شاهد مرسل، (٧/ ٢٠١).

نستنتج من ذلك أن العرب لم يعرف بها بالجاهلية الانتساب إلى عدنان، بل انتسبوا إلى جد قريب كانتساب الرسول ﷺ لقريش، الجد العاشر أو الثاني عشر حسب اختلاف النسابين، أو الانتساب لمضر وربيعه وتميم.

السؤال إذا كان إسماعيل (عليه السلام)، أبو العرب المستعربة، كيف يمكن حصر ذرية إسماعيل (عليه السلام) بابن واحد فقط يبعد عنه بعشرين جد، على أقل الروايات علماً أن إسماعيل (عليه السلام) له إثنا عشر ابن كما تذكر التوراة، وتذكر أسمائهم[١]، وكيف يمكن حصر ذرية إسماعيل (عليه السلام) بالحجاز فقط، وذريته كانت نسلاً كثيراً؛ لأن أولاده الإثنا عشر ولداً قد باركهم الله ليكثروا كما تذكر التوراة: ((وقال لها ملاك الرب تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة))[٢]. وورد أيضاً في التوراة: ((وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً))[٣].

وتذكر التوراة أنهم انتشروا بالأرض، كما أشارت التوراة إلى أماكن سكناهم بقولها: ((وَسَكَنُوا مِنْ حَوِيلَةَ إِلَى شُورَ، الَّتِي أَمَامَ مِصْرَ، حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ أَشُّورَ، أمام جميع أخوته نزل))[٤]، يعني أن منازلهم كانت شمالي اليمن في تهامة، والحجاز، ونجد، وما وراء ذلك شمالاً إلى مشارف الشام، وتُظهر الآية بوضوح أن الإسماعيليين البدو، ترحّلوا عبر شمال بلاد العرب ما بين شبه جزيرة سيناء، وبلاد

---

[١] سفر التكوين، (١٨:٢٥).

[٢] سفر التكوين، (١٠ : ١٦).

[٣] سفر التكوين، (١٧:٢٠).

[٤] سفر التكوين، (٢٥:١٨).

ما بين النهرين[1].

يشير أحد الباحثين إلى أن بني قيدار بن إسماعيل، نجد لهم ذكراً لأول مرة في سجلات آشورية تعود إلى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، ونجد لهم في القرن السابع قبل الميلاد، أما قبل ذلك الوقت فكانوا يعيشون في منطقة بعيدة عن اليهود إذ كانوا يعيشون عند الحافة الغربية للهلال الخصيب.

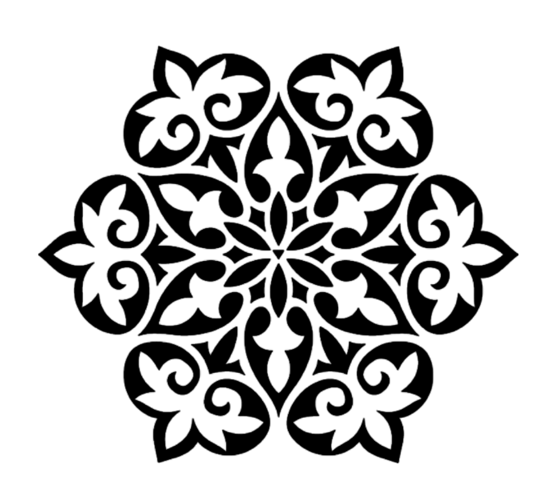
يقول الأستاد جواد: ((ولم أجد في الشعر الجاهلي هذه القحطانية والعدنانية التي يراها أهل النسب والأخبار، وأقصى ما وجدته فيه قصيدة للأخنس بن شهاب بن شريق التغلبي، حوت أسماء قبائل، وأسماء مواطنها ومواضعها، هي: (معد) و(لكيز) و(بكر) و(تميم) و(كلب) و(غسان) و(بهراء) و(إياد) و(لخم)، وهي قبائل بعضها عدنانية وبعضها قحطانية في اصطلاح أهل النسب، إلا أنني لم أجد فيها أسماء آباء هذه القبائل ولا أجدادها، ولم أستطع أن أفهم منها أن هذه القبيلة، هي قبيلة عدنانية، وأن تلك قبيلة قحطانية، فقد جاءت الأسماء متداخلة وكل ما وجدته فيها مما يخص النسب، هذا البيت:

فوارسها من تغلب ابنة وائل ... حماة كماة ليس فيها أشائب

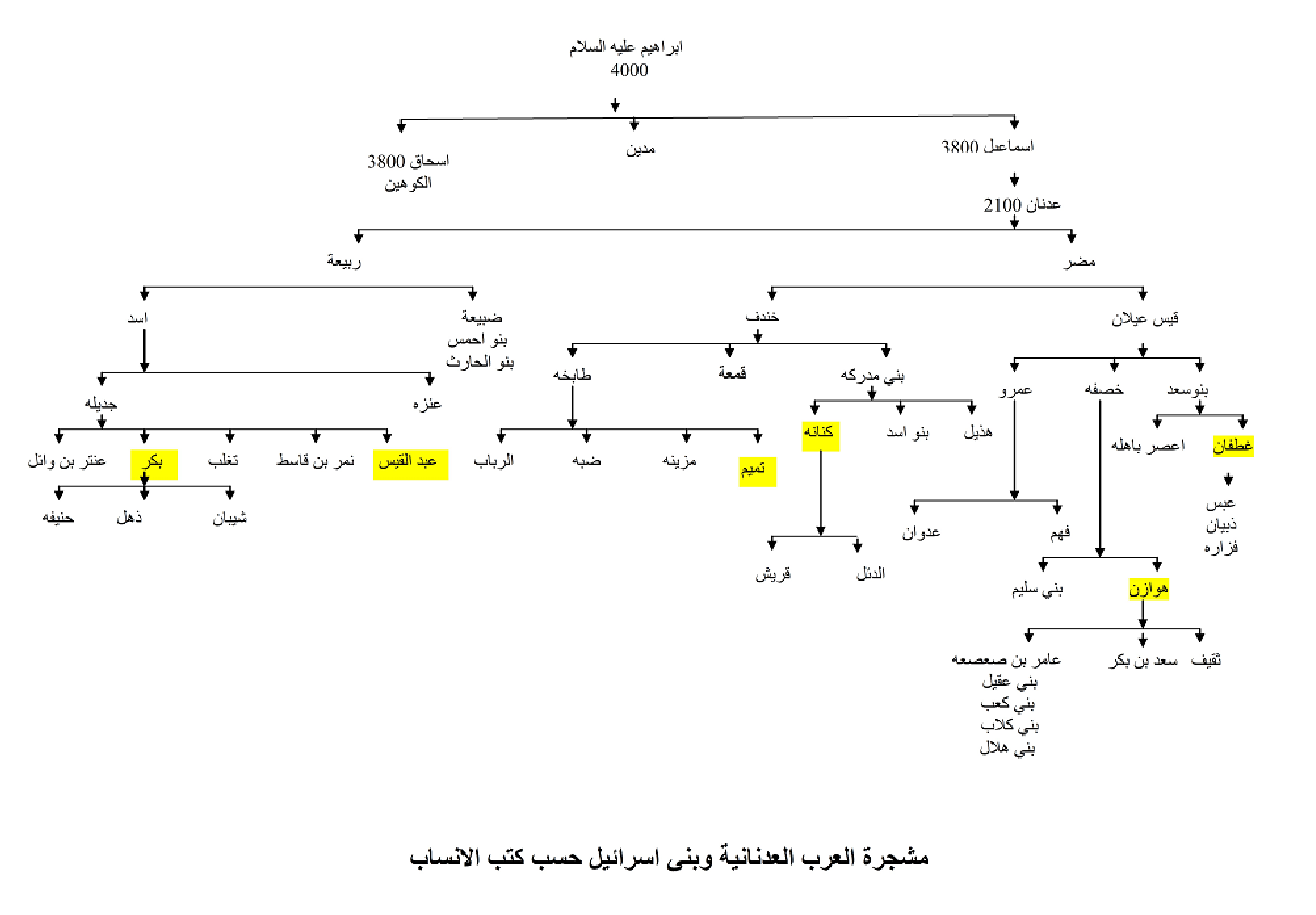
---

[1] شرح معاني الكتاب المقدس، كلمة (حويلة).

ولم يرتفع الأخنس بنسب تغلب إلى ما وراء وائل من آباء وأجداد، والحق أن من يقرأ هذه القصيدة دون أن يقرأ اسم صاحبها، يرى إنها من قصائد الشعراء المتكلفين، الذين ظهروا في أيام الدولة العباسية، ولن يخطر بباله أبداً أنها من نظم شاعر جاهلي، وأنا أريد أن أتجاسر فأقول: إني أشك في صحة نظم ذلك الشاعر وهذه القصيدة، وأسلوب نظمها يأبى أن يرجعها إلى ذلك العهد))[1].



[1] المفصل، (١/ ٤٧٩).



شكل (٩) مشجرة العرب العدنانية وبني إسرائيل حسب كتب الأنساب

هل إبراهيم (عليه السلام) عربي[1]؟

إن القول بأن إبراهيم (عليه السلام) ليس عربي، هو شبه إجماع المؤرخين القدامى، وسوف نذكر الأدلة التي أوردها المؤرخون للاستدلال على ذلك:

أولاً: حديث أبو ذر قال ﷺ: ((... وأربعة من العرب، هود، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر))[2]، لم يذكر الحديث نبي الله إبراهيم (عليه السلام).

الحديث إذا كان صحيح فقد كفينا، وإن كان ضعيف فأنا أحتج به، كقول تاريخي موجود خلال القرون الثلاث الأولى، لأن راوي الحديث هو ابن حبان، الْمُتَوَفَّى (سنة ٣٥٤ هـ)، ولم ينكر أحد من المؤرخين ذلك بل أن علماء الحديث لم

---

[1] هناك من يرى أن إبراهيم (عليه السلام)، من الآموريين الذيم هاجروا من الجزيرة العربية، واستقروا على ضفاف الفرات شمال سوريا، ثم هاجروا للعراق، وحكموا العراق (٢٧٠ سنة). كتاب بلادنا فلسطين، مصطفى الدباغ، (١/ ٤١٤).

قال أحمد سوسة، نقلاً عن دايشيش من كتابه (اليهود في بابل): ((إن أسرة إبراهيم الخليل كانت قد جاءت إلى بلاد بابل من أرض كنعان التي كانت وطنها الأصلي، وهذا لا يغير كون وطن إبراهيم الأصلي هو جزيرة العرب، لأن الكنعانيين والعموريين ((الآموريين)) والآراميين كلهم نزحوا من جزيرة العرب في الأصل)). كتاب العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة، (٢٥٢).

وعلى هذا القول سيكون إبراهيم من ضمن القبائل العربية، لكن ليست عربية قحطان بل العرب البائدة، كما يسميها النسابة أو (الساميين) يقول الأب إسحاق سكا في معنى التسميات للشعوب السامية، وفي تأكيد رأيه أن الآراميون هم السريان: (ضبط اللفظ: الآراميون (السريانيون) قبائل سامية شمالية ترتقي في نسبها إلى آرام وآشور إبني سام بن نوح). العربي، عدد (٩١)، (٤٨).

[2] رواه ابن حبان وصححه برقم (٣٦١)، وأبو نعيم في الحلية، (١/ ٢٢١)، وضعفه، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية، (٢/ ١٤٠)، وضعفه، وكذلك ضعفه السيوطي في الدر المنثور، (٥/ ١٣٢).

يضعفوا الحديث بعلة بالمتن بل بعلة في السند، فيبقى هذا قول تاريخي قديم معروف بين العلماء لم ينكره أحد.

ثانياً: إن إسماعيل لم يكن يتكلم العربية في بداية حياته، بل تعلمها من جرهم، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- قال النبي ﷺ: ((فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم))[1].

قال الحافظ ابن حجر: قوله: (وتعلم العربية منهم)، فيه إشعار بأن لسان أمه وأبيه لم يكن عربياً، وفيه تضعيف لقول من روى أنه أول من تكلم بالعربية، وقد وقع ذلك من حديث ابن عباس عند الحاكم في المستدرك بلفظ: (أول من نطق بالعربية إسماعيل)، وروى الزبير بن بكار في النسب من حديث علي بإسناد حسن قال: ((أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل))[2]، وبهذا القيد يجمع بين الخبرين فتكون أوليته في ذلك بحسب الزيادة في البيان لا الأولية المطلقة، فيكون بعد تعلمه أصل العربية من جرهم ألهمه الله العربية الفصيحة المبينة فنطق بها، ويشهد لهذا ما حكاه ابن هشام عن الشرقي بن قطامي: ((إن عربية إسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب بن قحطان وبقايا حمير وجرهم، ويحتمل أن تكون الأولية في الحديث مقيدة بإسماعيل بالنسبة إلى بقية إخوته من ولد إبراهيم،

---

[1] صحيح البخاري، (٣٣٦٤).

[2] صححه الألباني في صحيح الجامع، (٢٥٨١)، إلا أن غيره ضعفه؛ لأن مدار الحديث على مسمع بن عبد الملك، وهو ضعيف.

فإسماعيل أول من نطق بالعربية من ولد إبراهيم))[1]، قال ابن سلام الجمحي: ((أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه إسماعيل عليه السلام))[2]، قال الشيخ المنجد: ((لم يثبت عن النبي ﷺ تحديد أول من تكلم بالعربية، ولم ترد بذلك الأسانيد التي تقوم لها قائمة))[3]، وقد جمع بعض العلماء بين الحديثين، فقال العيني: ((قلت: لَيْسَ فِيهِ تَضْعِيف، ذَلِك لِأَن الْمَعْنى أول من تكلم بِالْعَرَبيَّةِ من أَوْلَاد إِبْرَاهِيم، إِسْمَاعِيل، عَلَيْهِمَا الصَّلَاة وَالسَّلَام، لِأَن إِبْرَاهِيم وَأَهله كلهم لم يَكُونُوا يَتَكَلَّمُونَ بِالْعَرَبِيَّةِ، فالأولية أَمر نسبي، فبالنسبة إِلَيْهِم هُوَ أول من تكلم بِالْعَرَبِيَّةِ لَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى جرهم))[4]، وقيل أن المقصود أول من تكلم بالعربية الفصحى، وليست لغة (حمير) أي لغة أهل اليمن.

ثالثاً: إن إبراهيم (عليه السلام)، كان سرياني اللسان، يقول المؤرخ المسعودي: ((أن إبراهيم الخليل سرياني اللسان))[5]، ويذكر المؤرخون أنه من القبائل الآرامية، وقيل وهو قد أرسل أولاً إلى أهل بابل، الذين كان يتملك عليهم النمرود وكان يسكنها الكلدانيون[6]، روى الطبري عن ابن عباس قال: ((لما هرب إبراهيم من كوثى وخرج من النار، ولسانه يومئذ سرياني، فلما عبر الفرات من

---

[1] فتح الباري، (٦/ ٤٠٣).

[2] طبقات فحول الشعراء، (١/ ٩).

[3] موقع الإسلام سؤال وجواب، (٢٤٢٦٥٩).

[4] عمدة القاري، (١٥/ ٢٥٨).

[5] التنبيه والأشراف، المسعودي، (٧٠).

[6] البداية والنهاية، ابن كثير، (١/ ١٦٥).

حران غير الله لسانه، فقيل عبراني، أي حيث عبر الفرات وبعث نمرود في أثره وقال لا تدعوا أحداً يتكلم بالسريانية إلا جئتموني به، فلقوا إبراهيم عليه السلام، فتكلم بالعبرانية فتركوه، ولم يعرفوا لغته))[١].

رابعاً: إن إبراهيم إسم أعجمي ويدل عليه أنه باللغة العربية ممنوع من الصرف بسبب العجمة.

خامساً: معروف أن العرب هم ذرية سبأ، الذين سكنوا اليمن، وافترقوا بين الديار في حين أن إبراهيم عليه السلام من أهل العراق، وليس له علاقة بحمير وكهلان.

قال ابن منظور: ((وروي عن ابن الأعرابي أنه قال: سأل رجل علياً عليه السلام، فقال: أخبرني يا أمير المؤمنين عن أصلكم، معاشر قريش، فقال: نحن قوم من كوثى، واختار ابن منظور القول (كوثى العراق) لأنه قال فإنا نبط من كوثى، ولو أراد كوثى مكة، لما قال نبط، إنما أراد (عليه السلام)، إن أبانا إبراهيم كان من نبط كوثى وأن نسبنا إنتهى إليه))، قال ابن عباس: نحن معاشر قريش حي من النبط، من أهل كوثى، والنبط من أهل العراق، قال أبو منصور: وهذا من علي، وابن عباس، عليهم السلام، تبرءوا من الفخر بالأنساب، وردع عن الطعن فيها ، وتحقيق لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٢].

---

[١] تاريخ الطبري، (١/ ٢١٨).

[٢] لسان العرب، ابن منظور، مادة (كوث).

سادساً: إن إبراهيم هو أبو إسماعيل (جد العرب العدنانية)، وأبو إسحاق (جد بني إسرائيل)، فإذا كان إبراهيم عربي، لزم أن يكون بني إسرائيل من العرب، وهذا لم يقل به أحدٌ لا من المتقدمين ولا المتأخرين، ولا اليهود أنفسهم، بل كتب التوراة تسب وتشتم بالعرب.

بنو إسرائيل واليهود[١]:

يعتبر نبي الله إبراهيم (عليه السلام)، هو أبو العرب من جهة إسماعيل، وأبو اليهود من جهة يعقوب. يذكر الطبري أن إبراهيم (عليه السلام)، ولد في حران، ولكن معظم الروايات التاريخية تشير إلى أنه ولد في أور القريبة من بابل، كما ذكر ابن كثير في عهد النمرود بن كنعان بن كوش بن حام (ملك شنعار وهي بابل على الأرجح) سنة (١٩٠٠) قبل الميلاد، كما تذكر التوراة. وهناك تضارب كبير في الروايات حول تاريخ ولادته، وجميعها ينحصر في الفترة بين (١٨٥٠-٢٣٢٤) قبل الميلاد، كما تذكر مصادر أخرى أنه (عليه السلام) عاش (٢٠٠ سنة).

له ثلاث زوجات، سارة (وتصغره بعشر سنوات، وأنجبت له إسحاق وهي بعمر ٨٩ سنة)، وهاجر المصرية، (وأنجبت له إسماعيل، وهو أبو العرب العدنانية)، وقطورة وهي من الكنعانيين، (ذكر هاكوهين أن أبنائها هاجروا شرقاً وأصبحوا آباء الديانات الهندوسية والبوذية والشنتو)[٢]، وذكر الطبري أن مدين[٣] من ولد قطورة[٤].

---

[١] هناك فرق واضح أن اليهود ليسوا كلهم من بني إسرائيل، لأن بني إسرائيل هم قبيلة من نسل إسحاق (عليه السلام)، أما اليهود فهو دين اعتنقه كثير من الأُمم وخاصة بجزيرة العرب.

[٢] منقولة من موسوعة ويكيبيديا.

(Donmeh West - "Commentary on Rabbi Azriel of Gerona's12th Century)

[٣] وهم قبيلة من العرب، سكنوا صحراء النقب، وقيل أنهم (أصحاب الأيكة) الذين ذكروا بالقرآن الكريم، ويقال أن نبي الله شعيب من ذريته.

[٤] تاريخ الطبري، (١/ ٢١٨).

فقد نقل الشوكاني إجماع المفسرين على أن إسرائيل هو يعقوب، وقد استدل ابن كثير لذلك بالحديث الذي يخاطب الرسول ﷺ فيه اليهود: هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب (عليه السلام)، مرض مرضاً شديداً فطال سقمه، فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه، وأحب الطعام إليه، فكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها، فقالوا: اللهم نعم))[1].

عن ابن عباس: ((لم يكن من الأنبياء من له اسمان إلا إسرائيل وعيسى فإسرائيل، يعقوب وعيسى، المسيح))[2].

وإسرائيل معناه بالعبري عبد الله، عاش (١٤٧ سنة)، ودفن في مصر، وتنفيذاً لوصيته نقله ابنه يوسف (عليه السلام) إلى فلسطين، ولد سنة (١٧٥١) قبل الميلاد بفلسطين، وتوفي سنة (١٦٠٤) قبل الميلاد، وبني إسرائيل يطلق على أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام) الإثنا عشر، ويعرفون باسم القبائل الإثنا عشر، وهم الأسباط:

١. يوسف، وبنيامين أخو يوسف الشقيق المذكور في القرآن الكريم، وهم أولاد راحيل التي أحبها أكثر من كل شيء كما تذكر التوراة.

---

[1] رواه أحمد في المسند وصححه أحمد شاكر، (٤/ ١٧٦)، وضعفه الوادعي في صحيح أسباب النزول، (٢٢)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، (٦/ ٣١٧).

[2] رواه الحاكم، وصححه، (٣٤١٥).

٢. روبين إبنه الأكبر، ويهودا، ولاوي، وشمعون، وزبولون، وياساكر، وبنتاً واحدة اسمها دينا، وأمهم، ليا بنت لابان وهي أخت راحيل وابنة خال يعقوب.

علماً أن اللاويين (Levites) ومعناها الكهنة، بعد خروج العبرانيين من مصر، وقع الاختيار على أبناء اللاويين لخدمة التابوت المقدس، وذلك لأنه عندما نقض بقية الشعب العهد مع الرب وصنعوا العجل الذهبي ليعبدوه، رجع اللاويون وحدهم من تلقاء أنفسهم إلى عبادة الله لذلك ظلت كهنة المعبد محصورة بسبط لاوي، كان اللاويون ينقسمون إلى أربعة أقسام: مساعدو الكهنة، القضاة والكتبة، البوابون، والموسيقيون، ولما انحلت المملكة الشمالية، نزح اللاويون إلى يهوذا في الجنوب وأرشليم، وكان سفر باسمهم وهو قانون يوضح العلاقة بين الله وشعبه، كالأضاحي والطهارة والنجاسة وشريعة القداسة.

واللاوي، هو الوحيد الذي رفض فكره قتل يوسف (عليه السلام)، ومن نسله كان نبي الله هارون وموسى (عليهما السلام).

٣. دان، ونفتالي، وأمهما، بيلها.

٤. جاد، وعشير، وأمهما، زيلفا.

تاريخ بني إسرائيل[1]:

١. عاش إسرائيل وبنوه في فلسطين عام (٢٠٠٠) قبل الميلاد، وبسبب المجاعة انتقلوا إلى مصر سنة (١٧٠٦) قبل الميلاد، في عهد يوسف (عليه السلام).

ولكن بني إسرائيل أَبَوا أن يندمجوا مع المصريين، فعزلوا أنفسهم عنهم، وتواصوا فيما بينهم أن يكون لكل سبط نسله المعروف المميز عن بقية الأسباط، وذلك ليضمنوا الاحتفاظ بنسبهم؛ اعتزازاً به، وتعالياً على غيرهم، باعتبار أنهم من ذرية الأنبياء وبقوا أربعمائة سنة تقريباً في مصر، و عانوا هناك من اضطهاد الفراعنة.

٢. أرسل الله موسى (عليه السلام)، ولد موسى عام (١٤٩٠) ق.م، ولد بعد (٦٤) سنة من وفاة يوسف (عليه السلام)، أي بعد (٤٢٥) سنة من ميلاد إبراهيم، وبعد (٢٥٠) سنة من وفاته)، لبني إسرائيل ليخلصهم من اضطهاد الفراعنة، وعبر بهم بحر القلزم (البحر الأحمر)، وبالضبط عند خليج العقبة كما يذكر بعض الباحثين (وقيل نهر النيل وهو قول بعيد)، وأنجى الله موسى وبني إسرائيل، وإغرق فرعون سنة (١٤٩١) قبل الميلاد، تُعرف تلك الفترة باسم فترة التيه، (حيث ضاع اليهود في صحراء سيناء أربعين عاماً، عاقبهم بها الله تعالى بسبب رفض بني إسرائيل القتال، من أجل نشر عقيدة التوحيد في الأرض)، وخلال فترة التيه توفي هارون (عليه السلام)، وبعده بزمن قصير توفي موسى (عليه السلام)، ودفنوا في سيناء، وبخروج موسى من مصر يبدأ تاريخ العبرانيين

---

[1] مجمع من عدة مقالات في الوكيبيدية

على رأي البعض، في حين يرى البعض الآخر أن العبرانيين نسبة إلى إبراهيم (عليه السلام)، لأنه هاجر من العراق إلى فلسطين عابراً نهر الاردن.

٣. وصلوا بعدها إلى فلسطين بقيادة يوشع بن نون بن أفراهيم بن يوسف، بعد إن انتصر على الكنعانيين خلال الفترة (١٢٠٠-١٢٥٠) قبل الميلاد.

٤. بعد ذلك حكم اليهود عهد القضاة (أشبه ما يكونوا شيوخ عشائر)، ثم بعد ذلك عهد الملوك، ويعود الفضل الحقيقي في تأسيس المملكة إلى داوّد (عليه السلام)، حيث قَتَلَ داوّد (عليه السلام) جالوت أمير العماليق، وبعده جاء نبي الله سليمان (عليه السلام).

٥. وبعد وفاة سليمان (عليه السلام)، انقسمت مملكة إسرائيل إلى مملكتين:

المملكة الشمالية: (مملكة إسرائيل): وتكونت من ذرية الأسباط العشرة، وعاصمتها نابلس، وهم الذين يسمون السامريين، نسبة إلى جبل (شامر)، وهم الذين غيروا القبلة من بيت المقدس إلى جبل جرزيم، ويعتبرهم اليهود كفار لتغيير قبلتهم، استمرت دولة إسرائيل مستقلة لها سيادتها على أرضها قرابة (٢٤٤ عاماً)، حيث سقطت بعدها في يد الآشوريين زمن ملكهم سرجون الثاني، وسبى سبع وعشرون ألف من سكانها عام (٧٢٢ ق. م) تقريباً، فسبي شعبها، وأسكنهم في العراق، وأتى بأقوام من خارج تلك المنطقة وأسكنهم إياها، فاعتنقوا فيما بعد ديانة بني إسرائيل، وبذلك تمَّ القضاء على تلك الدولة، ويعتبر السامريون المعاصرون أنفسهم من أنسال هذه المملكة القديمة.

المملكة الجنوبية: تحت رئاسة قبيلة يهودا نسبة إلى السبط يهوذا، الذي من نسله داود وسليمان (عليهما السلام)، وتكونت من سبطين من بني إسرائيل خلال فترة (٩٢٨ـ ٧٩٥) قبل الميلاد، وعاصمتها القدس، كانت أكثر استقراراً من المملكة الشمالية، لصغر حجمها، وقلة أهميتها، وفقرها، وبُعدها عن طرق الجيوش الغازية، ظَهَر فيها معظم الأنبياء، كما دُوِّن فيها معظم نصوص العهد القديم.

عاشت فترة أطول من المملكة الشمالية (٣٦٢ عاماً)، ثم سقطت بأيدي فراعنة مصر عام (٦٠٣ ق.م) تقريباً، وفرضوا عليها الجزية، وامتدَّ حكم الفراعنة في ذلك الوقت إلى الفرات، ثم جاء بعد ذلك حاكم بابل الكلداني بختنصر، واسترجع منطقة الشام وفلسطين، وطرد الفراعنة منها.

غزاها نبوخذ نصر ملك بابل، سنة (٦٠٦) قبل الميلاد، وتغلب عليها ودفعت له الجزية، ثم ثارت مرة أُخرى فغزاها سنة (٥٩٧) قبل الميلاد، فسبى من شعبها عشرة الآف من بينها أعيانها، وأشرافها، وكنوز الهيكل، وثارت مرة أخرى، فأتاها هذه المرة سنة (٥٨٦) قبل الميلاد، وهدم أسوارها، وأحرق الهيكل، وسبى اليهود إلى بابل.

ثم إنَّ الدولتين كان بينهما عِداء وقتال، وكان يحدث في بعض الفترات من تاريخهما توافق وتعاون، وكانت دولة إسرائيل كثيرة القلاقل والفتن وتغيَّرت الأسرة الحاكمة فيها مراراً عديدة، وكانت تقع على الدولتين حروب من جيرانهم

الآراميين، والفلسطينيين، والأدوميين[١]، والموآبيين[٢]، كما أن الدولتين وقع من حكامهما وشعبيهم عبادة للأصنام في كثير من الأوقات، وخاصة دولة إسرائيل واليهود السامريين.

بسبب غزوات الآشوريين والكلدانيين اختفت دولة اليهود في فلسطين، بعد أن عاشت أربعة قرون (١٠٠٠ - ٥٨٦ ق.م) كانت حافلة بالخلافات والحروب والاضطرابات.

خلت فلسطين من اليهود بعد سقوط القدس، عاش اليهود في الأسر خمسين سنة في بابل، قلدوا فيها عادات البابليين وأخذوا عنهم الكثير من شعائرهم، وآدابهم، واشتركوا في وظائف الدولة تحت رقابة البابليين.

٦. بعد استيلاء الفرس، بقيادة قورش سنة (٥٣٨ ق. م) على بابل سمح لليهود بالعودة إلى بيت المقدس وبناء هيكلهم، لكن الغالبية منهم فضلت البقاء في بابل، وقد لاقى اليهود على يد الفرس معاملة حسنة.

٧. في سنة (٣٣٢) قبل الميلاد، زحف الإسكندر المقدوني اليوناني، على بلاد الشام وفلسطين واستولى عليها، وأزال حكم الفرس، بل استولى على بلادهم وبلاد

---

[١] الإدوميين: هم قبائل بدوية كانت تقطن في صحراء النقب، وجزء من الإردن، منطقة جنوب البحر الميت تحديداً، وقد اقاموا مملكة عرفت باسم إدوم، ترجع إلى القرن ال٢٠ ق.م، غير ان إزدهارها كان بين القرن ال١٣ قبل الميلاد إلى القرن ال١١ قبل الميلاد، ووفقاً للمصادر اليهودية ادوم هو عيسو ابن اسحاق بن إبراهيم وشقيقه التوأم هو يعقوب.

[٢] موآب: هو ابن ابنة لوط الكبرى، الذي حبلت به من أبيها، بعد تدمير سدوم، ودعت اسمه "موآب" أي "من الآب" وهو رأس الموآبيين.

مصر والعراق، فدخلت هذه المناطق تحت حكمهم من نهاية القرن الرابع قبل الميلاد إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد.

٨. بعد وفاة الإسكندر (٣٢٣) قبل الميلاد، اقتسم قواده الملك، فحكم سلوقس سورية وأسس فيها دولة السلوقيين، وحكم بطليموس مصر وأسس فيها دولة البطالسة، وكانت يهوذا من نصيب البطالسة، وحكم البطالسة اليهود رغم مقاومتهم العنيفة التي أكرهت بطليموس الأول على هدم القدس ودك أسوارها، وإرسال مائة ألف أسير من اليهود إلى مصر سنة (٣٢٠) قبل الميلاد.

٩. زحف بعد ذلك على البلاد القائد الروماني (بومبي) سنة (٦٤ ق. م) واحتل بيت المقدس وخرب معظم بناءها، وأزال حكم اليونانيين عنها، فدخل اليهود تحت حكم الرومان وسيطرتهم، سمح الرومان بإنشاء حكم ذاتي ونصبوا هيرودس الأدومي حاكم لها سنة (٣٧) قبل الميلاد، وكان قد اعتنق اليهودية، وفي سنة (١٩ق.م) رغب (هيرودس) في بناء الهيكل، وقد شهدت البلاد نوعاً من الاستقرار والهدوء طوال عهد هيرودس[1]، الذي ظل يحكم هذه البلاد باسم الرومان حتى وفاته سنة (٤م).

١٠. حكم بيلاطس البنطي الروماني المقاطعة اليهودية، خلال الفترة (٢٦-٣٦) ميلادية وفي عهده وبين الفترة (٣٠-٣٣) ميلادية، شبه له أنه صلب المسيح (عليه السلام)، ليس عن قناعة بذنبه بل خوفاً من اليهود أن يرفع الأمر إلى الإمبراطور واتهامه بالخيانة العظمى.

---

[1] يعتبر في المسيحية طاغياً، إذ يذكر إنجيل متى أنه أمر بذبح كل مواليد بيت لحم، عندما علم أن المسيح قد وُلد فيها، وفي عهد ابنه أنتيباس أعدم الرسول يوحنا المعمدان يحيى (عليه السلام).

١١. وفي عهد الإمبراطور نيرون[1]، بدأ اليهود في التمرد على حكم الرومان فقام أحد قادة الرومان- وهو (تيتوس) باحتلال القدس في (سنة ٧٠م)، وحرق الهيكل، فلما علم اليهود بهدم الهيكل مضوا وأحرقوا كل ما كان بالقدس من قصور جميلة مع ما فيها من ذخائر وأموال، فرد عليهم تيتوس بقتل الكثير من اليهود، حتى قيل إن عدد القتلى بلغ أكثر من مليون، ودمر المدينة بالكامل، وأخذ اليهود عبيداً يباعون في روما، وهنا بدأ تواجدهم في أوروبا.

فلما تولى هادريان عرش الرومان، سنة (١١٧ – ١٣٨) ميلادية، حول المدينة مستعمرة رومانية، وحظر على اليهود الاختتان، وقراءة التوراة، واحترام السبت، فثار اليهود بقيادة باركوخيا سنة (١٣٢) ميلادية، واستمرت ثلاث سنوات، فأرسلت روما الوالي يوليوس سيفيروس، فاحتل المدينة وقهر اليهود وقتل باركوخيا، وذبح من اليهود (٥٨٠) ألف نسمة، وقام بتأسيس مستعمرة رومانية جديدة أطلق عليها (إيليا كابيتولينا)، وحرم على اليهود دخول هذه المدينة، وبنى وهيكل وثني أسماه جوبيتر وظل الهيكل على هذا الوضع حتى ظهور المسيحية.

تقول الباحثة اليهودية سمدار: ((بعد فشل تمرد باركوخيا حرص الرومان بطمس الهوية اليهودية لمدينة أورشليم بكل الطرق، ومن ضمن هذا المخطط فغيروا اسم العاصمة من أُرشليم إلى (إلياء كابيتولينا)، واسم بلادنا من إسرائيل

---

[1] وهو الإمبراطور الروماني الخامس والأخير في عهد الإمبراطورية الرومانية، وهو الذي أحرق روما، وأراد ان يتهم اليهود الذين كانوا تحت حماية إحدى زوجاته، فاتهم المسيحيين الجدد وقام باضطهادهم وقتلهم خلال هذه الفترة.

إلى (فلسطينة)، ومن هنا الاسم (فلسطين)، لكن من يقرأ التأريخ بصورة غير إنتقائية يفهم بسهولة أن الأصل هو إسرائيل))[١].

وتشتت الأحياء من اليهود في بقاع الأرض، ويسمى هذا العهد بعصر (الشتات) أو (Diaspora)، أي أن الشتات هو من فعل الرومان، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾[٢].

ظل الرومان يمنعون اليهود من دخول القدس، حتى تولى الإمبراطور قسطنطين الأول[٣] المتوفى (٣٣٧م) في بداية القرن الرابع الميلادي، والذي اعتنق المسيحية، وأعاد للمدينة اسمها القديم أورشليم القدس، وأجبر اليهود في القدس على اعتناق المسيحية، فتظاهر بعضهم بالنصرانية، ولكنهم ظلوا على يهوديتهم، ولما امتنع بعض اليهود أن يتنصروا قتلهم، وهدم الهيكل الوثني الذي أقامه الرومان بدلاً من هيكل اليهود.

وأصبحت القدس تغلب عليها الصبغة الدينية المسيحية، بعد أن كانت منذ عهد داوّد وابنه سليمان (عليهما السلام) ذات صبغة يهودية، وقد تأكدت تلك الهوية الجديدة عندما قامت الملكة (هيلانة)، والدة الإمبراطور قسطنطين، سنة

---

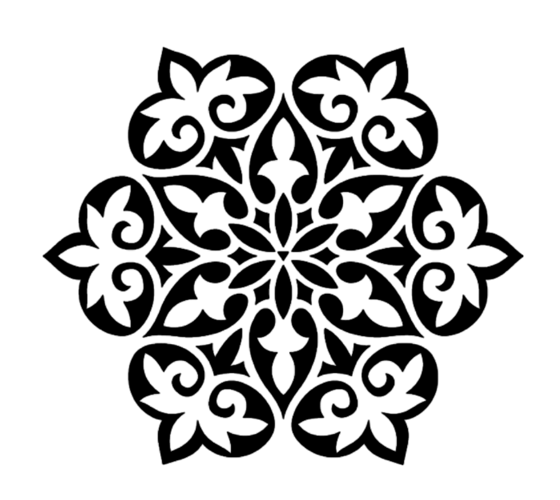
[١] رسالة خاصة من سمدار عبر الإيميل.

[٢] سورة الأعراف: من الآية: (١٦٨).

[٣] وفي عهده أصبحت المسيحية دين الأمبروطورية الرومانية.

(٣٣٥م) بزيارة القدس، وأمرت بهدم المعبد الذي بناه الوثنيون على جبل (الجلجلة)، وأمرت ببناء (كنيسة القيامة) التي يحج إليها المسيحيون حتى الآن.

١٢. وفي سنة (٥٩١م) استولى الفرس على الشام، وظلت بلاد الشام في أيدي الفرس إلى سنة (٦٢٨م)، عندما استعادها هرقل (ملك الروم) ودخل بجيوشه إلى القدس. واستمرَّت فلسطين خاضعة للحكم الروماني إلى أن فتحها العرب المسلمون سنة (١٥هـ = ٦٣٦م)، بقيادة (أبي عبيدة بن الجراح)، في عهد أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب رضي الله عنه).



تقسيم اليهود:

١. **السفارديم:** هم الذين تعود أصولهم الأولى ليهود (أيبيريا)، وهم يهود إسبانيا، والبرتغال، الذين طردوا منها مع طرد المسلمين من الأندلس في (١٤٩٢م)، وتفرقوا في شمال أفريقيا وآسيا الصغرى والشام.

٢. **الأشكناز:** هم اليهود الذين ترجع أصولهم إلى أوروبا الشرقية، ويشكلون (٧٤ بالمائة) من اليهود .

٣. **المزراحيون أو مزراحيم:** وهم يهود الشرق الأوسط بالتحديد، ويشملون يهود العراق، وكردستان، وإيران، والهند، وسوريا، والجزيرة العربية.

تقول الباحثة سمدار: ((يهود دول المغرب، أيّ يهود المغرب، وليبيا، وتونس، والجزائر، أيضاً يعتبرون مزراحيم))[1].

٤. **تيمانيم:** هم اليهود الذين ينحدرون من أصول يمنية، تضاربت الروايات حول قصة وجودهم، روايات الإخباريين تقول أن أسعد الكامل[2]، نشر اليهودية في اليمن باستقدامه رجال دين يهود من يثرب، ورواية تقول أنهم بقايا السبئيين الذين اعتنقوا اليهودية مع الملكة بلقيس، رواية اليهود اليمنيين أنفسهم تقول، أن النبي إرميا أرسل (٧٥ ألف) شخصاً من سبط لاوي إلى اليمن.

---

[1] من رسالة خاصة من سمدار عبر الإيميل.

[2] أحد ملوك مملكة حمير اليمنية، الملقب بملك سبأ، وحضرموت، وريدان تولى الحكم (٣٧٨) ميلادي، وكان يهودياً.

٥. **الفلاشا:** يهود الحبشة، معظمهم حالياً من أصول أثيوبية، وأغلبهم تحولوا للنصرانية طوعاً أو كرهاً.

انتشار اليهودية في بلاد العرب:

ذكر ابن قتيبة في حديثه عن أديان العرب في الجاهلية، أن اليهودية كانت في قريش، وبني عتيبة، وبني الحارث بن كعب، وعيال وايلة، وبعض قضاعة، وذكر نفس الأمر ابن حزم الأندلسي الظاهري، في جمهرة أنساب العرب، عند حديثه عن نفس الموضوع، وبالمثل ياقوت الحموي في معجمه.

اختلط الدين اليهودي بقبيلة بني إسرائيل، وأصبح مدلولاً واحداً من الصعب التفريق بينهم، وقد مر اليهود خلال التاريخ بعدة حملات شتتهم بين الدول، وتنقلوا فيها من مكان إلى آخر، ابتداءً من السبي البابلي، والآشوري، إلى العصر الروماني، ودخولهم إلى أوروبا سنة (٧٠) ميلادي، فشِرذَمَتٌ منهم فئة في مصر، وأخرى في لبنان وسوريا، وثالثةٌ في العراق، ورابعةٌ في الحجاز، أما اليمن فقد عرفها اليهودُ ورحلوا إليها للتجارة في عهد النبي سليمان (عليه السلام)، الذي تزوج ملكةَ اليمن بلقيس، وفي الحجاز توزع اليهود بين مناطق خيبر، ويثرب (أي المدينة المنورة)، وفدك، وتَيْمَاء، ووادي القرى.

برغم أصالة وعبرية بعض القبائل في خيبر وفدك ووادي القرى، إلا أن هناك من قبائل العرب من اعتنق اليهودية أيضاً و ربما تقرباً لليهود.

يهود العراق:

تاريخ اليهود في العراق بدأ في الحقيقة مع سبي يهود إسرائيل من قبل الآشوريين، ثم البابليين، فيما عرف السبي بالبابلي موجات السبي الرئيسية لبني إسرائيل كانت ثلاثاً:

سبي سامريا: (٧٢١ ق.م.)، حيث سبى الآشوريون اليهود وعلى رأسهم الأسباط العشرة.

سبي يهواخن (يهوياكين): سنة (٥٩٧ ق.م.)، حيث سبى نبوخذنصر 10 آلاف يهودي من أورشليم إلى بابل.

سبي صدقيا: (٥٨٦ ق.م.)، التي كانت علامة لنهاية مملكة يهوذا، وتدمير أورشليم ومعبد سليمان الأول، أربعين ألف يهودي تقريباً تم سبيهم إلى بابل خلال ذلك الوقت.

يهود اليمن:

اعتنق الحميريين في اليمن الديانة اليهودية، من أشهر ملوك حمير الملك يوسف أسأر يثأر الحميري، أما في نجران فقد سكنها بنو الديان، هم قبيلة تنسب إلى بنو الحارث بن كعب من مذحج.

يهود الشام:

طبقاً لرواية الكتاب المقدس، فإن الوجود اليهودي في سوريا يعود لأيام الملك داوّد (عليه السلام)، في الألف الثاني قبل الميلاد، في المنطقة المسماة توراتياً (آرام زوربا)، والتي تقارب حسب رأي بعض الباحثين حلب، وحسب رأي البعض الآخر حدود لبنان، خلال مرحلة السبي البابلي، كانت مناطق من سوريا الحديثة لاسيّما ضفاف البليخ والخابور من مناطق استقرار اليهود.

يهود المدينة المنورة:

تذكر بعض المصادر التاريخية إن دخول اليهود إلى الحجاز، كان عام (٥٨٧ ق.م)، في عهد الملك الآشوري البابلي نبوخذنصر، الذي بطش باليهود، فهاجروا

من فلسطين إلى شمال الحجاز، بسبب ما لقوه من أسر وقتل وتعذيب. ومصادر أخرى قالت: إن اليهود هاجروا من فلسطين إلى جزيرة العرب، بسبب ما فعله بهم القيصر الروماني طيطوس، سنة (٧٠م)، وهدمه لمعبدهم، (الهيكل). كذلك ما فعله بهم القيصر الروماني هدريان عام (١٣٢م)، من قتل وتعذيب، ففرّ عدد كبير منهم إلى الحجاز.

بعض المؤرخين يذكرون أن يهود خيبر ليسوا من بني إسرائيل، وإنما هم من مهاجرين من اليمن، الذين دانوا باليهودية، والدليل أن مرحب وعائلته وهو فارس خيبر المشهور من قبيلة حمير من اليمن[1].

استوطنت ثلاث قبائل يهودية في المدينة وهي:

قبيلة بني قينقاع: أكثر المؤرخين قالوا أنهم في يثرب وهم من بني إسرائيل، ويدعي يهود بني قينقاع أن أصلهم موغل في القدم بيثرِب، و يعود لزمان موسى (عليه السلام) في الوجود، كما تدعي الإسرائيليات التي حاول اليهود ترويجها، ونقلها لنا المؤرخون المُسلِمون، فقد أشار ابن رسته (المتوفى ٣٠٠هـ) إلى أنه يعود إلى أيام النبي موسى، عندما أرسل حملة عسكرية من بني إسرائيل إلى الحجاز لتأديب العماليق، الذين طغوا في البلاد، وعتوا عتواً كبيراً، فكان هذا أول سكن اليهود للحجاز بعد العماليق[2].

إلا أن قِدم تواجُدِهم لا دليل عليه، فلا يُمكِن الإستِدلال على قِدم الوجود اليهودي ما قبل الميلاد، فضلاً لزمان موسى (عليه السلام)، لأن اليهود على مر

---

[1] نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي.

[2] الأعلاق النفيسة وبذيله كتاب البلدان لليعقوبي، ص ٦٠.

التاريخ لاقوا من الاضطهاد مالم تلْقهُ أمة أخرى، ولذا فلا يُمكِن نفي أن اليهود في يثرِب قد جاءوا على فترات متقطِّعة، ولكن لا يُمكِن تأكيد بحال من الأحوال فترات ما قبل الميلاد.

قبيلتي النضير[١]**، وقريظة**[٢]: غير معروفة الأصل، يعتقد أنهم كانوا نازحين من جراء الاضطهاد الروماني خلال فترة (٧٠-١٣٥) ميلادي، يعتقد أنهم من الناجين من دمار أورشليم على يد تيطوس، أو الذين تم إجلاؤهم على يد الإمبراطور هادريان، وحين انتقلوا إلى الحِجاز في شبه الجزيرة العربية، فقد جاءوا على يهود سبقوهم وهم بنو قينُقاع.

يرى المؤرخ اليعقوبي المتوفى (سنة ٢٨٤ هـ)، وهو أحد أقدم المصادر التي ناقشت أصلهم، أن بني النضير، وبني قريظة، فرعان من قبيلة جذام العربية، تهودوا وسموا باسم المكان الذي نزلوا فيه، فبنوا النضير فخذ من جذام إلا أنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير[٣] فسموا به، وبنو قريظة فخذ من جذام أخوة النضير يقال إن تهودهم كان في أيام السموأل، ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة[٤]، فنسبوا إليه وخالف اليعقوبي أغلب مؤرخو العرب والإفرنج.

---

[١] النضير بن النحام بن ناخوم: من نسل هارون (عليه السلام)، ويؤيد ذللك قول الرسول عليه الصلاة والسلام، لزوجته صفية وهي من بني النضير: ((إِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ))، كما رواه الترمذي وصححه، ووافقه الألباني في صحيح الترمذي، (٣٨٩٤).

[٢] قريظة بن النمام بن الخزرج بن الصريح بن السبط بن اليسع بن سعد بن لاوي بن جبر بن النمام بن عازر بن عيزر بن هارون بن عمران.

[٣] تاريخ اليعقوبي ١/ ٤٩.

[٤] المصدر نفسه ١/ ٥٢.

المؤرخان نولدكه (Noldeke)، وأوليري (Oleary)، لا يستبعدان كون بني النضير وقريظة من طبقة الكهان في الأصل، هاجروا من فلسطين على أثر الحوادث التي وقعت فيها، فسكنوا في هذه الديار، أي الحجاز.

المؤرخ مرجليوث (Margoliouth)، وجد أيضاً ملامح العبرانية في أسماء قبيلة زعوراء، التي هي بطن من بطون الأوس، من ولد جشم، من بني عبد الأشهل، وأيده نظريته جواد علي، أما المؤرخ موشيه جل، فلا يستبعد وجود صلة بين القبائل البدوية المشهورة من جذام في أرض مدين، الذين كانوا يعرفون بأبناء يثرون، وبين يهود الحجاز، وذلك لأوجه الشبه الكبيرة بينهم.

سبب إقامة اليهود في المدينة المنورة:

السبب في إقامة اليهود في المدينة المنورة وجوارها وفي الحجاز عموماً، كان البحثَ عن النبي الموعود الذي بشرت به التوراةُ والكتبُ الدينيةُ، التي أفادت بأن نبياً موعوداً سيظهرُ في هذه المنطَقة، وكانت منطَقةُ يثربَ التي تعرف اليوم بالمدينة المنورة المركزَ الأكبرَ لليهود عند ظهور الإسلام.

الرسول محمد ﷺ واليهود بالمدينة:

عندما وصل النبي ﷺ إلى المدينة المنورة مهاجراً من مكة المكرمة، أقام قواعد الدولة الإسلامية فيها، ومن أبرز هذه القواعد تنظيم العلاقة مع اليهود المقيمين في المدينة، وعقد المعاهدات معهم، وقد أوفى ﷺ بهذه المعاهدات وأمر المسلمين بالوفاء بها، وعدم نكثها امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ

﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[١]، وكانت لهم الحرية الدينية الكاملة، لكنهم نكثوا العهد، فقد حاول يهود بني النضير اغتيال النبي ﷺ عندما ذهب إليهم يطلب مساعدتهم في دية قتيلين، فوعدوه بالمساعدة، وقام يهود بني قينقاع بكشف عورة امرأة مسلمة، وعاون بني قريظة، قريش ضد المسلمين في غزوة الخندق.

قال ابن القيم (رحمه الله): ((صَالَحَ النبي ﷺ يَهُودَ الْمَدِينَةِ، وَكَتَبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ كِتَابَ أَمْنٍ، وَكَانُوا ثَلَاثَ طَوَائِفَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَبَنِي النَّضِيرِ، وَبَنِي قُرَيْظَةَ، فَحَارَبَتْهُ بَنُو قَيْنُقَاعَ بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَ بَدْرٍ، ثُمَّ نَقَضَ الْعَهْدَ بَنُو النَّضِيرِ، وَأَمَّا قُرَيْظَةُ، فَكَانَتْ أَشَدَّ الْيَهُودِ عَدَاوَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَغْلَظَهُمْ كُفْرًا، وَلِذَلِكَ جَرَى عَلَيْهِمْ مَا لَمْ يَجْرِ عَلَى إِخْوَانِهِمْ))[٢] .

قال ابن القيم (رحمه الله): ((وَحَارَبَهُ الثَّلَاثَةُ، فَمَنَّ عَلَى بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَقَتَلَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَسَبَى ذُرِّيَّتَهُمْ، وَنَزَلَتْ (سُورَةُ الْحَشْرِ) فِي بَنِي النَّضِيرِ، وَ (سُورَةُ الْأَحْزَابِ) فِي بَنِي قُرَيْظَةَ))[٣].

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجلى اليهود فذهبوا إلى تيماء وأريحا[٤]، كما أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: ((أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ))[٥]. وقد اختلف العلماء المقصود بجزيرة العرب بهذا الحديث فبعضهم شمل الجزيرة

---

[١] سورة النحل: من الآية: (٩١).

[٢] زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ)، (٣/ ١١٤-١١٧).

[٣] المصدر نفسه، (٣/ ٥٩).

[٤] رواه البخاري، (٣١٥٢)، ومسلم، (١٥٥١).

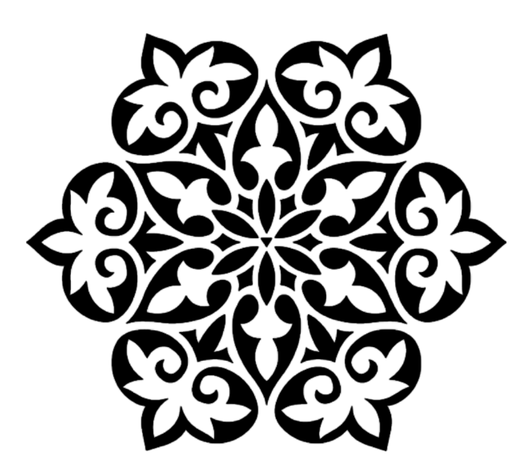
[٥] رواه البخاري، (٣١٦٨)، ومسلم، (١٦٣٧).

كلها ((قال يعقوب بن محمد: سألت المغيرة ابن عبدالرحمن عن جزيرة العرب؟ فقال: مكة والمدينة واليمامة واليمن))[١].

وقال البعض الآخر هي الحجاز فقط، قال النووي: ((في هذا دليلٌ على أن مراد النبي ﷺ بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، إخراجهم من بعضها، وهو الحجاز خاصَّة؛ لأن تيماء من جزيرة العرب لكنها ليست من الحجاز، والله أعلم))[٢].

قال ابن حجر: ((لكن الذي يمنع المشركون من سكناه منها الحجاز خاصة، وهو مكة، والمدينة، واليمامة، و ما والاها، لا فيما سوى ذلك مما يطلق عليه اسم جزيرة العرب؛ لاتفاق الجميع على أن اليمن لا يمنعون منها مع أنها من جملة جزيرة العرب، هذا مذهب الجمهور))[٣].

قال ابن كثير: ((فلما كان عمر أخرج يهود خيبر، وفدك، ولم يخرج أهل تيماء، ووادي القرى، لأنهما داخلتان في أرض الشام))[٤].



---

[١] ذكره البخاري في صحيحه، (٢٨٨٨).

[٢] شرح صحيح مسلم، (١٠/ ٢١٢).

[٣] فتح الباري، (٦/ ١٧١).

[٤] البداية والنهاية، (٤/ ٢٤٨).

المصادر والمراجع[1]

- القرآن الكريم.

١. آثار ابن باديس (رحمه الله).

٢. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، الأزرقي.

٣. أساس البلاغة، الزمخشري.

٤. الإسلام ونظرية دارون، باشميل.

٥. أصول الكافي، الكليني.

٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي.

٧. إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، الإتليدي.

٨. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، الإمام شمس الدين السخاوي.

٩. اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية.

١٠. اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغدادي.

١١. الإنباه على قبائل الرواة، ابن عبد البر.

١٢. الأنساب، السمعاني.

١٣. البدايات ومسيرة الإنسان، الخوري.

١٤. البداية والنهاية، ابن كثير.

---

[1] المصادر: هي الكتب التي تدلي بالمعلومة لأول مرة، كأن يكون معاصراً للحدث، شاهد عيان، أو ناقلاً للمعلومة بسلسلة من الرواة، ككتب الحديث، أما المرجع: فهو الذي يأخذ المعلومات من المصادر.

١٥. البدو، ماكس أوبنهايم.

١٦. تاج العروس، المرتضى الزبيدي.

١٧. تاريخ الأمم والملوك، الطبري.

١٨. تاريخ اللغات السامية، ولفنسون.

١٩. التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب، أبو الحسن اليمني القرطبي الأشعري.

٢٠. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير.

٢١. التفسير الكبير، الفخر الرازي.

٢٢. تفسير المنار، محمد رشيد رضا.

٢٣. التيجان في ملوك حمير، ابن هشام الحميري.

٢٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي.

٢٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري.

٢٦. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

٢٧. الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، النهرواني.

٢٨. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم.

٢٩. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم الجوزية.

٣٠. حذف من قريش، مؤرج السدوسي.

٣١. الحقيقة الشرعية، الشيخ محمد بازمول.

٣٢. الخصائص، ابن جني.

٣٣. خلق الإنسان بين الطب والعلم، د. محمد علي البار.

٣٤. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي.
٣٥. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ابن خلدون.
٣٦. الرد على المنطقيين، ابن تيمية.
٣٧. رسائل الجاحظ.
٣٨. رسائل الشريف المرتضى.
٣٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي.
٤٠. الروضُ الأُنف، السهيلي.
٤١. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية.
٤٢. السيرة النبوية، ابن هشام.
٤٣. شرح السنة، البغوي.
٤٤. شرح الكتاب المقدس، أنطونيوس فكري.
٤٥. شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين.
٤٦. شرف أصحاب الحديث، الخطيب البغدادي.
٤٧. شرف الأسباط، القاسمي.
٤٨. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض.
٤٩. صب العذاب على من سب الأصحاب، محمود شكري الآلوسي.
٥٠. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي.
٥١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري.
٥٢. الصواعق المحرقة، الهيتمي.
٥٣. الطبقات الكبرى، ابن سعد.

٥٤. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي.

٥٥. الطرق الحكمية، ابن القيم.

٥٦. الطريق من هنا، محمد الغزالي.

٥٧. علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلّاف.

٥٨. علم الأجناس البشرية للقبائل والعشائر العراقية، هنري فيلد.

٥٩. العلم يدعو للإيمان، موريس بوكاي.

٦٠. عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، أحمد شاكر.

٦١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني.

٦٢. عون المعبود على شرح سنن أبي داوّد، الآبادي.

٦٣. الفتاوي الكبرى، ابن تيمية.

٦٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني.

٦٥. فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل.

٦٦. فقه اللغة، الصاحبي.

٦٧. فقه النوازل، بكر أبو زيد.

٦٨. القاموس المحيط، الفيروز آبادي.

٦٩. قاموس دليل الراغبين في لغة الآراميين سرياني- عربي، المطران أوجين.

٧٠. القصد والأُمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، ابن عبد البر.

٧١. قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، القلقشندي.

٧٢. الكامل في التاريخ، ابن الأثير.

٧٣. كتاب الفتاوي الشرعية في المسائل العصرية، ابن جبرين.

٧٤. الكتاب المقدس.

٧٥. كتاب ضبط النص والتعليق عليه، بشار عواد.

٧٦. لباب الأنساب، ابن فندق.

٧٧. لسان العرب، ابن منظور.

٧٨. مثالب العرب، ابن الكلبي.

٧٩. مجمع الزوائد، الحافظ الهيثمي.

٨٠. محجة القرب إلى محبة العرب، الحافظ العراقي.

٨١. محمد ﷺ، القس الانجليكاني جورج بوش الجد.

٨٢. مختار الصحاح، الرازي.

٨٣. مرآة العقول في شرح أحاديث الرسول، المجلسي.

٨٤. مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب، الكرمي.

٨٥. معجم البلدان، الحموي.

٨٦. معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد.

٨٧. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، البكري.

٨٨. معرفة أنواع علوم الحديث، ابن الصلاح.

٨٩. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني.

٩٠. المغني، ابن قدامة المقدسي الحنبلي.

٩١. المفصل بتاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي.

٩٢. مقدمات في علم النسب، خليل الدليمي.

٩٣. مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون.

٩٤. مناقب آل أبي طالب، ابن شهرأشوب.

٩٥. منهاج السنة النبوية، ابن تيمية.

٩٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي.

٩٧. المياه العربية وحروب المستقبل، محمد صادق.

٩٨. نظم العقيان في أعيان الأعيان، جلال الدين السيوطي.

٩٩. النكت على ابن الصلاح، ابن حجر العسقلاني.

١٠٠. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي.

١٠١. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير.

١٠٢. نهج البلاغة، الشريف الرضي.

١٠٣. اليهود، أحمد سوسة.

المواقع الألكترونية

١. الدرر السنية.

٢. المكتبة الشاملة.

٣. موقع آل البيت.

٤. موقع أهل الحديث.

٥. موقع الألوكة.

٦. موقع الإسلام سؤال وجواب.

٧. موقع الأنبا تكلا هيمانوت القبطي.

٨. موقع الشيخ ابن جبرين.

٩. موقع المشكاة.

١٠. موقع الويكيبيديا.

١١. موقع فضيلة الشيخ الددو.

١٢. Encyclopedia Of The World's Ancient Languages .

المحتويات

هذا الكتاب:

في ظل الطفرة العلمية التي حصلت بالقرن العشرين، وهي اكتشاف البصمة الوراثية، المسماة (DNA)، التي أعطت للتاريخ أُفُقاً لقراءته من جديد، وغربلة الأخطاء المتراكمة، واستخلاص النتائج الصحيحة.

وكنتُ قد أسميتُ كتابي هذا بدايةً بـ (دراسة شرعية وتاريخية لعلم الأنساب وفق البصمة الوراثية الحديثة)، ولكنّي عدلتُ عن ذلك؛ لجعل الكتاب كتابين، فأناقش بالكتاب الأول أقوال المؤرخين، والأدلة التي اعتمدوا عليها في تقرير الأنساب، وبعض الأدلة الشرعية التي أوردها الفقهاء واحتجوا بها في علم النسب؛ ليكون بوابة إلى كتابي الثاني، وهو البصمة الوراثية والسلالات التي خرجت عليها القبائل والشعوب، وخاصة في العراق والدول المحيطة به.

وقد جعلتُ هذا الكتيب على شكل وقفات ناقشتُ بها أنَّ الإيمان لا يتعارض مع العلم، وناقشتُ الإسرائيليات التي ذكرت بكتبنا الإسلامية، والأحاديث الضعيفة والموضوعة التي بُنِيَ عليها أنساب الأمم، وناقشتُ عمر البشرية والطوفان، وأثبتُّ أن علم الأنساب علمٌ ظني، وناقشتُ مفهوم كلمة العرب قديماً ومدلولاتها.



بغداد - الأعظمية - مقابل المقبرة الملكية

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 1656 لسـ 2018 ـنة